6113

٥ر ٨١١ لوامع انوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري ،
ل ب تأليف بنيس ، محمد بن أحمد . كان حيا ١٢٠٠هـ
بخط محمد احمد بن عبد القادر الجبلاني ١٢٥٩هـ ،
١٥١ق ٢٧س ٢٠٫٥x١٧٫٥سم
نسخة جيدة ، خطها مغربي وسط . طبع .
٤٧٧٩ دار الكتب المصرية ٢ : ٢٢٠ ، معجم المطبوعات
١ : ٥٩٦
أ - الشعر ، العصر التركي والمملوكي ، ادب
اللغة العربية ب - المؤلف بعد الناسخ ج - تاريخ
النسخ د - شرح على أم القرى في مدح خير الورى
ع هـ - شرح الهمزية .

الحمد لله مجموع

اوله مجموع مشتمل على رسايل لدحلان

ثم كتاب ايضاح الاسرار العلوية ومنهاج السادة العلوية

ثم ديوان بديع الزمان الهمداني

ثم كتاب سر العالمين للشعراني

ثم مقامة مفرحة الارتياح

ثم كتاب مقفو الاثر

ثم كتاب تنبيه الاذهان

ثم كتاب معيار الاختيار

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٤٧٧٩ ف ٤٩٤٤ [illegible]
العنوان: لوامع انوار الكوكب [illegible]
المؤلف: [illegible]
تاريخ النسخ: ١٢٥٩ هـ
اسم الناسخ: محمد [illegible]
عدد الأوراق: ١٥٦ ق ٢١ سم ١٧,٥ × [illegible]
ملاحظات:

~~٣٩~~ ٩

٥٩ مجموع

ما فاز سوى والد الحفيد بمفرده وفي قبل عصبة
ومثله ... وجب ... العصبة

فريضة ... وعكسها ...

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
اما بعد فهذا شرح العلامة الشيخ
أحمد بن حجر على الهمزية
للعالم العلامة البحر
الفهامة شرف
الدين البوصيري
رضي
الله
عنه
امين

[illegible]

ما فرق سوى والابن الاجنبية   بعد [illegible] وقبل عطية
ومع [illegible] ووجب   بعد والصغير [illegible]

في [illegible] وعكسه الانثى [illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
اما بعد فهذا شرح العلامة شيخ
أحمد بن حسن على الهمزية
للعالم العلامة البحر
الفهامة شرف
الدين البوصيري
رضي
الله
عنه
امين

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل رسوله محمدا المحمود بالهدى ودين الحق وخصه من بين سائر الرسل بالرسالة العامة لكل العقلاء واوجب له النبوءة وءادم بين الطين والماء وجعله خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء فهو الشفيع المشفع يوم العرض على الحي القيوم في ملا السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمورود والمخصوص بالكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور وبادي الكون وعلى صاحب الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور ومظهر الوجود ... بعلو ... معناه ... وصغى خطرة الفرض ... كلما ... قلبه اذا نامت عيناه البشير الذي سبقت له البشرى وورى ... الطيب ونزل فيه سبحان الذي اسرى من ... الغر الكريمة نوره واضاءت لميلاده ... الشام وقصورها وطبقة الملائكة ... في قودها وتزوره والمعجزات ... المشاهدة والحس واقربها الجن والانس ... بتكلم وجاء لعراقه ... هو الحق وشهد له ... ويبكي ... صلى الله عليه وسلم من ... اصابعه ... ومن ... ما ... اللوم والعشاء ومثل نجوم السماء وعدد القطر والحصا صلاة انعدد قطعها ويغفر وهذا مشرع شريف ومنزع لطيف ومعقد منيف تضمنه ... شعب الاخبار اكرم خلق الله بشرح قصيدة الامام ابي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله المجهود بها وخدمة اجود كل موجود ... وابناء الكرام ادا ... احسانه ... مسبقة ... ومن ارشد العامل لواء الخطايا ومحيطا وكل ... على طاقته وشاكلته ومن ارجع ... شرح همزية على نبيه وتسميته لوامع انوار الكوكب الدري في شرح همزية الامام البوصيري ومن الله سبحانه استمد العون والقبول والفوز بالرضى ولعفو انه جل شانه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير والله ... قصيدة مشتملة على مقصدين معظمين ... على القضايا ... خاصة ملخصة من شرح شيخنا العلامة سيدي محمد جسوس على الشمائل

من الخلق والنبي انسان اوحي اليه بشرع وان لم يومر بتبليغه فان امر بتبليغه فرسول ايضا او وامر بتبليغه وان لم يكن له كتاب او نسخ لبعض شرع من قبله كيوشع فان كان له ذلك فرسول ايضا فوقال فالنبي اعم من الرسول وفي ثالث ... بمعنى وهو معنى الرسول على الاول المشهور فالمعنى العطف وعبر به الناظم لكثرة استعماله ... به مراد في الرسول عليها ... ما ... العموم وهو وقوع النكرة في سياق النفي والاسماء ... منكر مقصود ... بعد ... التشبيه بالمقام لانه ... موصوف ... الصفة له ... العامل فلا ... نصبه على الاصح خلافا ... المغالبة ... في المغالبة العلو ... والمغالبة ... الغلبة ... ذلك ... ونعالية ... والمراد بالاولى نبينا صلى الله عليه وسلم وبالثانية ... الانبياء والمرسلين ... بالسماء لانها ... من الاجرام الحسية كما انه اعلا الخليق وهذا من الاستعارة الواقعة في كلامه كثيرا وهو مجاز تضمن تشبيه ما عبر به ... ووضع له فشبه النبي صلى الله عليه وسلم بجامع العلو ثم اطلق لفظ المشبه به على المشبه استعارة تصريحية فاما التخيل وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به في المشبه ثم اتى بالوصف ... تنبيه وقال في التلخيص ... التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه ويدل عليه بان يثبت للمشبه امر مختص بالمشبه به ... التشبيه استعارة بالكناية او مكنيا عنها واثبات ذلك الامر للمشبه استعارة تخييلية كما في قول الهذلي ... واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ... الاظفار التي لا يكمل ... بدونها فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الاظفار لها استعارة تخييلية ... والفكر الثاني ... على الاول ... لا يرتقي ... لا مطمع ... بين الانبياء ... اعلاهم درجة وان كانوا في اعلى الدرجات واعلى المراتب وقد فاز بعلو على علم على العالمين فهم وان اختارهم الله على سائر خلقه حتى الملائكة فانت اعظمهم قدرا واعظمهم جاها وخطرا ... والاخبار ... العلماء على ان

لا اشكال ان المكلف مكلف ان يعرف ما يجب في حق مولانا تعالى وما يجوز وما يستحيل وان
يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا الكلام يشتمل على ذكر
بعض صفات نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومعرفة ذلك و
الدلالة عليه متعين على كل مؤمن لوجوه الوجه الاول ان معرفته
السنية ونعوته البهية الشيمية وسيلة الى امتثال الغالب بتعظيمه وهو
وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الشرع على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشر
يعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لامرها
ونهيها واشارتها على مراقبة المعبود وامرها وشهود انفراد الفاعل
لمعلم ما اشبهها وحده الفعل وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذي الاعظام خلق
الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الابدية والنيل
ذي السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذي هو غاية رغبة الراغبين ونهاية
امال الاملين وطلب الطالبين الحجج احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده
ابدا الوجه الثاني ان الله تعالى امر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيم شانه وامر
بتعزيره وتوقيره في كتابه العزيز قال مولانا جل شانه واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية
الى غير ذلك من الايات ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله من يطع الرسول
فقد اطاع الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الى غير ذلك الوجه
الثالث ان معرفته تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك
سبيل الى محبته لان اسباب المحبة وان تكاثرت فمدارها على قربين الحسن والا
حسان فان النفوس مجبولة على حب الحسن والمحسن اليها والحسن يماثل حسنه صلى
الله عليه وسلم ولا احسان يماثل احسانه ايضا صلى الله عليه وسلم اذ كل خير وبركة
حصلت او تحصل منه ظاهرة وباطنة فهي منه ومحبته صلى الله عليه وسلم
الايمان الذي هو اصل كل سعادة ومحبته صلى الله عليه وسلم
عليه الا انما موجبة لمعيته ومجاورته وصحبته لحديث انت مع من احببت و
قد قال بقلب احد ما حقق الامر الله
الوجه الرابع ان القهر في معرفتها خدمة لجنابه صلى الله عليه وسلم
وثناء عليه وتمسك به وتعظيم لقدره
لنجاته من النار واستحضار لجماله واحسانه واستنزال العز بربه واحسانه

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم افضل الوجود باسره والموجود اف وان تفاوتت في الوجاه
فهو في اعلا الدرجات التي لا درجة فوقها قال المحققون فهو افضل من كل واحد
من الانبياء على حدته وافضل من مجموعهم وافضل من جميعهم والفرق
بين الكلية والكل المجموعي والكل الجميعي ان الكلية يعتبر فيها كل فرد با
لحكم بخلاف الاخيرين والكل الجميعي لا يخرج عنه فرد بخلاف المجموعي وهو صلى الله
عليه وسلم افضل من الملائكة قال الشيخ السنوسي ثبوت شرفه وافضليته
على جميع المخلوقات يكاد ان يكون معلوما من الدين بالضرورة بحيث لا يحتاج الى
سرد دليل وليس يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل و
قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وفي الاجماع على انه
عليه الصلاة والسلام افضل الانبياء ومذهب اكثر اهل السنة ان الانبياء افضل من
الملائكة فيكون عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى الملائكة افضل اذ هو افضل
من الافضل منهم وعلى هذا القول الاخر فهو صلى الله عليه وسلم خارج من الخلاف اذ
ما الحصر فوا من قال نبينا اشرف بالاجماع * من كل مخلوق على الاطلاق
قلت هذا حاصل ما ذكروه هنا ورايت في تفسير النسفي عند قوله تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ما نصه والحاصل ان خواص البشر
وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام افضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل
وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة افضل من عوام المومنين من البشر وعوام المو
منين من البشر افضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتدا
ء انهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء
عليهم الصلاة والسلام الملائكة في العصمة وفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسا
نية والدواعي الجسمانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع الصوارف بخلاف
طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها وفي عوام المومنين اهل الطاعة وان
لم وافقهم منهم وفي هذا المعنى * ليس الشجاع الذي يحمي فريسته
يوم النزال ونار الحرب تشتعل * لكن من غض طرفا او ثنى قدما
عن الحرام فذاك الفارس البطل * وفي تفسير ان العزيز لا تقتضي التفضيل
ولا ينبغي ما تقدم من الافضلية ما ثبت ان رجلا من اليهود قال في سوق المدينة والذي
اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله

ومن زمن العاقبة والاضطرار وبه تستمد سحائب الانعام والاكثار وفتح للابواب خزائن مآربها من قبله فان الكرام اذا فرحوا اجزلوا المواهب والعطايا وقد اعطى العباس بن مرداس لما امتدحه صلى الله عليه وسلم مائة من الابل وخلع خاتمه على كعب ابن زهير لما مدحه بقصيدته المشهورة التي فيها قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

وفي ذلك ايضا تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وشرفهم ومقدمهم صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا شيء انفع لصاحبه من صلى الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذ لم يخلق الله خلقا اكرم منه عليه من مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يخلق خلقا اكرم عليه من جانبه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب حاله صلى الله عليه وسلم من العز والشرف قال الشيخ الحسن عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ما في الوجود من جعل الله تعالى له الحظ والبركة دنيا واخرة مثل النبي صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة واكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم الصغير خدمته الكبير وكما ان غلام الوالي لا يتعرض له اكراما للوالي فكذا من خدم النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعرض له الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد يقع للعبد الجناية مع التقصير ما لا تعجله كثرة الاعمال الصالحة مع عدم الاستناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستناد الخاص وقد قال شيخ شيوخنا العلامة ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري في همزيته

واذا ما الجناب كان عظيما * مد منه لخادميه لواء

واذا عظمت سيادة متبوع * اجلت اتباعه الكبراء

الوجه الرابع ان محبته صلى الله عليه وسلم معلقة على شهود ذكره لذاته وبه رؤيته صلى الله عليه وسلم بغتة اوتوما جواهر عظيمة ومزايا كثيرة جسيمة وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا من نظر وجه احدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وقوله هم القوم لا يشقى جليسهم مع انهم ما نالوا ذلك الا بنور [illegible] المشرق عليهم ومدده [illegible] فيهم وكلهم من رسول الله ملتمس الوجه الخامس ان في ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون

صلى الله عليه وسلم وعوضه من الوطأة به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتناع حاسة السمع واللسان باوطان المحبوب التي هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات المحضر اليه بالبصر لم يفت بالتمتع بسماع لذيذ الخبر ولذا قيل

يا واردا من اهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر

نشدتك الله يا راوي حديثهم * حدث فقد زاد بي شوقي الى عمر

ولقد احسن الغوث سيدي ابو مدين نفعنا الله به

وفينا تذكركم اذا لم نراكم * الا ان تذكار الاحبة ينعشنا

ولولا معانيكم تراها قلوبنا * اذا نحن ايقاظ وفي النوم ان غبنا

لمتنا اسى من بعدكم وصبابة * ولكن في المعنى معانيكم معنا

يحركنا ذكر الاحاديث عنكم * ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا

ولقد قيل يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا

الوجه السادس ان ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك ماء القلب من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل به انشراح الصدور وتفريج القلب ما لا يعد اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر اوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولا سيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يورث الخشوع ويرقق القلوب كما هو المطلوب ولله در الشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي اذ قال

وتاخذ قلبي نشوة عند ذكره * كما ارتاح صب خامرته خمور

اصوم عن الاغيار قطعا وعندكم * سحوري [illegible] في الهوى وفطور

ومالي رسول الله الا سعادة * افوز به يوم القضاء تفور

نبي تعالى ان يحيط بوصفه * بشير لكل العالمين نذير

اذا ذكره ارتاحت قلوب لذكره * وطابت نفوس وانشرحت صدور

المقصد الثالث في التعريف بالناظم اجمالا فهو رحمه الله الامام العلامة الهمام العارف بالله الصادق في محبة سيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو عبد الله سيدي محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي البوصيري رضي الله عنه وارضاه ولد سنة ثمان وستمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وعمره سبع وثمانون سنة اخذ عن العارف بالله سيدي ابي العباس احمد المرسي الانصاري وهو عن القطب الكبير [illegible]

والعود الشهير مولانا ابو الحسن الشاذلي الحسني وهو عن القطب الهمام عن الامام مولانا عبد السلام بن مشيش الحسني وفرعون بالناظم اخوه في الله سيدي احمد ابن عطاء الله في لطائف المنن فليستشكر ومن اخذ عن الناظم ابو حيان والشيخ ابو الفتح ابن سيد الناس والعز بن جماعة وغيرهم ثم انه رضي الله عنه ابتدأ هذه القصيدة بما يناسب غرضه من المديح وذكر اوطانه صلى الله عليه وسلم الذي ارتقى فيها الى غاية لا تدرك وفي مطلع النظم براعة الاستهلال وكل ما يحرك تحصيل لتحصيل محله واستعمل بكريق الخطاب تنشيط لذاته الحقيقية البهية واستحضار الصفات الزكية العلية وتلذذا بالكلام معه واستعمالا لخطابه وتعاملا مع الغرب منه وصرفا للهمة اليه استحياء من ان يخاطبه وهو غائب عنه ولان مع العظماء عند حضورهم اتم واجمع منه عند غيبتهم لان الهمة مع حضورهم تجتمع منهم والغريبة تنفطر لتستنبط ما يناسب افرادهم على ان من كان مغرما بشيء مشغوفا اليه مشغولا به لا يزال ذاكرا له بلسانه وقالبه وقلبه حتى يصير له دائم الاستحضار مشاهدا له حضرة الابصار

يخشلك الفكر المروع بالنوى … فلا تراح اذ بيل خيالك وفكي
ويدنيك مني الوهم حتى كانني … اناجيك من قرب التشوق والذكر
امع تزوني وتحك الانبياء … يا سماء ما طاولتها سماء

الغالب في كيف الاستفهام تحقيقا او تقديرا كما هنا فهي للاستفهام الانكاري المشوب بالتعجب المتضمن للنفي وهي في موضع نصب على الحال الواقع مما قبل كلام تام اي على اي حال ترقى رقيك الانبياء اي لا حال لهم ينالون به ذلك والرقي بكسر القاف في المحسوسات وبالفتح في المعاني ويراد في معناها هنا من باب استعمال المشترك الذي هو المضارع في معنييه فالحسي هو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه بقظة يمكة ليلة الاسراء الى السموات الى سدرة المنتهى الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والى مرتفع الرؤية العيانية وسمع الخطاب وغير ذلك مما بلغ مقاما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي المشتمل على صفات كاملة عظيمة الرتبة لا تكاد تحصى منها وا علم والانبياء جمع نبي بالهمز من النبا اي الخبر لان النبي مخبر عن الله وبلا همز وهو الاكثر واستعمل الاقتصار انه مخفف من المهموز بقلب همزته ياء وقيل ان الاصل من النبوة بفتح النون وسكون الباء اي الرفعة لان النبي مرفوع الرتبة على غيره

عليه وسلم فقال لا تفضلوه على موسى قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من يرفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله لان هذا خصوصية وهي لا تقتضي الافضلية بدليل الملائكة واما قوله لا تفضلوني على موسى الخ او تفضيلا يؤدي الى المنازعة والمخاصمة وبعض العقول ولذا عقبه بذكر من يقتص او قاله الكي اواضعا او قبل اعلامه بالافضلية وقد وقع النص في بعض بعض احاديث اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قرب الله موسى الى الطور سيناء نجيا قال اي رب هل احد اكرم عليك مني قربتني نجيا وكلمتني تكليما قال نعم قال نعم محمد اكرم علي منك قال فان كان محمد اكرم عليك مني فهل امة محمد اكرم عليك من بني اسرائيل فلقت لهم البحر وانجيتهم من فرعون وعمله واطعمتهم المن والسلوى قال نعم امة محمد اكرم علي من بني اسرائيل قال الهي اريتهم قال انك لن تراهم وان شئت اسمعتك صوتهم قال نعم الهي فنادى ربنا يا امة محمد اجيبوا ربكم فاجابوا وهم في اصلاب ابائهم وارحام امهاتهم الى يوم القيامة فقالوا لبيك انت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال صدقتم انا ربكم وانتم عبيدي حقا قد عفوت عنكم واعطيتكم قبل ان تسألوني فمن لقيني بشهادة ان لا اله الا الله دخل الجنة قال ابن عباس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اراد ان يمن عليه بما اعطاه وامته فقال يا محمد وما كنت بجانب الطور اذ نادينا واما قوله فضل لا يعرف بين احد من رسله فهو باعتبار الايمان بهم وبما انزل عليهم لا في التفضيل لورود النص به قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ومن التسوية فيما يجب الايمان به واما قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم فهو من تواضعه اي على فرض وجوده لكنا احق به منه وهو من الانبياء محال فلا يعلق عليه محال ومطلوب سيدنا ابراهيم في رؤيته الكيفية ومعاينتها مع الجزم بالقدرة وكذا قيل وانكر للعبارات كيف معنوي لم تطاولها المعاينة لتحصيل ونالله تعالى التوفيق

لم يساووك في علاك وقد حا … ل سنا منك دونهم وسناء

هذا من كالشاهد على اصله مما ذكر في صدر البيت الاول العمر علة فيه بعد في عجزه ثم اعاده في صدر هذا البيت بطريق اخرى وبرهن عليه في عجزه والاكتفاء في مقام المدح مطلوب والاسهاب مع اختلاف الحكم وعلاك جمع عليا تانيث اعلى من علا اذا

ارتفع اي لم يساوك احد من الانبياء في رفعة شأنك وعلو مكانك ثم اشار الى ذلك
بقوله وفي حال اي مع سنى منك اي ضوء ظاهر عظيم هو بعضه خصك الله به
دون سائر الانبياء وسناء اي رفعة عظيمة واحوالها كلها وكيف بمجموعها
او حال بينهم وبين مما وانك سنى قليل هو بعضك وكيف بكثيره والجملة اما
حال من الفاعل او المفعول واما مستأنفة وهذا السنا مجاز عن علوم القرآن المحيطة
بعلوم الاولين والآخرين وهو مقتبس من تسميته تعالى في القرآن نورا كقوله تعالى
واتبعوا النور الذي انزل معه وفي قوله وفي حال اند بيل وهو ان يوتى بعد تمام الكلام
بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى العلة والتوكيد والتحقيق كقوله تعالى ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور وفي قوله سنا وسناء جناس التذييل نحو
العارض وما يرتب ان مماثلة الالعال تعيد ميلا واصغاء البيطل

إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

مثلوا صوروا والفاعل عائد على الانبياء وهو احسن من عوده على المادحين والصفات
جمع صفة ما دل على معنى في الذات حسيا كالبياض او معنويا كالعلم والناس من الانس
وعليه قوله وما سمي الانسان الا لانسه ولا القلب الا انه يتقلب او النسيان
وعليه قوله لا تنسين تلك العهود فانما سميت انسانا لانك ناسي وما مصدرية
اي كتمثيل الماء النجوم والماء اصله موه بدليل مياه ومويه تحركت الواو وانفتح ما
قبلها قلبت الفا وقلبت الهاء همزة يعني ان صفات الانبياء على ما هي عليه
من الكمال الحسي والمعنوي انما هي مثال لصفاتك فهو انتهى عليهم الصلاة والسلام
كالماء الصافي ترى فيه صفاتك وذاتك جملة بين من معجزاتهم وآياتهم وصفا
تهم البهية انما هي نور صفاتك التي احتوت عليها ذواتهم فهم مطالع لصفاتك و
بروج لآياتك ولذا قال في البردة وكل آي اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء

اي انت مصباح كل فضل للوجود فلا تقتبس الفضائل كلها ولا تظهر عن احد ضوء الا عن
ضوئك في الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات الصادرة ممن قبلك من الانـ
بياء وممن بعدك من الاولياء كلها مقتبسة من نورك ولا يخفى ما في البيت من
التشبيه البليغ ولا يصح ان يكون من باب الاستعارة لذكر الطرفين وفي جامع
العبارة عن بعض العلماء ما معناه وجه تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالمصباح والسراج
دون الشمع والقمر ان الشمع هو خاص بالملوك والاغنياء دون الفقراء وفي الغالب وا
تباع النبي صلى الله عليه وسلم غالبا الفقراء والسراج عام غير مخصوص بأحد و
كذلك النبي صلى الله عليه وسلم رسالته عامة وكذلك لا ينقص نفسه على احد وا
لسراج تقتبس منه الانوار الكثيرة ولا تغيره عن حاله بخلاف القمر فانه لا يقتبس من
نوره كوكب وفي روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله
عنه قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء خلقه الله قبل الاشياء
قال يا جابر ان الله خلق قبل ان يخلق الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور
يدور بالقدرة حيث شاء الله عز وجل ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا
نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله
عز وجل ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الجزء
الثاني اللوح ومن الجزء الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق
من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء
الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهو
المعرفة بالله عز وجل ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد ومن الرابع لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خبر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر
ابن الخطاب اتدري من انا انا الذي خلق الله عز وجل اول كل شيء نوري فسجد لله فبقي في سجوده
سبعمائة عام فاول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر يا عمر اتدري من انا انا الذي خلق الله العرش
من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري والشمس والقمر من نوري ونور الابصار
من نوري والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا
فخر والمراد ان هذه الاشياء مقتبسة من نوره والاقتباس لا يوجب انقساما ولا
نقصا ولذا قال مولانا عبد السلام رضي الله عنه اللهم صل على من منه انشقت الاسرار
وانفلقت الانوار الخ وفي المواهب روى الحاكم في صحيحه ان آدم عليه السلام رأى اسم
محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله عز وجل قال لآدم لولا محمد ما خلقتك
وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك
يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي
منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت
الدنيا وفي عن ابن عباس وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت

الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
فسكن وبهذا انطبع تحت قول الناظم لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
ولقد سبقه البدر العارض فقال لولاك يا احمد المحمود ما طلعت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم
وهذا من باب الحكمة والمصلحة الراجعة الى العباد باظهار عظمة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم واشهار كرامته عند الله بجعل وجوده سببا في وجود الموجودات و
لا منافاة بين تقدم ما روي من خلق القلم اول كل شيء لان الاولية الحقيقية في نوره
صلى الله عليه وسلم وفي غيره اضافية نسبية **لكن ذاتك العلوم من عالم الغيب**
ومنها لآدم الاسماء اي حقيقتها ومسماها والعلوم جمع علم وهي
صفة ينجلي بها الشيء لمن قامت به انجلاء تاما او الادراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض و
من عالم الغيب اي من فيض الله تعالى والغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل
اي الغائب وهو ما لم يشاهد اي بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل
من عالم الشهادة **فهو** قوله ومنها اي العلوم بمعنى المعلومات لآدم اصله أأ
دم وقلبت الهمزة الساكنة الفا من الادمة اي السمرة وكان لونه بين بياض وحمرة او
من اديم الارض اي ظاهر وجهها **و** الاسماء جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى
والمسميات اعلى رتبة من الاسماء لانها انما وضعت للتوصل بها اليها فالمسميات
هي المقصود بالذات والاسماء مقصودة بالعرض فكان الاسماء ما وضعت الا ليتوصل بها الى المسميات كما ان آدم ما خلق الا ليكون مظهرا للنور المحمدي والجمال
الاحمدي **و** في هذه الخصوصية ثلاثة اقوال احدها انه علم الاسماء فقط وهو
الذي سلكه الناظم ثانيها انه علم المسميات فقط **و** ثالثها انه علمهما وهو
راي الكشاف كذا في ابن حجر **و** فيه نظر اذ كيف يتصور القول بانه علم احدهما فقط
مع تضييق الاسماء على المسميات **فالتحقيق** ما قاله المحققون ان الخلاف
لفظي فمن قال علم الاسماء معناه من حيث دلالتها **و** من قال علم المسميات
معناه من حيث الدلالة عليها وانما وجه الخصوصية ان الموجودات لها حقائق
ومفهومات ولها حدود حقيقية باعتبار الاول وحدود اسمية باعتبار
الثاني **و** المفهوم هو ما يفهم من الاسم في الجملة وهو للموجود والمعدوم و ا
لحقيقة ماهية للشيء على سبيل التفصيل ولا تكون الا للموجود فكان السر
في آدم بالنسبة الى الاشياء التي عرضت عليه علم المعاني لانه انما علم تحت الاشياء

المعروضة **و**لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم علم الحقائق **و** بضمنه قطعا علم المعاني
بوجوهها من الوجه الاعم والاخص **و** بالشان اختص عن آدم **فأجاب** روى الحاكم النسائي
عن ... في ... ان آدم او الى جملة آدم والاغراض بينهم وبين قومه
اول الرسل نوح لان في آدم ارسل الى بنيه وهم مؤمنون **و** اما نوح فارسل الى كفار اهل الارض
قال وهب لما توفي في آدم جعل له في ابنه فيمن غار في الغار الى الكفر واستخرجه
نوح وجعله معه في تابوت في السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه وفي التوراة
انه عاش سبعمائة سنة وثلاثين سنة اه **و** لما فرغ من ذكر بعض صفات ذاته وعلومه
على كل حسب **شرع** في ذكر نسبه وعلوه وعلوها على كل نسب **فقال**
ولم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والاباء
ضمائر الكون مستورات الوجود وخفايا الاستعدادات الاصلاب والارحام اي ما
في ... واصطفاك الاحسن هو مطلعي مختار وانت الشريف حسبا ونسبا الكريم
اما واباء **قال** الفسطلاني في المواهب لما توفي آدم كان شيث عليه الصلاة والسلام
وصيا على اولاده ثم اوصى شيث بوصية آدم ان لا يوضع هذا النور الا في المطهرات من النساء
ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب
وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية اه **و** خرج البيهقي
في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام **و** سفاح الجاهلية بكسر
السين زناهم كانت المراة تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها **و** روى ابن سعد وابن
عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي ولم يصبني من
سفاح اهل الجاهلية شيء **و** روى ابو نعيم لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني
من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت
في خيرهما **و** روى ابن مردويه قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم
اي بفتح الفاء فقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن آدم
سفاح كلنا نكاح **و** في الدلائل لابي نعيم عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال
قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه افضل الصلاة والسلام
ولم ار بني اب افضل من بني هاشم **و** كذا اخرجه الطبراني في الاوسط **قال** الحافظ ابن
حجر لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن **و** في البخاري عن ابي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه

وفي مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم
وقال الامام فخر الدين الرازي ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من ادم على التوحيد
لم يكن فيهم مشرك بل ان على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب الا يكون احد من
اجداده مشركا وقوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين معناه انه كان
ينقل نوره من ساجد الى ساجد ووردت من الاحاديث والاثار ما يدل على انه لم تخل الارض
من عهد نوح الى بعثته صلى الله عليه وسلم من ناس على الفطرة في زمان الفترة يعبدون الله
ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الارض ولولاهم لهلكت الارض ومن عليها فمن ذلك
ما اخرجه احمد بن حنبل في الزهد والخلال في كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين
عن ابن عباس قال ما خلت الارض بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن اهل الارض وما
اخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر في تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين
عن علي بن ابي طالب قال لم يزل على وجه الارض في الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا
ذلك لهلكت الارض ومن عليها وذكر الاخبار والاحاديث على ان اباء النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا في كل قرن هم خيره او من خيره فتعين ان يكونوا السبعة المسلمين
بمقتضى الاحاديث الصحيحة وقال ابن حجر اجمع اهل الكتابين على ان ازر لم يكن
والد ابراهيم بل كان عمه والعرب تسمي العم ابا بل في القران ايضا كذلك قال تعالى واله ابائك
ابراهيم واسماعيل واسحاق مع انه عم يعقوب بل قيل انهم اجمعوا على ذلك لوجب تاويله جمعا
بين الاحاديث ولا يتاتى الجواب ايضا عن قوله كما في مسلم ان ابي واباك في النار ولا يرد على
ذلك ما في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابي طالب عند موته قل لا اله الا الله
كلمة اشفع لك بها عند الله فكان اخر كلامه ان قال انه على ملة عبد المطلب لانا
لا نسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب انه كان كافرا لان عبد المطلب لم يدرك
البعثة فكان على ملة ابراهيم وابو طالب ادرك البعثة فلا ينفعه ملة عبد المطلب
وقال ابن حجر ايضا في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ان الله احيا للنبي صلى الله
عليه وسلم ابويه فامنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلي
في الروض عن ابي الزناد عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه
ان يحيي ابويه فاحياهما له وامنا به ثم اماتهما والله قادر على كل شيء وليس تعجز

بقدرته ورحمته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم اهل ان يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه
بما شاء من كرامته صلى الله عليه وسلم وقد ادرك احبابهما مع ان اهل الفترة لا يعذبون
بون ايمانهما بكمال لهما لان اهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في
نجاة الصلاة من العذاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاحياهما ليرتقيا
في الايمان زيادة في شرفهما وكمالهما بحصول تلك المراتب لهما اهـ

وما مضت فترة من الزمان الا وبشرت قومها بالانبياء

العفترة ما بين موت رسول وبعثة اخر فيما مضى زمان خال من الرسل ثم بعث رسول
ووجد القوم على فترة الا وبشر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيطرق من وقع لهم
نسيانه ومن لا فيه ذكر الاوصاف ويبشر جميعا فيزدادون ايمانا وتصديقا والانبياء
فاعل بشرت وقومها مفعوله وضميره يعود على الانبياء وهو مقدم من تاخير لانه فاعل
ويكتفي بتحلي ببشرته وهذا اشارة الى علو كمال الشرفه صلى الله عليه وسلم
ورفعته على العصمة الرسل ومما اشار فيه قوله تعالى عن عيسى ومبشرا برسول ياتي من
بعدي اسمه احمد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية فبعث ما من التنويه بقدر
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاعلام بعلو جاهه وشهود منصبه ومجد منزلته
وعظمته من نفسه واطالة الخصوصية بما لا يخفى على من اطلع عليها ووجه البلاغة
التامل والمشبه بمعنى العهد واخذ النبيين للاستغراق وعبر بهم دون المرسلين تنبيها
على زيادة المدح والتعظيم اي بل اخذ الميثاق على خصوص المرسلين الذين هم ثلاثمائة
وثلاثة عشر بل على جميع النبيين الذين هم مائة الف واربعة وعشرون الفا من ارسل منهم ومن
لا قال نبينا علي وابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وياخذ العهد
بذلك على قومه ام وبحضور الاية ماذكره من اخذ العهد والميثاق على قومهم بذلك لانه اذا
كان الرسل يتبعون الايمان به صلى الله عليه وسلم ونصره كلفوا بذلك اتباعهم بلا شك
اذ المراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال الامام ابن السبكي دلت الاية على انه
لو ادرك زمانه لكان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء
واممهم من لدن ادم الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون في قوله وارسلناك الى الناس كافة
وحكمة اخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم

[illegible marginal notes]

وقد يعبر ذلك في الزمان بكونه أشبه بليلة الإسراء وبعضها ذلك في الآخرة للانفع كلمعة لوائه و

بنزل عيسى في آخر الزمان يحكم بشريعته ((انتشار هي كالعصور وتسموا))

((بك علياء عن علياء)) أي تتصاعد بك العصور في الأزمان الطويلة جم

عصر ونسبة التصاعد للعصور مجاز فكل عصر يعتني على العصر الذي قبله بوجودك فيه بكمال أعلا مما قبله وأعظمها افتخار عصرك الذي هو آخر العالم ثم عصور الحواركة طوراً بعد طور ثم عصور اتباعك على تعاقبهم إلى قيام الساعة ثم عصور أحوال يوم القيامة وقوله وتسموا أي تعلوا وترتفع بسببك علياء ثانية أعلا بعد عليا في الزمان والعلو مرتبة أخرى علياء أي أعلا منها أي لك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلا مما قبلها وأعلا منها ما بعدها وهكذا وكذا لولا ربك زاد علاه فكان صلى الله عليه وسلم دائم الترقي فكلما كان تواترت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى إلى مرتبة أعلا مما هو فيها ورأى ما قبلها دونها فيستغفر تواضعاً وطلباً للترقي كما له وفي قوله وتسموا الخ من المدح ما لا يخفى على عكس المعهود من كونه يسموا بها لأنه تعلى خلقه في عالم الأزل على أكمل كمال لا يمكن أن يوجد لمخلوق ثم أبرزه في عالم الخلق متدرجاً في تلك المراتب ليتشرف بهم لا ليتشرف بها لأنه كامل قبلها

((وبدا للوجود منك كريم ـ من كريم آباؤه كرماء))

أي ظهر للوجود أي لهذا العالم منك كريم أي سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا التجريد وهو أنه ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الأمور تلك الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث أن ينتزع منه شخص آخر مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي تجرد من أصل أي أب وأم كريم أي سالم من نقص الجاهلية وآباؤه جميعهم من لدن آدم إلى أبيه وإضافة الآباء كرماء أي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم كما تقدم

((نسب تحسب العلا بحلاه ـ قلدتها نجومها الجوزاء))

أي نسبه صلى الله عليه وسلم نسب عظيم بل لا أعظم ولا أجل منه في الأنساب أي إذ الجد الصالح العالي عليا كبرى وكبر وهي المراتب العالية جمع جلية أي بسبب حلي ذلك النسب قلدتها والقلادة ما يجعل في العنق وضميره عائد على العلا والجملة من قوله قلدتها في موضع المفعول الثاني لتحسب والأول هو العلا والجوزاء فاعل قلدتها ونجومها على حذف الجار أي بنجومها والجوزاء اسم لبرج في السماء

وتطلق

ونطلق على النجوم المجتمعة المعروفة وقيل هي تشبه المرأة ولذا نصب التغليب لها أي من كمال هذا النسب وشرفه أن كل من تأمل فيه حسبه بسبب ما تحلى به من الكمالات أن معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها أي جعلت نجومها قلادة لها فجعل من كلامه أن كل واحد من أولائك الآباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كأنه النجم في الشرف وعلو المرتبة والإضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يكفر الظان أنه نجم من نجوم الجوزاء وأن ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وأن مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جواهره تقلدته عنق تلك المراتب العلية

((حبذا عقد سؤدد وفخار ـ أنت فيه اليتيمة العصماء))

كلمة مدح وعلا معه زيادة علية إشعاراً بأن الممدوح محبوب القلب وأصله حبب بالضم أي صار حبيباً ثم أدغم والإسم أن ذا فاعله ويلزم الإفراد والتذكير مطلقاً لأنه كالمثل أو لما فيه من العموم كالحصر والأمر والشأن والعقد بكسر العين القلادة من الجوهر والسؤدد السيادة والفخار التمدح بالخصال الجميلة واليتيمة أي التي لا شبيه لها في حسنها والعصماء من العصمة أي المحروسة الممنوعة من أن تصل إليها يد الأغيار

((ومحياك كالشمس منك مضيء ـ أسفرت عنه ليلة غراء))

المحيا الوجه وهو معطوف على عقد ومنك حال منه ومضيء مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا أو حال منه وأسفرت أي أضاءت عن ذلك المحيا وغراء أي بيضاء الظهور نوره صلى الله عليه وسلم فيها والجملة صفة أو حال وشبهه وجهه صلى الله عليه وسلم بالشمس لعظمها بجامع الإضاءة والاستنارة والإشراق والحسن والبهاء وقد ورد في حلية صلى الله عليه وسلم الحسن كله وهو شبهه من موضعه من الصحابة فقال كأن الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وقال آخر إذا رأيته قلت الشمس طالعة وقال آخر القمر ليلة البدر بل هو عنده أحسن من البدر ولأن الشمس والقمر في وسط السماء ونورها يغشى مشارق الأرض ومغاربها فكذلك هو صلى الله عليه وسلم في موضعه من السماء الشرف والنور من فرع الوجود شرقاً وغرباً وأرضاً وسماء فينتفع المؤمن بل والكافر فيما هو وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ثم إن تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر على سبيل التقريب والتمثيل أحسن ما يرى في الوجود لا أنه هو صلى الله عليه وسلم أعلا وأجل ومحيّاه أرفع وأكمل وأعظم وحسنه أعظم ونوره أبهر وأدوم ونفعه أتم وأعم ولا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به أرفع من المشبه

وقد يكون بالمثل والوزن بشاهد قوله تعالى مثل نوره كمشكاة وابن نور المشكاة من نوره تعالى

انه ليلة المولد النبوي كان للحبيب سرور بيوم واذ نعمة

انعى الاكثرون انه ولد عام الفيل بعد الوقعة بخمسين يوما والذي عليه الجمهور وهو المشهور انه ولد في ربيع الاول الاثنتي عشرة خلت منه واذا كان في شهر ربيع ولم يكن في غيره من الاشهر المعظمة قيل تنبيها على ان الحق تفضل له الشرف به قال الله تعالى في الى وجود اهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان وهذا العشرين منه وفصل الربيع هو افضل الفصول واحسنها واكثرها ضوءا ونورا وابهجها اشراقا واقربها الى الاعتدال واحلفها للانشراح السرور والافراح فتحيي به الارض بعد موتها وتخرج نباتها وبركاتها وتكتسي انواع الازهار والانوار وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن اجله اي زوج كل شيء وحياة الخلائق وكذا قال مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم محبيه حب الشفاعة وحبيبه محبة السعادة فكانت ذاته صلى الله عليه وسلم نورانية فالانوار تسطع عليه لانعكاسه للمطلق الانوار بالانوار المحبوبة به ونوع غريب وحسن بديع فتنفعل له النفوس الكريمة وتنجذب نحوه الطباع المستقيمة وتميل معه بكليتها الارواح الخيرة المحبوبة وبشهد صحيح الادراك في شهوده مطلوب ومرغوب وتحصل غاية السرور بقربه ورؤيته اذ هو صلى الله عليه وسلم كالجنة فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فناسب مجيئه في الربيع اذ هو للارواح قوت وربيع وفي المواهب فيا شهر اهل الشرف والوجه منه ليلة كانها الليالي في العقود وفي وجهه ما شرف من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا كما قيل

يقول لنا لسان الحال عنه وقول الحق يعذب للسميع

فوجهه والزمان وشهر وضع ربيع في ربيع في ربيع

اهـ والمشهور انه ولد يوم الاثنين وفي مختصر الامام احمد عن ابن عباس ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وهاجر من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وفي بعض طرقه وانزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين ووضع الحجر الاسود يوم الاثنين وفي هذا دلالة على عظمة يوم الاثنين على سائر ايام الاسبوع الا يوم الجمعة وانما جول يوم الجمعة اشارة الى ان الزمان يتشرف به ولعل السر في تفضيل يوم

الاثنين وترجيحه على غيره من الايام الا يوم الجمعة والكلام في تفاضل يوم ولادته للاعصم يتضمن بانه افضل من يوم الجمعة ومن سائر المواسم وقد كان يوم الجمعة معظما عند العرب ويوم السبت معظما عند اليهود ويوم الاحد معظما عند النصارى فعظم الله يوم الاثنين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خاتمة الايام المعظمة كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ثم ما تقدم من كونه ولد نهارا انه بعد طلوع الفجر هو غير واحد وورد ما يدل على انه ولد ليلا كحديث الحاكم عن عائشة قال الحافظ والصواب انه ولد نهارا وجزم به ابن دحية وتبعه الزركشي والاقتصار ما روي ان النجوم تدلت عند ولادته لان زمان النبوة صالح لخرق العوائد ويجوز ان تسقط النجوم نهارا على انه لا يلزم من ذلك سقوطها بالفعل وهو بعيد لطلوع الفجر بقربه والنجوم باقية وفي ذلك من المناسبة ما لا يخفى

الولادة

وقد صرح العلماء رضي الله عنهم بان ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم افضل من ليلة القدر كما قلنا سواء قلنا ولد ليلا او نهارا ووجه ذلك في المواهب بوجوه ثلاثة كلها مدخولة والصواب ما حققه شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله وذلك ان نقول كل ماله شرف انما اكتسبه ونال هذه صلى الله عليه وسلم فيه فتشرف الزمان والمكان وغيرهما اذ هو الواسطة في كل نعمة لكل من نعم عليه وبيده مفاتح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شيء من الخصوصيات والفتوحات والانوار والاسرار الا على يديه فشرف كل شيء بحسب القرب منه وعلى هذا فلا شك ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم اقرب اليه من ليلة القدر ومن هنا كان خير القرون القرن الذي كان فيه الخ وافضل الصحابة ابو بكر لشدة قربه منه المعنوي وانظر نص العلماء الموضع فيه قبره صلى الله عليه وسلم على العرش والكرسي والجنة وسدرة المنتهى وغيرها وكذا افضلوا الارض على السماء وقال مالك المدينة افضل من مكة وماء زمزم افضل من ماء الكوثر لغسل قلبه الشريف به وكذا الماء الذي نبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ثم نقول انا نص على افضلية ليلة القدر لتعلم افضليته اذ لا نعلم الامر الشرعي وليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم لا يحتاج الى التنصيص على افضليتها لشدة وضوحها وغاية ظهورها فهو كالاخبار بالمعلوم والله اعلم واذا ثبت ان ليلة ولادته الخ ولو فيها او ولو عبيتها افضل الليالي واليوم الذي تسفر عنه افضل الايام فهو عيد وموسم فيعظم ويحترم ويجعل فيه ما يدل على التعظيم والاحترام كما احتفل به الامام الحافظ الامير العراقي والجلال السيوطي وقال الامام ابن

عبادة في رسالة له وأما المولد فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم
وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع
وإمتاع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لا
ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح ثم ذكر حكاية تقع مع الشيخ ابن عباد
الصلاة ثم قال في رسالة أخرى ويكون هذا الأمر يكون في الصدر الأول وحيث الإيمان
راسخ في القلوب وشرائع الإسلام مطوية على تعظيمها والانقياد إليها بالإذعان وا
لخضوع لبعض ذوي المصالح حيث لم يبق من الإيمان إلا الاسم ولا من شرائع الإسلام إلا الرسم وحين
أن يذهب من أيدي هؤلاء الناس اسمه ورسمه وتسلب عنهم معرفته وعلمه فلم يبق
لهم بأيدي الناس من الدين إلا أنهم إذا سمعوا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم تذكروا به لم
أبدا نعم وتمسكوا بالصلاة عليه المشتهر بالمتبقعة في مثل هذا الوقت المخصوص
لوجود حبيبهم المأمور ويتجلى بالانقباض والعبوس ويلزم هيئة مستحسنة في الملبوس
لم يجمع أحد منهم فتوى ولا قبل لهم دعوى وإن كان في علم مالك مثلا والعوام
لا يباشرون إلا المحسوسات من المنكورات والمسموعات والملموسات وأما الأ
مور الروحانية فهم بمعزل عنها فإذا ترى الناس يجيئون في ذلك اليوم متجملين متطيبين
متشوقين إلى أن يفرغ سمعهم فارغ من ذكر اسم نبيهم وحبيبهم فيلمحوا بذلك
فرحا وسرورا ويبتهجوا به استلذاذا وحبورا فمثل هذا لا يضيع لهم عند ربهم
في مرجعهم ومآلهم وهذا أبو لهب على ما هو عليه رءاه العباس رضي الله عنه
فسأله عن حاله فقال صرت إلى النار ولا يخفف عني إلا يوم الاثنين لأني لما ولد محمد
رسول الله بشرتني به جاريتي فأعتقتها فإذا أدركت رحمة الله كافرا قطع في
في عداوته وأذاه بسبب فرحه بولادته فما ظنك بمؤمن صرف في محبته وولا
في دعوته جعلنا الله من أمته برحمته ونسخ وانظر المواهب

وتوالت بشرى الهواتف إن قد ولد المصطفى وحق الهناء

أي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يبصر شخصه و
المراد هنا ما هو أعم من ذلك فيعم أخبار الأحبار والجان والحجر ومحق الهناء أي
وجب وثبت الفرح والسرور به لكل العالم وفي ذلك طائح جدا وعطاكم في تل
ونحم في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان بمر الظهران راهب يدعى
عيصا من أهل الشام وآتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة

يدخل في كل سنة مكة ويلقى الناس ويقول يوشك يا أهل مكة أن يولد فيكم مولود
تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته
كان صبيحة ذلك اليوم الذي ولد فيه المصطفى خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى
عيصا فناداه فقال عيص كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه
يولد يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين الخ وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال
سمعت أبي وكان من أوعية العلم أن اللات والعزى خرجا من خزانتهما وهما يقولان
ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق وكانوا يسمعون صوتا من داخل الكعبة
يقول الآن نورد على نوره الآن يجيء زوار الآن المصطفى من أعناق الجاهلية أيتها
العزى هلكت وتزلزل البيت ثلاثة أيام وأخرج ابن عساكر عن عروة بن الزبير أن نفرا
من قريش منهم ورقة وزيد بن عمرو بن نفيل دخلوا على صنم لهم فرأوه مكبوبا على
وجهه فأنكروا ذلك وردوه على حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب الثالثة
فقالوا إن هذا الأمر حدث

وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء

أي تحرك إيوان كسرى وانصدع بل سقط منه أربع عشرة شرافة والإيوان بناء في غاية
من العظمة والإتقان والإحكام يعد للملوك والحكام كان يفتخر به أنه لا نظير له
بعثت الصور وكسرى لقب لملك العرب كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان
لملك العرب والنجاشي لملك الحبشة والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخا
قان لملك الترك وفي سقوط العدد المذكور إشارة إلى زوال ملكهم وعزهم بملك
المصطفى وعزه وفي ذلك العدد الإشارة إلى أنه لم يبق من ملوكهم إلا أربعة عشر
فملك عشرة في أربع سنين وأربعة إلى زمن عثمان وقد فتح في زمن عمر الفرس فلم
يبق ولكسر كسرى وأهانه غاية الهوان ونفد هو إلى أقصى مملكته ثم قتل في
زمن عثمان وزال ملكهم بالكلية وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا هلك كسرى
فلا كسرى بعده وأن أمواله وكنوزه تنفق في سبيل الله فانقطع ملكهم وزال من
جميع الأرض لأنه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد
بشر أمته في حفر الخندق بملك بلاده وقال الصرافة وكان من معجزاته كيف يك
إذا انهدمت سواري كسرى فلما ضرب بها عمر البصرة ابان الظهار المعجزة وقال الجمع لم
التي تلبسها كسرى والبسها سراقة

وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاء

غدا بمعنى صار ووقع والموضوع بعدها

إما فاعل أو اسم والمنصوب هنا مقدّر أي مكروبا والمراد أهله وهو إما حال أو خبر والجملة من قوله وجه كربة وبلاء دالة عليه والكربة بفتح الكاف غم يأخذ النفوس فمن أهل أهلكهما وحاصل ذلك لهم مع بلاء عظيم منه الله عليهم صباً من أجل خمود نارهم فمن أي عطاكرا أن نيران كسرى خمدت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد أو وهم مجوس أهل الفرس كانوا يوقدون النار ويعبدونها ويوقدونها الجمر من السنين حتى أحالته على ذي الطبقة وأطفأ الطبعة من بلاد فارس كلها والبيوت التي كانوا يوقدونها فيها في ساعة واحدة بغير سبب ولم يوقدوها وما الجمر فعلموا أن ذلك لأمر عظيم حدث في العالم وكان ذلك سببا لإزالة ملكهم وتفريقهم كل ممزق

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها إطفاء

غارت العيون أي جفت وذهب ماؤها وكانت للفرس عيون تجري ماء منها أيضا وكانوا فيها من كثرة المياه وصغتها ما تحيل العادة غيضه حولها لعمقه أميالا وعرضها كذلك والاستفهام للتعجب من حالهم وتوبيخهم وتقريعهم أي ما خمدت النار وانطفأت المياه المذكورة وإنما ذلك لظهور وجود نبينا صلى الله عليه وسلم ليطفئ به كل لهو وباطل

مولد كان منه في طالع الكفر وبال عليهم ووباء

مولد أي عظيم إما بالجر بدل أو بالرفع أي هو طارئ من أجله على الرواية طالع الكفر أي ما يطلع به على عواقبه وغايته من النجوم والعلم وبال أي وخم عظيم ووباء أي مرض عام وهما كناية عن كسر شوكتهم وضعف قوتهم وفي البيت من البديع الجناس اللاحق بوبال ووباء ومن عقيدتهم أنه إذا ابتدأ من حرف من مخرجه أو قريب منه فهو مضارع كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير والا فهو اللاحق كما في البيت

فهنيئا به لآمنة الفضل الذي شرفت به حواء

العلاء للحبيبة أي فبسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لعلوه إلا منه من المزايا ولمن العطايا والإنابة وأعطاته من الشرف الأكبر والتمييز الأشهر حتى أنه يقال بعثنا امرءه هنيئا وهنيئا اسم فاعل من هنؤ كشريف من شرف وهو ما لا تعب فيه ولا نكر أو ما أتيك بلا مشقة وهو حال مؤكدة لعاملها الملتزم إضماره إذ لم يسمع الا كذلك والفضل مبتدأ ولآمنة خبره أي بحبيبه صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن كل أم انتسب لها النبي صلى الله عليه وسلم فقد حصل لها الشرف والفضل الذي لا تعب فيه ولا نكد ثم وجه هذا الفضل بكونه

هو الذي شرفت به حواء أم البشر لكنه أي آمنة أحق لعدم الواسطة وخص حواء بالذكر لأن حواء هي سبب الإيجاد الأول وآمنة سبب المصطفى فهي نتيجة الاستعداد فيه ذكر الطرفين لدخول الوسط لأنه أحرى من الكرم الأول لأن مزال الفضل على القريب كما تقرر وهو حسي ومعنوي

من لحواء أنها حملت أحمد أو أنها به نفساء

هذا بيان التمييز آمنة على حواء بذلك وهو استفهام إنكاري للاستبعاد بمعنى النفي ولحواء متعلق بمحذوف أي من يشفع لحواء أن تصحب مثل هذا المرسل فتلك من غير واسطة لكان لها غاية الفخر بل لأكرم بمعزوز ذلك وإنما فارقت آمنة كما سبق علمه لأنه خاتم النبيين فليس لحواء تشفع بشفع لها أو أنها نالت لما سبق كذا قرره ويحتمل غير وجهاً آخر وهو أنه لما ذكر أن حواء حصل لها شرف الولادة العليا قال من مخبر لها بأن ذلك المولود الكامل قد برز وظهر ومطرأ حملها به فإن نفسهم ليبشرها بذلك فيكمل سرورها وصبرا أنها كآمنة

يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء

يوم بحر من مولد والظاهر أنه ظرف لما يليه والضعف منه أن يكون متعلقا بمحذوف أي أذكر يوم ونالت أي أعطيته والفخار التمدح بالخصال الحميدة يقول أن آمنة أعطيت بسبب ولادتها النبي صلى الله عليه وسلم من الفخار والشرف ما لم تنله امرأة من النساء وهذه مزية اختصها الله بها وهي لا تقتضي التفضيل على غيرها مطلقا لغيرها

وأتت قومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء

أي وفي يوم أتت آمنة قومها الرجال والنساء منهم بمولود أفضل مما أمر عيسى الذي حملت به قبل آمنة مريم بنت عمران العذراء أي البكر التي لم تتزوج وأوقع النائم ما على العاقل وهو عيسى نادرا وقيل إنها تقع على الآحاد من يعقل كثيرا والصواب أنها وضعت وعيسى فيها بمعنى الصفة على حد ما قاله الولد قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يريد أن يوم ولادة آمنة لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو يوم أتت أنها بالمولود الذي هو أفضل من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بسبب أن حبيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخص عيسى بالذكر لما فيه من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة فمن آيات عيسى أنه من أم بلا أب وأنها لم تخبر بحبيب ذو عيها الحملت به ووضعته من وقتها كرامة لها ومعجزة له وإنه يبرئ

وخص عيسى بعزل مع نصرته في قبل انه افضل الانبياء
لانه ينزل من السماء على منارة جامع بني امية البيضاء
شرقي دمشق كما رواه مسلم في اخر هذه الامة ويقتل
الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية والنفير بعد نزوله الاستيفاء
ما لعل من نوع شريعة نسخت بكتاب يتشرف به انه فيكون
من اتباعه ولاجل ذلك يصلي وراء المهدي اولا ثم يتقدم
بعد اعلاما بانه لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما
بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وخبر البخاري انا اولى الناس
بابن مريم في الدنيا والاخرة ليس بيني وبينه نبي وفيه رد
على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبي اصحاب الرس
وخبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق ادخله
الله الجنة على ما كان من عمل ولا يبلغ هذا فضيلة نبينا
صلى الله عليه وسلم الاعظم

الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وما من مولود من بني ادم الا نخسه الشيطان فيستهل
صارخا الا عيسى ابن مريم لقوله تعالى واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
ورفع الى السماء وينزل في اخر الزمان فيحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكلم
الناس في المهد وكذلك في الحقيقة اية من ايات النبي صلى الله عليه وسلم لانه الخليفة
الاعظم والملك الاكبر الذي له التصرف المطلق والاذن العام في المملكة باجناسها وا
نواعها واصنافها وجزئياتها وذلك بتمليك الله تعالى له واستخلافه اياه والمعطي
والمعز والموصل الى كل ذي حق حقه ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم القاسم لانه المتولي
لقسمة مواهب الله تعالى واعطيته فكل من حصلت له رحمة في الوجود او حصل له فهم
ما رزق في الدنيا والاخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فانما حصل له ذلك
على يديه وبواسطته صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقسم الجنة بين اهلها والغزا
عدوا من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اعطي مفاتح الخزائن وبسبب حيازته صلى
الله عليه وسلم للفضائل كلها والفضائل والفواضل باسرها استحق ان يسمى محمدا و
معناه انه من كثر حمد الحامدين له فجاء هذا الاسم الشريف ملائما ومناسبا لذلك المعنى
المنيف لما يدل عليه بحسب وضعه الاصلي الملاحظ بعد الوضع العلمي من تعدد الحمد وتكثره
وتكرره كما ان اسبابه متعددة وظروفه متكاثرة وموجباته غير منحصرة فهذا من الكمال
وما احسن وضع الشيء في محله واعطائه لمستحقه ومجيئه به على حقه وقد قال بعض
العلماء ان هذا الاسم الشريف يشير الى ما يشير اليه اللقب من المدح ومن اسمائه صلى
الله عليه وسلم احمد فهو احمد الحامدين لله تعالى وانه الاحمد الاكبر والمحمود الاعظم وقد
جمع بالمعاني الحامدين كلهم نوابه اذ هو الذي جمع الحمد واوصل الجميع الحمد باسبابه
الحامد على الاطلاق والمثني في جميع الاوقات والاحوال والحامدون عالة عليه اذ الثنا
على الله بحسب المعرفة ومعرفته صلى الله عليه وسلم لم يبلغها احد ولا يصل اليها فكانت
محمود انه صلى الله عليه وسلم على حسب ذلك فصيغة المبالغة دالة على الكثرة وبهذا
تعلم ان كونه صلى الله عليه وسلم احمد سابق على كونه محمدا وفي هذا الاسم الشريف الاشارة الى
كمال محبوبيته صلى الله عليه وسلم لما في معناه من المطابقة لاحمديته بثناء الله تعالى عليه بنفسه
في كتبه وبالسنة خلقه اذ الثناء الجلي اعلام الحمد والمحبوبية فيه اظهر وان كان فيه
ايضا من حيث الجملة ابلغ واستعماله في خدمته ومحبته ومعرفته ومعنى المحبة فيه
اظهر ولظهور معنى المحبوبية فيه كان اشهر اسمائه عند جميع المسلمين والشوق الى

الصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعض من توجيه هذه الطايفة بهذا الاسم و
المسمى ان هذا الاسم الشريف هو الاسم الجامع لمعاني اسمائه اذ كل اسم دال على صفة
او مواظبة نحو كما بعلي مكي ومانح خاتم مصطفى مختار امير مامون الى غير ذلك من اسمائه
ومحمد شامل لجميع ذلك اذ معناه محمود في الصفات الخ فانظر هذا مع ما يتعلق بهذا
الاسم واما لفظه فقال بعض العلماء في اسم محمد ثلاث ميمات اذا بسطت كل ميم منها
فلفظ ميم وعدده تسعون فتحصل من الميمات الثلاث مائتان وسبعون واذا بسطت
الحاء والدال فلفظ دال خمسة وثلاثين وحا تسعة فالجملة ثلاث مائة واربعة
عشر فتلك عدة الرسل عليهم الصلاة والسلام وقال في الميم الاولى للملكوت الاعلى
والعلم الاول والبر والاخرين ولمحو الكفر وتمم الله به على المومنين والحاء المحبوبة بالايمان
والمحبة وحكمه في الخلق بحكم الله والميم الثانية للملكوت الباطن والملك الظاهر ومنه
تشعير الاسم مع الاسم ومغفرته لامته والدال الدوام والاتصال المرفع وهم الانقطاع
والانفصال وهو الدليل لجميع الخلق والداعي الى الله ثم ان هذا الاسم الشريف باعتبار
هيئته فيه اشارة الى ان مسماه هو المقصود الاكبر من النوع الانساني ولذلك خلقوا
على صورة اسمه وشكل كتابته فقد روي عن ابن عباس وابن عمر وابي سعيد الخدري رضي
الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يابن عمر اتدري من انا انا الذي خلق الله ادم و
ذريته على حروف هجاء اسمي محمد هكذا كانت كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم في الافق
عال الراس والوجه بمنزلة الميم الاولى واليدان اذا امد ذراعيه بمنزلة الحاء والبطن بمنزلة
الميم الثانية والرجلان بمنزلة الدال ذكره العراقي وغيره وقال جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنهما انا من تسمى باشهر اسمائه اعني محمدا او احمد ادخله الجنة لكرام اسمه
وروى ابن وهب عن مالك انه تطرح البركة في اهله وجيرانه وانظر المواهب تلف بعجائب
شمتته الاملاك اذ وضعته وشفعنا بقولها الشفعاء
التشميت بالمعجمة والمهملة هو ان يقول للعاطس يرحمك الله اما دعاء له بان يرحمه
الله ويجعله ممن شمتته اعداؤه او ببقاء سمته على ما كان عليه لان العاطس ربما
كان سببا في تغييره والاملاك جمع ملك بمعنى الملائكة وشفعنا اي جعلنا واد خلت علينا
السرور بقولها الاتي التي يشفي العليل ويبرد الغليل والشفاء في الماء المقصود هي
ام عبد الرحمن بن عوف فقد روي عنها انها قالت لما ولدت اسمنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله انظر تمامه في

الله

العواهب وظاهره ان استهلاله صلى الله عليه وسلم كان بالعطاس

رامقا رافعا راسه وفي ذلك الرفع الى كل سؤدد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شانه العلو العلاء
وتدلت زهر النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجاء
وتراءت قصور قيصر بالروم يراها من داره البطحاء

روى ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت امنة تحدث وتقول اتاني ات حين مر بي من حملي ستة اشهر في المنام وقال لي يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك قالت ثم لما اخذني ما ياخذ النساء ولم يعلم بي احد لا ذكر ولا انثى واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني ثم رايت كان جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاضاء مني نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينما انا اتعجب واقول واغوثاه من اين علمن بي فقلن لي نحن اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الامر وانا اسمع الوجبة كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينما انا كذلك اذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذاه عن اعين الناس قالت ورايت رجالا قد وقفوا في الهواء بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت وكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في اسرع وقت الحديث وروى الخطيب البغدادي بسنده ان امنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيبته عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واعطوه

خلق

خلق ادم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في اخلاق النبيين قالت ثم انجلت عني فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها الا دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه صلى الله عليه وسلم واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه بالحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الي وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان امنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء وروى الطبراني انه لما وقع على الارض وقع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن ابي العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي وفي هذا ان ذلك النور من النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما يقال من الناس انه من النجوم واخرج الامام احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رات وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن امنة قالت لقد رايت ليلة وضعته نورا اضاءت له قصور الشام حتى رايتها واخرج ايضا عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان امنة قالت رايت كانه خرج من فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام وعن هشام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد قال بعض الائمة وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء

به من النور الذي اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وأما اضاءت قصور بصرى بالنور الذي خرج معه ففيه
اشارة الى ما خص الشام به من نور نبوته وانه دار ملكه كما ذكر كعب الاحبار ان في الكتب
السالفة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الشام انتهى ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه وسلم
الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى
ابن مريم عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر واخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم
وصححها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبي
اليها خيرته من عباده انتهى ملخصا من المواهب **تنبيهات الاول** روى ابن عساكر
عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم ولد معذورا اي مختونا مسرورا اي مقطوع السرة وروى
الطبراني في الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي اي عورتي وقول الحاكم في
المستدرك تواترت الاخبار بذلك مراده كما قال النووي وغيره الاشتهار والاستفاضة
بين الناس لا التواتر اصطلاحا وفي العبارة تجوز لان الختان هو القطع واطلق المراد ولو على
تلك الهيئة من غير قطع انظر المواهب **الثاني** دار ولادته صلى الله عليه وسلم بمكة بالموضع
المعروف بزقاق المولد ويقال زقاق الحجر وتعرف الدار كان وهبها
النبي صلى الله عليه وسلم لعقيل بن ابي طالب ولم تزل بيده حتى مات وباعها ابنه لمحمد بن يوسف
اخي الحجاج حتى جعلت الخيزران جارية المهدي ام هارون الرشيد وقيل زبيدة زوجة هارون
فجعلتها مسجدا فهو الى الآن مزار وموضع الولادة منه معين متميز عليه كسوة خاصة و
كان الزقاق المذكور يسمى بزقاق الحجر لاجل الحجرين الذين هنالك ملصقين بجدار يرى احدهما
[illegible] من ناحية المسجد الحرام مار الزقاق الوارد بقرب دار ابي بكر رضي الله عنه وبه
اثر مرفق ذراع النبي صلى الله عليه وسلم يقال انه اتكأ عليه فلان والآخر يقال له يا محمد بقال
انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويخبره عن حال ابي بكر وقد زرنا جميع ذلك والحمد لله
الثالث لم يولد لابويه صلى الله عليه وسلم غيره فلم يشركه في ولادة ابويه غيره ام لها
اخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة
غاية ولتمام الشرف نهاية قاله القسطلاني **وتدبير رضاعه معجزات**

سن النبي فيها عن العيون خفاء ~ اذ انتم للتيمم مرضعات
فقر حليمة التي عنا غشيها ~ ما نشء من الاسعد فات
فو ابنتها الشعر ما ارضعته

قال في المواهب قد ذكروا انه لما ولد صلى الله
عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد امثالها قيمة قالت الطيور نحن نكفله
ونغتنم خدمته العظيمة قالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى
لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه
الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة **قالت** حليمة فيما رواه ابن اسحاق وابن راهويه
وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس
الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما ينض بقطرة
لبن وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذلك لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا
مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا
قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت
لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم
فلاخذنه **فذهبت** فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة
خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا
فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل
خلال السماء وانا انظر فدنوت منه رويدا فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل
عليه بما شاء من اللبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد **قال** اهل العلم اعلمه
الله ان له شريكا فالهمه العدل **قلت** والظاهر منه ان يكون شريكها اخاه الذي ما عليه
شربته وما استعربت عليه عادة تشهد صحبة التيام في اموره كلها وانه هو وامه من اهل اليمين
وان البركة تظهر عليها الآن الجمي البركة **قال** بعض المحققين وقد جرت عادة الله تعالى
ان من قصر النظر على الصور والظواهر ولم يتامل البواطن ولم يحقق على الحقائق كان
ذلك في حقه حجابا **ومن** نظر الى الشيء نظرا اجماليا ولم يتنزل الى التفصيل لم يعلمه ولم يطلع
على اسراره وذلك ضرب من التقصير والعجز والاعراض وعاقبته الحرمان **ومن** امعن وتامل وغاص
على الحقائق واعتنى بها في الظواهر من الصور انقشع عنه حجابها وتجلت له لبابها
ومن نظر الى الاشياء بالتفصيل عثر على سواء السبيل ووصل الى التحقيق بالبرهان والدليل
وخبر حليمة من النسوة سلك المسلك الاول فجعل يبغض ويبس الكنز لظلمة الوهم الذي لبس عليه

[illegible]

وهي سالكة المسلك الثاني، وبخلقه لغلبة الطابع معدل المعاني، وحصل لها الجمع بين البداية والنهاية
ثم نقول جرت عادة الله تعالى بأن مجرد الطمع في العرض الزائل علامة على فقد التمام به، والزهد
في الخير وعدم الاعتناء بالاحسان، نتيجة اللوم والخسران. فالعاقل يجب عليه حقوقهم
فالتشعر فيها، وتوصل بما يلتمس بها حينئذ، ولا يخليها من غصن عجيب، ووجه محض مليح
حتى لا يكون من المتغيرين بمجرد الشهوة والهوى، وناقص العقل يغتنم تشعوته، ويجعل
طمعه عمدته، غير ملتفت الى مواهب الخير، وتتابع الاحسان، ولا يراعي مقتضى الرحمة ومجازاة
الرحمن. فحليمة رضي الله عنها سلكت المسلك السابق فلاحت لها المغانم، واثمرت
لها الفوائد، وغيرها سلك المسلك اللاحق فبقي قاصرا عما وصلت اليه منقطعا عن الخير
ثم نقول جرت عادة الله تعالى بأن الشيء العزيز لا يتجلى لكل احد ابتداء، لأن الابتداء
بذل العزة، وانما يتجلى لمن صدق في طلبه بالعزم الجازم وهو مرة العزم قبل الوصول
عن الخصوصية فاذا اشتهر عزمه البيان وصل اليه فحينئذ تتجلى له خصوصيته ليكون مطلوبا
مرادا وتحصل ثمرته على غرة وبغتة من غير ترتب على استعداد ولا انقياد الى مداولة وعلاج،
فلو تعلقت خصوصيته صلى الله عليه وسلم للمرضعة ابتداء لتسارع اليه ولتغالت عليه لاكن
ليس العجب من تبجل له، انما العجب من يبذل فيصل ويكفي. ثم نقول كانت حليمة رضي
الله عنها افقر تلك المرضعات واحوجهن فجعلها الله لما بها على المرضعات ثم بعد جمعها لها صبيانهن
من اجل فقرها قبل تعرضهن بذلك فلسبقها او تأخرت نفيسها فجبر الله كسرها وصرعها واغنى
روعها ابتداء بأن فضله لا ينال بحيلة ولا يتوصل اليه بعز ولا نخوة، ولا يتغلب عليه بحول
ولا قوة، بل يؤتيه من يشاء من الفقراء والضعفاء لما لهم من وصف الانكسار ومعنى الافتقار
وبذلك يتقرب باهل قربته وغالب مشيئته، حيث يرفع الشارد ويضع الخامل وعند ذلك تبطل
دعاوى المدعين ويختبر عجزهم وفقرهم الى رب العالمين. ثم نقول ايضا ان السبب في حليمة
رضي الله عنها لم يعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم للمرضعات اولا وعند غيرها عرض عليه فأبوه
لطلب الغرض الدنيا والحال يحصل لهم الحرمان والابعاد، وهي رضي الله عنها رضيت بما لم يرض
به اهل الغناء فأعطاها عنها باب الشفاء والعناء، وكانت في القضية اشارة منه صلى الله عليه
وسلم الى الزهد في الدنيا والاعراض عن اهلها، وحب الفقراء والانبساط اليهم ومواساتهم
تنبيهات الاول توفي ابوه صلى الله عليه وسلم وهو ابن شهرين قاله ابن ابي خيثمة
وقيل وهو ابن سبعة اشهر، وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا، وقيل بعد حمل امه به
وهو الراجح المشهور، وكان عبد الله قد خرج ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم و

ومروا بالمدينة فتخلف عند اخواله بني عدي بن النجار واقام عندهم مريضا شهرا فلما
قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحارث فوجده
قد توفي ودفن في دار بني النابغة وتوفيت امه صلى الله عليه وسلم وعمره ست سنين
ومائة يوم كما ذكره ابن سعد عن جمع وذكره ابن عبد البر واقتصر عليه ابن فارس وذكر
عن ابن عباس لما توفي ابوه صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك
يتيما فقال الله عز وجل انا له حافظ وناصر، وقيل لمولانا جعفر الصادق لم يتم النبي
صلى الله عليه وسلم من ابويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق، وما قيل في قوله تعالى الم
يجدك يتيما فآوى وان كان خلاف الظاهر انه من قولهم درة يتيمة قال في الكشاف والمعنى
الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير به. واختار شيخ شيوخنا ابن زكري رضي الله عنه
ان يتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ارفع وتأسيس وذلك انه نشأ نشأة كاملة تامة
من جهة التخلي عن كل نقيصة وبراءة الساحة من كل عيب، وتقديس الجناب من كل ما ينقص
ومن جهة التحلي بفضائل الصفات وسنى الحالات واكمل الكمالات وليتميز ذلك من شأنه
الابتلاء الذي لم يجر لاحد ولا لام فيكون في ذلك جارا بائنا وعبر وعلامات تطابق مشهورة
الخبر تنتزل على اوصافه في الكتب القديمة وتحقق انه لتيقنه النعم والدرة اليتيمة. وقول
سيدنا جعفر رضي الله عنه لئلا يكون عليه حق لمخلوق اي حق لازم في حال او وقت لا يكافي
لعظمه فلا ينتقض بحق من كفله لانه يكافي، وقد كانت بركته صلى الله عليه وسلم ظاهرة
على كافليه فكذلك امة الزبير بن العوام في كفالته وقربه لما شعروا من كرامته وخبرانه
والحاصل ان المراد ان تكون يده العليا على كل احد وان يكون كل احد يخضع له ويتأدب
معه ولم يناسب ذلك وجود الابوين. الثاني الشفاء اليسيرة حليمة هي بنت ابي ذؤيب
واسمه عبد الله بن الحارث بن [illegible] السعدية نسبة الى جدها سعد واسم زوجها الحارث
ابن عبد العزى، وكانت حليمة وصحبتها في بني سعد كريمة من كرام قومها اختارها الله
لرضاع نبيه كما اختاره من اشرف البطون والاصلاب. قال ابن الجوزي وابن المنذر وغيرهما
[illegible] وغيرهم وقد قدمت على المصطفى بعد النبوءة فاسلمت واسلم زوجها. قال في الاستيعاب
وروى زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبد الله ام النبي صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة الى النبي عليه الصلاة والسلام يوم حنين فقام اليها وبسط
لها رداءه فجلست عليه روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها عبد الله بن جعفر
وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشيماء. وذكر بعضهم انها اسلمت

سى وزوجها وبنوها وذكرها ابو عيسى في الصحابة عن الطبراني وابي عمر وابي نعيم وابن منده
وكذا ذكرها ابن الجوزي وروى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن ابيه عن رجال من بني سعد
ابن بكر ان الحارث بن عبد العزى زوج حليمة ابا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة واسلم وحسن اسلامه فقالت له قريش الا تسمع ما يقول ابنك هذا قال
ما يقول قالوا يزعم ان الله عز وجل يبعث بعد الموت الحديث وفيه فجعل الحارث اهـ وقال
العلماء في كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة بحصول غاية الحلم
والسعد لهذا الرضيع مما لا يخفى على عليم وفهم وقد كان المصطفى يحب الفال الحسن قلت
الظاهر ان اسمها قال له عليه الصلاة والسلام ونسبتها قال لها لانها تعرف به التنبيه
الثالث لما قال ابن اسحاق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء اعترض عليه الشارح
عبد الملك بن هشام بان الصواب المراضع كما قال الله عز وجل وحرمنا عليه المراضع قال السهيلي
في الروض والذي قاله ابن هشام ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية
ابن اسحاق مخرج من وجهين احدهما حذف المضاف كانه قال ذوات الرضعاء والثاني ان يكون
اراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظة لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له
رضيعا يرضع معه فلا يبعد ان يقال التمسوا له رضيعا علما بان الرضيع لا بد له من مرضع
وكلام الناظم يساعد الوجه الاول التنبيه الرابع قال السهيلي في الروض التماس الاجر
على الرضاع لم يكن محمودا عند اكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع الحرة ولا تاكل
بثدييها وكان عند بعضهم لا باس به فقد كانت حليمة وسيطة في بني سعد كريمة من كرام
قومها بدليل اختيار الله اياها لرضاع نبيه عليه السلام كما اختار له اشرف البطون
والاصلاب والرضاع كالنسب لانه يغير الطباع وفي المسند عن عائشة ترفعه لا تسترضعوا الحمقاء
فان اللبن يورث ويحتمل ان تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطرارا للازمة التي
اصابتهم والسنة الشهباء التي اقحمتهم واما دفع قريش وغيرهم من اشراف العرب اولادهم
الى المراضع فلوجهين احدهما تفريغ النساء الى الازواج الثاني لينشأ الطفل
في الاعراب فيكون افصح للسانه واجلد لجسمه وقد قال عليه السلام لابي بكر حين قال له
ما رايت افصح منك يا رسول الله فقال وما يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد

قوله فسعدتها بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الاعظم ... من ... حليمة ... الرضاع ... والله اعلم

ارضعته لبانها فسقتها ... وبنيها البانهن الشفاء
اصبحت شولا عجافا واضحت ... ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل ... اذ غدا للنبي منها غذاء

اللبان بكسر اللام هو لبن الرضاع خاصة وقد تقدم انه تلذذ به ومطلقه للعضاء كلها والشفاء جمع
شفاء واتما سقتهم مع ذلك الحصل لا لنعمة بل ببركة النبي صلى الله عليه وسلم اصبحت شولا عجفا
تعليل لقوله فسقتها الخ او حال من الشفاء باعتبار حصوله او صفة له باعتبار ما علاقة الى
السببية على حد ولقد امر على اللئيم يسبني والشول بالتشديد جمع شائل وهو
في الاصل للناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها واستعملها في الشاة مجاز علاقته
المشابهة والعجاف المهزولات واضحت اي صارت اذ ليس المراد بالاصباح والامساء
حقيقتهما واتما المراد انها كانت على حال ما عندها غنيمة في اقرب زمان واخصب والخصب
بكسر اوله ضد الجدب اي كثر قوت العيش الاحمير والدواب والضمير عندها عائد على حليمة او
الشاة ويرجحه قوله منها والمحل شدة الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض وانما
حصل ذلك الاخصاب وقت ان كان طعام النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة غذاء
بالمعجمة اي لبنا يغذيه وفي حديث حليمة المتقدم فودع الناس بعضهم بعضا وودعت انا
ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي فنظرت
الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السماء ثم مشت
حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني وتقول النساء لي
وهن وراءي يا بنت ابي ذويب اهذه اتانك التي كنت عليها وانت جائية معنا
تخفضك مرة وترفعك اخرى فاقول تالله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها
لشانا عظيما قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني
الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين
من على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب
رب العالمين اهـ ومن المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حياة الموجودات وسرها و
كيميائها فلذا حصل للاتان من حمله ومباشرته والاتصال به شبه الحياة بعد الموت
بالقوة بعد الضعف ودخول السرور بعد الحزن والشبع بعد الجوع والفهم بعد الجهل
والنطق بعد البكم فنطقت على العموم لينتظم الخصوص بالنطق وسجدت شكرا لله
على تلك النعمة العظيمة التي انعم عليها بها واعترفت بما ادركت من احوال صلى الله
عليه وسلم وتكبيره هذا لاجل انها تعلم بموته صلى الله عليه وسلم فلم تاكل ولم تشرب حتى
ماتت والغاء حمارة يعفور نفسه في بير حزنا ووصياح الجذع الذي كان يخطب عليه
لما فارقه وسكونه لما التزمه ووضع يده المباركة عليه وميلان حيراء فرحا به وهو

كثير ثم قالت حليمة وجئت به رحلي فقام صاحبي تعني به زوجها الى شارفنا
فإذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة
والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تر ما بتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين اخذ
ناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا ثم قدمنا منازلنا بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها
وكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة
لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي
غنم بنت ابي ذويب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا
لبنا قالت فقال اهل القرية يا حليمة ان هذا المولود الذي عندك على وجهه نور فلو
اخذتيه معنا حتى نستسقي به الغيث قالت فاخرجته لهم فاخذوه وحملوه على ايديهم و
خرجوا الى ظاهر البلد فدعوا الله به واذا السحاب قد جاء بالغيث حتى خيف الغرق ا ه ابي
فبسببه صلى الله عليه وسلم حصلت الخيرات وترادفت البركات للسيدة حليمة ثم لعظم قدره
صلى الله عليه وسلم عم الخير جميع بني سعد وكثر افلاذ المواهب فلله درها من بركة كثرت
بها مواهب حليمة ونعيمه وارتفع قدرها به وصيته ولم تزل حليمة تحوز الخير والثناء
لذلك وتحوز منه بالحسنى وزيادة ولله در القائل لقد بلغت بالهاشمي حليمة
مقاما علا في ذروة العز والمجد وزادت مواشيها واخصب ربعها
وقد عم هذا السعد كل بني سعد مثل الغاية الغرضية الاخني
عليها من جنسها والجزاء بالهاشكلة تعجب من هذه الفعلة
الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابلة تبوي ترجو والع
ب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب وهو من مجاز التشبيه شبه ما يتعجب
منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل والتقدير يا منتهيا تامل ما استغربها ومنه تبين
اي نعمة منها عليه واللام في لغد للقسم وتضعيف الاجر كثرة الثواب اي تواليه وتتابع حال
كونه مستوليا على حليمة في الاستيلاء مجازا وعلى للتعليل على حد قوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هديكم وقوله من جنسها حال من الاجر وعطف الجزاء على الاجر من عطف
المرادف والمعنى انها لما تكرمت على اكرم الخلق وجادت على اجود الموجودات
جوزيت بما لا نسبة لعطائها له من عطاياها وهو لبن ثدييها وتوسعها وهو
تيسر قوتها وقوت زوجها وعيالها وذهاب اثر الجدب عنها وعن قبيلتها
واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

ثم

اي من العفو المعفو والمعفو ان الله تعالى اذا سخر اي ذلل ووجه الناس لخدمة سعيد
ومحبته والقيام بشانه ومطوعتهم فانهم بسبب ذلك سعداء لان بركة ذلك السعيد ويمنه
وبره ينسحبان عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والاخرة لان المرء مع من احبه ولم
يعمل بعمله كما جاء به الحديث ولان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها في عالم الارواح ائتلف
في عالم الاجساد ومن اعظم اجرها وسعادتها ان تبرا عشيرتها الباطنية اولا بسرها من
الايمان والهداية وانطباعها الجهالة والغواية وظلمة القلب بريان الكفر والشقاوة ا ه
بحصول الايمان والمعرفة بالله تعالى وتنور القلب بانوار الفيض والسعادة فجلبت الاضداد
الاضداد وعوض عن ايام الغموم والانتكاس ايام السعود والاعياد راجع التنبيه التالي
التنغم وفي البيت من البديع النوع المسمى بالكلام الجامع وهو ان ياتي الشاعر ببيت
تكون جملته حكمة او موعظة او تنبيها او نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال
كقول ابي الطيب واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

حبة انبتت سنابل والعصف لديه يشكو الضعف ا ه

لما قرر ما حصل للسيدة حليمة من الخصب ومن الجزاء من جنس العمل بين الضاعف المشار
اليها اي بهذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة ووجه الشبه بينهما تضاعف الجزاء وتلك
الحبة وتلك الحبة انبتت سنابل كثيرة جمع سنبلة وهو مجتمع الحب في كل سنبلة مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليسير ان العرب قد تذكر سبعا
كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا الخصوص العدد المعروف والواو في قوله والعصف
واو الحال اي والحال ان ورق النبات اليابس يشتكي عنده الضعف اي حصلت تلك المضاعفة
الكثيرة في تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عموم القحط والجدب بحيث ان
الفقراء يتطلعون على ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها
ذلك الخصب وكثرة اللبن والحال ان قومها يتطلعون على ورقة حبة او قطرة لبن فلا يجد
ونها كما فهم من القرائن وان المشبه به يفيد حال الشدة وان قوله والعصف الخ من
تمام المشبه به ولبعض نظائر والذي ذكره المفسرون في الاية المشار اليها هو الانفاق
مطلقا من غير تقييد بزمان الجدب وهو ابلغ من تخصيصه به وعليه فتقدير كلام
الناظم حالها كحال حبة انبتت سنابل ثم نبه على انها حصل لها هذا الامر خاصا بها
دون غيرها من قومها بل من شدة الجدب يطلبون العصف فلا يجدونه فظهرت عليها
العزة واختصت باعظم الخصوصية وذلك في الابتداء لتظهر الكرامة ثم بعد ذلك

عم النفع وبلغ كل مرامه ولشيخ شيوخنا ابن زكري
سنة باعتبار بعض الحضرة وبعض غيرها شهيا
شرحه «وأتت جدة وقد فصلته» «وبها من فصاله البرحاء»
اي وبعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين اتت به جدة عبد المطلب والحال انه قد
فطلته اي فطمته والحال انه قد لحق بها من اجل فطامه البرحاء اي الشدائد
الكثير لما شاهدت من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها
«اذ احاطت به ملائكة الله» «فظنت بانهم قرناء»
اي اتت به وقت او لاجل انه احاطت به اي احدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه الاتي وهذا ظاهر الروايات
الاتية انهم ثلاثة وكذا على رواية انهم اثنان لانهما اقل الجمع عند جماعة فظنت اي حليمة
نفع البلاد زايدة قرناء اي شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به الى جده لتتخلص من تباعته
«ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء»
ورأى جده وامه حين ردته اليهما وجدها اي شدة محبتها له وتعلقها به فرد اليها لعدها
لذلك وليسلم من بلاء ممكن عما يأتي في الرواية وهذا احد وجهي الناظم ولذكر سبب اتيانها
عليه ومن الوجد لهيب اي نار تصلى بها اي تحرق بها الاحشاء جمع حشى وهو ما انضم
عليه الضلوع والجملة حالية مبينة لعظمة ذلك الوجد الذي رءاه بها ويحتمل انها
استئنافية مبتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة معبرة اي ان شان
الوجد انه ينشأ عن ذلك اللهب الذي يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل
فمن ثم رقا لحالها وحصل لها ذلك الوجد برده اليها
«فارقته كرها وكان لديها» «ثاويا لا يمل منه الثواء»
هذا بدل من اتت وكرها حال اي حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت في اقامته
عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وما هو متعلق بها والحال
انه كان عندها مقيما لا يمل الثواء منه اي الاقامة اي لا تمل الاقامة منه بل تحب وترغب
فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المحبوكة على جميع النفوس قلت والاولى
تقديم هذا البيت على الذي قبله لارتباطه بقوله اذ احاطت به الخ ومعنى ما رقته انها
وعزمت على فراقه وقدمت به على جده ولم ترق فيه قلبها في حبه رق عليها بقربه والذي
هي ما ذكره هنا انه عليه الصلاة والسلام كانت تاتيه الملائكة تتعاهده وتزوره وتؤنسه
ليعتاد مشاهدتهم ايضا والذي مر الرضاعة مجاز ما عليه مشتغلا فرداه الى امه ثم ردته اليها

١٦

مطلق الشق الشامل للواقع في زمن الرضاع وما بعده ... وفي قصة شق ... مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط وهو اخص من الفؤاد ... والحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه وسويداء القلب ... ثمرته

«فلما وقع الشق بالفعل الشديد خوفها مرداه وتركاه عندها فانظره»
«شق عن قلبه واخرج منه» «مضغة عند غسله سوداء»
قالت حليمة رضي الله عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته
وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن
احرص شيء على مكثه عندنا لما نرى من بركته فكلمنا امه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا
نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهر
او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخي
القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد
نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه فقال اي بني ما شانك فقال جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض فاضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان
فرجعنا به معنا قال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي نرده
الى اهله قبل ان يظهر منه ما نتخوف فقالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة
على امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت
ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه
الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان عظيم فدعاه
عنكما وفي حديث شداد بن اوس عن رجل من بني عامر عند ابي يعلى وابي نعيم
وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في سعد بن بكر
فبينما انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان اذ انا برهط ثلاثة معهم
طست من الذهب ملئ ثلجا فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين
الى الحي فعمد احدهم فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري
الى منتهى عانتي وانا انظر اليهم لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها
بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل
يده في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى
بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوءة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت
برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده فيما
بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي

وفي رواية صحيحة انه اخرج منه علقتين سوداوين ... والابتداء ما ذكر ... المراد بالجنس ... والمبالغة ... بهتك على استئصالها ...

وانحصى من مخلاء انعطا الطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من امته فوزنتهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه لو وزنتموه بامته كلها لرجح ثم ضموا الى صدورهم وقبلوا راسه وما بين عينيه ثم قالوا يا حبيب الله انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك **قال في المواهب** والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الوزن الاعتباري فيكون المراد بالرجحان في العقل **وفي اسيرة** ليعلم الرسول به فيخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية **وقد ذكر** العلماء في الفتوحات حديثا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وزنت انا وابو بكر فرجحت ووزن ابو بكر بالامة فرجحها **وقال في المواهب** والحكمة في شق صدره الشريف في صباه واستخراج العلقة منه تطهيره من حالة الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم على اكمل الاحوال من العصمة **قال العلماء** وتلك العلقة خلقت في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه فلم يبق فيه محل قابل للالقاء شيء منه **وانما خلقت** هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من الاجزاء الانسانية فخلقها تكمل من الخلق الانساني ولا بد منها ونزعها بعد خلقها دل على مزية الرجعة وكمال الاعتناء والرعاية من خالقه **في ونحوها** — ختمته بخاتم النبوة

فلم تودع الا بعد اثبات — يعني جبريل امينا لانه امين الله على وحيه **وبالجملة** من قوله وقد اودع خالية اي والحال ان ذلك القلب الكريم قد اودع حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية ما اي الذي وشبهه بودع بضم الدال وكسرها الدر المعجمة اي تنتشر وتختص به انبياء اي اخبار لانه لا يعلمه الا مولانا المتفضل به عليه **صان اسراره الختام فلا الفض**

لم به ولا الافضاء — صان حفظ واسراره مفعول به اي النبي او قلبه والختام فاعل وهو ما يختم به الكتاب فبسبب هذه الصيانة لا الفض اي الكسر بالتوقف ملم به اي واقع لذلك الختم ولا الافضاء اي الاشاعة والافصاح لذلك السر بمعنى انه لا اذا العصر نبيه لم ينفك عن ذلك الحال **وتقدم** ظاهر الختم من الحديث **وحكمة الختم** انه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التي لا تنفي ولا تعصى منها ولا دخيرة نفعا وبيعا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء ذرا او يا قوتا نفاسة بما فيه **والتعبير** بالصانه يقتضي ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع فالواو وهذا الاخ **وموضعه** عند نغض كتفه الايسر على الصحيح ونغض الكتف بضم النون وتفتح

وسكون الغين المعجمة اعلاها وهو العظم الرقيق الذي على طرفها او الذي يتحرك منها عند الحركة يجيء ويذهب **وحكمة** وضعه عند نغض كتفه الايسر انه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن ادم قاله السهيلي **واما صفتها** فقال القاضي عياض والقرطبي ما حاصله ان الاحاديث في ذلك متقاربة ولعل بينها اختلاف بل كل شبه بما سنح له واتفقوا على انه شيء بارز في جسده الشريف عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة او زر الحجلة **وما جاء** مطابقا لظاهره على العظام كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا قبض بجمع الكف اي بضم الاصابع الى الكف على هيئة الكز فيقول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة ما ذكر الا انه اصغر منه في قدر بيضة الحمامة او نحوها وحوله خيلان جمع خال **وعن جابر** رضي الله عنهم قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي وكان ينم علي مسكا اي بسطع ريحه للامتلاء به بسر الله وحكمته **تنبيه** الاول روي شق صدره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية وهو ابن عشر سنين رواه ابو نعيم في الدلائل ورواه عبد الله بن الامام احمد في زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به من امر النبوة قال اني لفي الصحراء وانا ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فاضجعاني ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرحمة والرافة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم رد عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورافتي للكبير **وثبت** شق صدره الشريف مرة ثالثة عند مجيء جبريل له بالوحي وهو بغار حراء رواه ابو نعيم والبيهقي ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك الا بأت **والحكمة** فيه كمال التطهير والتقوي على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوي في اكمل احوال التطهير **وثبت** مرة رابعة ليلة الاسراء في الصحيحين وغيرهما انه شق قلبه جبريل وهو بالمسجد فبدا له بخروج به الى ركوب البراق فشق من ثغرة نحره الى قرب عانته فاستخرج قلبه ثم غسله بطست ذهب مملوء حكمة وايمانا ثم حشي **وحكمة** هذا الشق التهيئ الى الملا الاعلى والتقوي على المستحيلات ما شاهده تلك الليلة **وكونه** يضعف من بعد لانه من احوال الغيب فتلقى بالقبول

وفي رواية عن ابي جعفر ان احد الثلاثة في يده ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء وورد في خبر الشاذلي المذكور في الاية انه كان فيه الخصف الذي غسل فيه قلوب الانبياء صلى الله عليهم وسلم وحكمة ختم قلبه الشريف من الاشارة الى ختم الرسالة به فلم ولا يسع هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص به كما هو مقتضى الحكمة انه من جملة علامات النبوة واما اشار كه فيها غيره على ان هذه الكيفية المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه صلى الله عليه وسلم فيسعها تكرر الشق لان الوارد فيسع بمجرد غسل قلبه وهو لا يستقل بهذه الكيفية المذكورة البديعة البالغة من خرق العادات والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل ع ا ه

الآخرة اي الثانية هذا الشق ابلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسماعيل مما هو
مقدمة ذبح في مقتل واحد وهذا ابعاد في مقاتل عديدة وهو شق الصدر واخراج القلب و
ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة نوع مشقة لرواية واني
فهو منتقع اللون اي صار كلون النقع اي الغبار وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى
قول من قال فشقه وما شق عليه انه صبر صبر من لم يشق عليه ومما يدل على المشقة
تعبيره بقطع مع انفراده عن امه ونبيه من ابيه واختطافه من بين الاطفال الذين يكونون ذا
تصعيبا لما يلقاه في المال ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل الليلة الاخرى بماء زمزم اي لانه يقوي القلب ويذهب
الرعب **الثالث** اخرج البيهقي والخطيب عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول
الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك
فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع
وجبته حين يسجد تحت العرش والمناغاة المحادثة وغرنا غنة الام صبيها لا اطعمه
ومشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي انه صلى الله عليه
وسلم تكلم في اوائل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة
واخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم الحديث

الرابع التنسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا الشبان

لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع له في غيبة من شق صدره ذكر حكمة نشأته في حال
لبنته وما بعدها مبينا ان الهم ما ذكر نتيجة ما اودع الله تعالى في قلبه بعد شقه من الطاف
الاسرار وكمالات الانوار فقال الى التنسك الخ وعطف العبادة على التنسك من عطف التفسير
اي اعتادهما والتزمهما وجعلهما ديدنه وهجيراه حتى صار الغبة والخلوة الانفراد
عن الناس وطفلا منصوب على الحال فيهو خبر منه ما يعمله بالاحرى والجمهور على انه كان قبل
متعبدا بشرع من قبله وامام فوله ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فالمراد بها التوحيد والى بواد
الحلم النيام بوجه كما انه ليس قبله الا ابراهيم وقد قال تعالى فبهداهم اقتده وروي ابن العماد
وغيره انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حراء شهرا في كل عام يتنسك فيه وكان
تنسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته

اخبرنا بما يستبعد العاد كثر لانه الشيب في ذلك وذلك افتتاحه ابيضا
السهولة والشدة والصعوبة ومنه حديث الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر
حال في الرقة والانكسار ومن اوصاف اهل النار انما يناسب حال الغرض من
لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة والطاهر كما قاله غيره واحد ان عبادته كانت الذكر والفكر
مع اكثاره من الخلوة والاعتزال عن الناس بحراء وغيره ان اضطراب حجر فوقكم وهكذا النجباء
اي ومثل هذا الشان العلي نشا الكرام فما بالك بالطبع وحسبوع على الاخلاق وهذا تذييل
البيت تشابه الاطراف ... اذا حلت الهداية قلبا

نشطت للعبادة الاعضاء

اي انما كان هذا شان النجباء من الانبياء ثم طلع
اعمم لما هو المستقر المعلوم انه اذا حلت الهداية وهي الوصول الى الحق كما في قوله تعالى
انك لا تهدي من احببت اي لا توصله وتطلق الهداية على الدلالة ومنه واما ثمود فهديناهم
اي دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك واما
كان اذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه في
صلاحه وفساده ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع قال الحناوي حفظ
الله نبيه صلى الله عليه وسلم في شبابه عما كان عليه اهل الجاهلية قال ابن اسحاق فيما رواه البيهقي
وغيره نشأ المصطفى صلى الله عليه وسلم يكلأه الله ويحفظه ويحوطه من اقذار الجاهلية لما اراد من
كرامته حتى صار افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وابعدهم
عن الفحشاء والاخلاق الدنية واخرج ابو نعيم عن علي انه ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال
سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب ما ذبح لغير الله فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى اكرمني
الله برسالته واخرج ابن عساكر عن جبير بن مطعم رايت المصطفى صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو
يقف على بعيره بعرفة من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله تعالى قال العلماء كان صلى
الله عليه وسلم يدعى قبل نبوته بالامين قال ابن عباس كان يسمى بالامين بما جمع الله فيه من
الاخلاق الصالحة وذكر ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس قال النضر بن الحارث لقريش كان
فيكم محمد غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه
الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وكان صلى الله عليه وسلم
يتحاكم اليه في الجاهلية قبل الاسلام لما استقر عندهم من عدله ووافر اصابة رايه وصرفه وامانته و
ظهور فضل العقل ... على اتم وجه واحسنه على يديه بحيث يستقيم من ذلك اهل العقول الكاملة
ويستصوبه اصحاب الاراء المستقيمة واخرج ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحصين قال قالوا
نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة واحسنهم
جوارا واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثا وابعدهم من الفحش والاذى ما رئي ممار يا ولا

الغادي والبادي وهذا يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل والثمال بكسر المثلثة الملجا والعصمة المانع
...
علي وسلم حتى اخذ الشيعة منه القول بالملاحم وبوافي
الاسلام عند موته وبواعي ذلك ايضا رواية البيهقي

ملاجيا احرا حتى سماه قومه الامين واخرج ابوداود وابو يعلى وابن منده في المعرفة
والخرائطي في مكارم الاخلاق عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث ببيع فبقيت له علي بقية فوعدته ان آتيه في مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم
والغد فاتيته اليوم الثالث فوجدته في مكانه ذلك فقال لقد شققت علي انا ههنا منذ
ثلاث انتظرك واخرج ابن سعد عن الربيع بن خثيم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجاهلية قبل الاسلام فهو صلى الله عليه وسلم الامين المطلق الذي لا تعتبر امانته فيه
من خلفه الحكيم عرفه بها من عرفه منذ عرفه وكذا العدل وهو وضع الشيء في محله ومعلوم
انه ما هو له من غير اولك ولا تعرك وحصولها بين الخصلتين العظيمتين يستتبع حصول غيرهما

بعثه الله عند مشغبة الشقة اي اصا وطال عنها العضل
لطرد الجن عن مقاعد السمع كما تطرد الزياليج الرعاة
فمحت اية الكهانة اية من الوحي ما لم تمحه

زمان بعثته صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة الشهب جمع شهاب وهو
الشيطان المسترق السمع او تخيله وكانوا يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يلقيها
للكاهن ثم يلقيها للكاهن وقوله حراسا الطمع حارس على غير قياس كظالم وقيام
لاجل الحراسة لتشر بعثته التي بشيرة به من الشياطين ان يخلطوا بها ما يسمعون
والتشاكير لانه معلوم من قوله نطرد الجن فهو التتميم كقوله تعالى ويطعمون
على حبه والكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السماء ضاق عنها الفضاء
الواسع فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه وقوله نطرد حال من الشهب
في قوله: ولقد ام على اللئيم يعني: لكن ظاهر الكلام ترجيح الحالية اذ
التنظير بعيدة والجن اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة وعن مقاعد
امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها ليسمعوا شيئا من الملائكة المتكلمين بما يقع في الارض
من المغيبات اما لكونه يسمع يلقي ذلك عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او بعضا
البعض الآخر زيادة في الاعتناء والظهور للملائكة ثم طرد تلك الشهب
كطرد الغاجة اكلتها او كطرد الذياب جمع ذيب بالهمزة وتقعد الثعالب
راع اي كما تطرد الرعاة الذياب اذا ارادت العدو على غنمهم وتشبيه
الذيب مطرود بعد العريش فتسبب ذلك الطرد البليغ للجن عن خبر السماء محق اي ابطال
والكهانة بفتح الكاف مصدر كهن بضم الهاء اذا كان كاهنا اي مخبرا

بالغيوب الخفية والاية العلامة وهي ما كانت تاتيه به الكهان وتذكره من المغيبات التي
تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القاية اليهم مع
ما يضمونه اليه من الكذب وقد علم مما في البيت من جملة دلائل الوحي ما لم يعلم
ولا تغيير واصل ما ذكره الناظم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله فكنا
نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وفي حديث ابن عباس عند
احمد كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون
حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان
احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك لابليس فقال ما هذا
الا لامر قد حدث فبعث جنوده فاذا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين
جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحادث الذي حدث في الارض رواه النسائي وصححه الترمذي
وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ياتون
باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى
الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي
بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم
من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري فعلم منه ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي
ينفصل تلك الشعلة وقيل ينفصل ثم يرجع الى مكانه تنبيهات الاول قال الحافظ
الصحيح ان الرجم كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية ولكن لما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها العجم الانس
والجن ومنع الاستراق اصلا وفي قوله مليئت حرسا دليل على ان الحادث هو الملء و
الكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد اي نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس و
الشهب والآن مليئت المقاعد كلها اي جميعها والحاصل ان اصل الرجم كان في الجاهلية
ولكن [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وغلظ واشتد عند مبعثه
ومنع الاستراق اصلا وبذلك يحصل التوفيق بين كلام الائمة الثاني في صحيح البخاري
عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان
يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد حتى جاءه الحق وهو
في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني

الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم الحديث وكان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذاك اربعين سنة وقيل واربعين يوما وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة والوحي كما قال العلماء اصله الالقاء المعنوي الخفي في خفاء ثم قيل للكلام الالهي الذي يلقى الى الانبياء وحي وهو انواع الاول الرؤيا الصادقة في المنام الثاني نفث الملك في روعه من غير ان يراه كالحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الثالث ان يأتيه الملك في صورة رجل فيخاطبه وقد كان ياتيه في صورة دحية الكلبي الى غير ذلك من الانواع وفي البدأة في صورة حامل الوحي وقول الناظم مالصفي انعماء يشير الى ان الله تعالى علم ما في علم المهتدين الى ان بيتا عيسى عليه السلام لقلة سنه بعثا ثم تضمن عن قيام الساعة بموت الطائفة الذين اخبر الصادق عنهم انهم لا يزالون فاهمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله تطلع ريح لينة تقبض ارواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول لا اله الا الله فتقوم الساعة

وارته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحيا

ثم شرع في قصة تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة وذكر الاوصاف التي تدعو اليها البواعث الوافع فقوله وارته ارى علمته وابصرته وخديجة هي بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب باذخ والتقى هو التنزه من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اتقاكم واعلمكم بالله انا والزهد هو اخذ اقل الكفاية مما تيقن حله وترك الزائد على ذلك لله وفي خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان ابن بشير لقد رايت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل اي التمر الردي ما يملا بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران لا يوقد في بيته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء والسجية الخلق الغريزي الطبيعي لان مكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم غريزية غير مكتسبة والحيا فيه سجية ايضا على الكمل غايته وفي البخاري من حديث ابي سعيد كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها وهو

ستر يجعل لها اذا شبت بجانب البيت تتعود فيه حتى عن النساء وهي فيه اشد منها حياء خارجه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل والمراد الحالة التي تعتريها عند الدخول عليها لا التي عليها حال الانفراد به او اجتماعها بمثلها فيه فالبه المساوي وهو الظهر في ابن حجر والحيا في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من فعل ما يعاب به وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح وارتكاب المليح ومن ثم صح انه لا يأتي الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم

والشيخ شبيه خطاب ابن زكري رحمه الله

وراءت خلقه فلم تر خلقا مثله جل ما له اكفاء

بشر خارج عن الجنس كالياقوت يجنسه له الاضواء

كاسي الخلق خلقه والمفهوم المعاني مفتوحها نعماء

يعني ان خديجة رضي الله عنها رات خلقه الظاهر وصفاته الصورية وجماله الزائد فلم تر خلقا مثله في ذلك علمت ان اختصاصه بالمكارم دون سائر الناس لامر عظيم خص به وانه صلى الله عليه وسلم منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم وفي الحديث عن سيدنا علي كرم الله وجهه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وفي رحم الله ابن شرف حيث يقول لتوريه موسى فسلوا عن محمد تقول الكم ما الحبيب مثيل

لكل حبيب منزل وكما انه ولا كرما مثل الحبيب رسول

وهو صلى الله عليه وسلم كان بشري الظاهر ملكوتي الباطن وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم لا يأتي شيئا من احوال البشرية الا انبسا الامنه وتشريعا لنا ولذا قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه والله يا رسول الله ما كلمت ولا شربت ولا لبست الا لنا وقد قال الشاعر

فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم

ورحم الله القايل محمد بشر لا كالبشر بل هو كالياقوت بين الحجر

وا استدلت خديجة رضي الله عنها بما رات من كمال خلقه الظاهر وهو يقتضي ويكون على كمال خلقه الباطن لان الظاهر عنوان الباطن ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه خرجه البخاري في التاريخ الكبير وابن ابي الدنيا والطبراني عن عائشة والطبراني ايضا والبيهقي عن ابن عباس وابن عدي عن عبد الله بن عمر وابن عساكر عن انس وقد وجه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وبين الخلق والخلق تقارب وتشابه في الغالب قال الشاعر

لغرفا الى رسول وقال جعفا وخير الغوا ما قال الى رسول
اذا العا جاءت عزة بالطيوا الى من وجههم حسن جميل وهذا
هو الغالب والثالث لحكم له ﴿ وما اظلال الغمامة والشجر الظليلة منهما الفيء ﴾
اي اظلالها النبي بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوءة وظلال الغمام
منها اي السحابة والشجر اي الشجر العظيم الظليلة افياء حال كونها منهما والافياء جمع فيء
وهو ما بعد الزوال من فاء اذا رجع والظل الستر لا يتقيد بوقت فالظل اعم من الفيء وقد
فيطلق الفيء على ما يعم الظل مجازا قال اهل السير لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة
سنة وقيل تسعا او ثلاث عشرة وقيل ابن عشر خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ
بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد المرسلين هذا السيد
العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له ما علمك به فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوءة في اسفل غضروف
كتفه كالتفاحة وانا نجده في كتبنا وسأل ابا طالب ان يرده خوفا عليه من اليهود ثم رجع
فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان المصطفى في رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله
ثم نزلوا في ظل شجرة بقربه فنظر الى الغمامة الظليلة الشجرة وتهصرت اغصانها اي مالت واقبلت
تعطفا عليه وروى ابو نعيم وابن عساكر ان اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة و
غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة غلام
خديجة في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة فنزل تحت ظل شجرة
فقال نسطور الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة
يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ثم ان المصطفى صلى الله عليه وسلم باع وربح ربحا
لم يربحه احد من اهل القافلة حتى قال له ميسرة تجرنا لخديجة بضعا وعشرين سنة ما رأينا ربحا مثل
هذا وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال له الرجل احلف باللات والعزى فقال ما
حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده وكما
رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على بعيره وملكان يظللان عليه رواه ابو نعيم وهذا كله اعتناء بخديجة رضي الله عنها
حيث اطلعها الله على هذه المعجزات واراها الله بهذه الخوارق للعادات حتى اشتد لها
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته والتصديق برسالته فكان ذلك تعرضا من الله لها
وكانت رضي الله عنها ونفعنا ببركاتها ممن تعرض الله لهم بنوره ولا يشقى من تعرض الله
اليه

اليه بنوره مع من تعرض اليه الله بفضله قال ابن حجر واشتهر على الالسنة تظليل الغمامة
له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوءة ارهاصا وتأسيسا للنبوءة ومما يدل على انقطاع ذلك
ان الصديق رضي الله عنه اظله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة في الهجرة لما اصابته الشمس
فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل عليه مرة اخرى
وهو بالجعرانة وانهم كانوا في اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم
﴿ واحاديث الى عن رسول الله بالبعث حان منه الوفاء ﴾
﴿ وعن عشيرة الى الزواج وما احسن ما بلغ النساء الاذكياء ﴾
اي واتتها ايضا احاديث اي اخبار الاحبار والرهبان والكهان بان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو مصدر مضاف لمفعوله اي وعد الله له وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير بالبعث اي بالا
رسال الى الخلق كافة حان اي قرب منه اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله
الوفاء اي قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
جملة ذلك ما روى ابن اسحاق انه كان للنساء من قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن
فيه فجاء يهودي فقال يا معشر نساء قريش يوشك ان يبعث فيكم نبي فايتكن استطاعت ان تكون
له فراشا فلتفعل فحصبنه النساء وقبحنه واغلظن عليه واغضت خديجة على قوله ووقع في ذلك
في نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رآه قالت ان كان ما قاله اليهودي حقا فما ذاك الا هذا ولما فرغت
التجارة ورأت ربحها ضعف ما كانت تربح اضعفت له ما سمت له فيقصه ما رأته منه وما
بلغها عنه مما يجل من ان يذكر مع عقل علمت ان يغنها قدميه ويشرب غسلها في عنقها في نكحته
الى الزواج اي الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت في نكاحك
لعلم رأيته وحسن خلقك وكان سنها يومئذ اربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا و
عشرين سنة على الاشهر منهما وكانت تزوجت قبله رجلين وما احسن بلوغ الاذكياء الاماني
والاذكياء جمع ذكي كغني واغنياء والذكاء شدة قوة النفس معدة لاكتساب الآراء وتسمى
هذه القوة الذهن وجودة تهيئها لتصور ما يرد عليها من الغير الفطنة قاله في المطول
والاماني جمع امنية وهو ما يتمناه الانسان اي يشتهيه عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه
ومنه بل من اعظمه خديجة رضي الله عنها فلذلك كانت افضل امهات المومنين رضي الله
عنهن على الاصح كما سيأتي ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه
فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام
واصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي

جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا و
جعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان في المال
قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة وله في خديجة
بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما احببتم من الصداق فعلي وله والله بعد هذا نبأ
عظيم وخطب جليل وجعل ابو طالب منه وقد ذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم
اصدق خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا ونشا اوقية قالوا وكل اوقية اربعون درهما وما
تقدم من ان والدها هو الذي زوجها اياه هو الذي في سيرة الزهري والذي عليه الاكثر وصححه
السهيلي ان الذي زوجها هو عمها او اخوها

ولما اتته بالامور انتبها ان لم تكن مع علمها الحين ممتحنة
اخفى الوحي ان لم يكن بالاعانة اعلاه وعمها العقل

انه لما اتاه جبريل الملقي اليه الوحي وكان عندها من الايمان علم اليقين على حين ان تستعمل عين
اليقين ويخبر لانزيده هذه المرتبة العلية ولصاحب اللب ذي العقل الكامل في الامور الاحوال
التي قد تقتضي ارتيابا او استبصارا ونراها يميز بها حسنها من قبيحها وهذا الشطر جملة
اعتراضية مناسبة لما قبلها وما بعدها وفيه حكمة ومثل فبسبب تلك المحبة مع ما عند
ها من كمال العقل اماطت اي ازالت عن راسها ما تخمره به اي تغطيه به لتستبرئ اي لكي تعلم عين اليقين
في هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه عن حالته التي الفها قبل الوحي الى
حالته وامسه التي كان يلاقيه الانبياء قبله وام معنى معادلة الهمزة المطلوب بها التعيين
والاغماء هو من الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون فبسبب ازالتها
الخمار عن راسها اختفى جبريل عند كشفها خديجة راسها فيما علمت اي ان اعلمت عقلها
راسها فاعل ماض مبني للمفعول والخمار نائبه وقد ادخل الناظم او التي بمعنى الى على
الماضي والمعروف عند النحاة انها لا تدخل الا على المضارع فلو قال او بعد الغطاء لسلم من التكرار

فاستيقنت خديجة انه الكنز الذي حاولته والكيمياء

اي لما اختفى جبريل عند القاء الخمار علمت خديجة وتحققت انه ما بعرض للنبي صلى
الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف عليه فيه على عين اليقين الكنز اي الشيء النفيس الذي لا نعيم
منه الذي حاولته اي اردت حيازته والكيمياء وهو العلم البديع الذي يقلب الا

الاعيان الردية الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء
وهو العلم المعروف للوحي لانه يحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا لانها
ان الوحي كذلك وانما لا ينتفع بها الا العدد النادر كما ان الوحي لا ينتفع به الا
اكمل البشر وهم في غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس ويحتمل ان يكون المراد اعاذ
على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الاختبار الذي وقع من خديجة رواه اصحاب السير عنها
انها علمت من عمها ورقة ان جبريل عليه السلام لا يحضر مجلسا فيه امراة مكشوفة الراس
ويلزم عليه ما ذكره الناظم ثم اعلم ان السيدة خديجة رضي الله عنها ملكت امرها بيد النبي
صلى الله عليه وسلم كما انعقدت عليه الرغبة وانفقت فيما قال ابها واشتغلت او امره فيما امرها
وتلك دلالة صدق المحبة وعلامة تحققها اذ علامته بيع الروح وتسليمها ايثار رضى المحبوب على
هوى النفس حتى لا يبقى للمحب غرض في غير رضى محبوبه فالروح اول قتيل المحبة فمن عزت عليه
روحه فهو معلوم في سوق المحبة فلا يطمع في تحصيلها اذ لا ثمن عنده والسلعة نفيسة
عزيزة لعلها تباع بثمن ونحوها فلا يصل اليها البطالون ولا يظفر بها العاصون والشيء النفيس
العزيز يكثر المدعون لتحصيله والانتساب اليه لعزته وتساويهم فيلزم لذلك طولب المدعون
للمحبة باقامة البينة على صحة دعواهم فان دعواهم تقتضي انهم بذلوا ارواحهم وذلك امر
خفي بينته ايثار رضى المحبوب وصيرورة هوى المحب تابعا له كما تقتضيه قاعدة الملك
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فعند ذلك افتضح كثير من المدعين وكثر عجز
هم والصادقون منهم فاقاموا البينة بمتابعة الحبيب في اقواله وافعاله واخلاصه فطولبوا
بتزكية البينة وتزكية شهودها وذلك بالجهاد في سبيل الله لا يخافون لومة لائم والجهاد
جهاد العدو وجهاد النفس وذلك هو بيعها لله تعالى المشار اليه بقوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما رعوا جلالة المشتري وفضل الثمن وجلالة
من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وان لها شانا من غير ثبوت خيار
فقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلم المبيع قيل لهم قد صارت انفسكم
لنا وعدناكم واموالكم لنا ورددناها عليكم اوفر ما كانت واضعافها معها ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء الاية قال الشيخ زروق وقد قيل من الحكمة في اشترائه مع ان
الكل ملكه ثلاثة اشياء احدها البشارة بعدم الرد بالعيب لان المشتري عالم بالسلعة
العيب بعلمه اليه فيقول لا تبيع لانه لا يشتري بيع الابعد تطيع ولا كعلة الابعد اقباض الثالث
اظهار تمام العطاء ظهور النعمة التي لا يعلم من انظر شرح شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله

فائدة قال ابن عبد البر اتفقوا على ان خديجة اول من آمن مطلقا وقال ابن الاثير خديجة
اول خلق الله اسلاما باجماع المسلمين ولم يتقدمها رجل ولا امرأة وكذا حكى هذا الا
جماع الذهبي والثعلبي وانما اختلفوا فيمن اسلم بعدها وقال ابن الصلاح والاصلح الاورع
في الاولى التوفيق بين الروايات كلها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي
ابن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه واول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلا
مه ابو بكر واول من اسلم من الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وفي الصحيحين من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه
طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في
الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف وجاء من وجوه انه صلى الله عليه
وسلم قال افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ومريم ابنة
عمران وآسية امرأة فرعون قال الشيخ ولي الدين العراقي خديجة افضل امهات المؤمنين
على الصحيح المختار وقيل عائشة وكذا رجح ابن النقاش تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها اه و
جمع ابو امامة ابن النقاش بان سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام وموازرتها ونصرتها
وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشاركها فيه احد لا عائشة ولا غيرها من امهات
المؤمنين وتاثير عائشة في آخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامر
مالم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به دون غيرها وفي حديث الحلية وعلقه
في الاستيعاب خطابا لفاطمة يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين فقالت يا ابت فاين
مريم بنت عمران قال تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك اه وهو صريح في
تفضيل فاطمة على اخواتها وعلى عائشة وينبغي التفصيل فيما بينها وبين امها خديجة لحديث
[illegible] خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة اي نساء عالمها والتفضيل لعله في
السيادة ارجح في جانب فاطمة مع ضميمة كونها بضعة ورجحان كونها افضل من مريم
الضمني لفضيلة نساء هذه الامة وقد فضلت امها التي فضلتهم وكيف لا تفضل مريم التي فضلت
الفضول وهو نساء عالمها وليس بعدها [illegible] نبوة مريم والا [illegible] بنت خديجة في
الحديث المذكور وكذا لا يلزم التفضيل مع اخواتها لان اطلاق البضعة في حقها يشعر بمزيد
تشبيه باخلاقه الكريمة وخلقه وكذلك قالت عائشة ما رايت احرى لشبه من فاطمة
بعد ابيها وذكر علم الدين العراقي ان فاطمة واخاها ابراهيم افضل من الخلفاء الاربعة

روى

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

وروى عن مالك انه قال لا افضل على بضعة من النبي احدا فقال بعض العلماء
فمن اطلق من حيث المعارف والاسرار الربانية فابو بكر افضل ثم عمر ثم علي على الترتيب واما من حيث
البضعة ففاطمة افضل وكانه يريد فاطمة اشرف من حيث الجوهر والجسم وابو بكر اشرف
من حيث العرض القائم بالجسم والعمر الشريف الوارد عليه اه ومن معنى هذا ما في نوازل النكاح
من المعيار من قول عمر في زمانه لعلي عند توقفه عن مبايعة ابي بكر رضي الله عنه والعمر
انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولكنه اقرب منك قربة قال ابو عبد
الله محمد بن القاضي عياض القرابة لحم ودم والقربة روح وتقدس اه وفي الاتقان للسيوطي ما
نصه استدل الامام فخر الدين الرازي بقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
مع قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم على ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه افضل الناس بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الآية الاولى نزلت فيه باجماع اه قلت ويتركب من الآيتين
قياس من الشكل الاول وهو ابو بكر اتقى الناس بحكم الآية الاولى لان الجزء يقتضي العموم
حتى يقوم دليل على الخصوص والمفضل عليه في الآية محذوف فيقدر عاما وكل من كان
اتقى من غيره فهو اكرم منه بمقتضى الآية الثانية ينتج ابو بكر اكرم من غيره اي من
الامة وهو المطلوب تنبيه قال ابو عمر اجمعوا على ان خديجة ولدت له صلى الله
عليه وسلم اربع بنات كلهن ادركن الاسلام وهاجرن وهن زينب وفاطمة ورقية وام
كلثوم واجمعوا على انها ولدت له ابنا يسمى القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم
وقال عقيل عن ابن شهاب ولدت له خديجة فاطمة وزينب وام كلثوم ورقية والقاسم
والطاهر وكانت زينب اكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزبير ولد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم القاسم وهو اكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ويقال
له الطاهر ولد بعد النبوة ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هكذا الاول فالاول ثم مات
القاسم بمكة وهو اول ميت مات من ولده ثم عبد الله مات ايضا بمكة اه وولد للنبي
صلى الله عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية وانظر تفصيل ذلك في المواهب وتوفيت
خديجة رضي الله عنها في السنة الحادية عشر من البعثة بعد موت عمه ابي طالب بثلاثة
ايام وذكر في المواهب انه روى مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله تعالى قد فطمها
وذريتها عن النار يوم القيامة اخرجه الحافظ الدمشقي وروى الغساني مرفوعا ان
الله فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا
ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير اه

"ثم قام النبي يدعو الى الله * وفي الكفر نجدة وإباء"
"أمما أشربت قلوبهم الكفـ * ـر فداء الضلال فيهم عياء"

اي ثم بعد نزول اول الوحي وفتور الفترة ونحو نزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبي صلى الله عليه وسلم بجد واجتهاد في حال كونه يدعو الناس الى عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وفي الكفر نجدة اي قوة تامة واباء اي امتناع من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به ومفعول يدعو امما اي جماعات هم امة الدعوة من وصفهم انهم حينئذ اشربت بالبناء للمفعول قلوبهم الكفر اي اختلطت به بتقدير نجسهم وتمكن حبه لاجبهم حتى صار لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه اختلاطا بامتزاج المشروب بعضا واستعار التعبير للمشروب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ فداء الضلال الذي استقر فيهم اي مرضه داء بروية عياء بمهملة مفتوحة فتحتية اي داء عضال اعيا الاطباء مداواته والمعنى انه صلى الله عليه وسلم قام نذيرا يدعو الخلق الى الله تعالى لقوله قم فانذر وانما اقتصر على ذكر الانذار لانه الثابت اذ ذاك اذ لم يكن على وجه الارض مومن يستحق التبشير ومن المعلوم ان الارض كانت مملوءة بكواسر الكفار وصناديد الطغاة والعتاة فقام صلى الله عليه وسلم يخرج عراديا انعم وهو وحده لا وزير له ولا اتباع في الارض وهو مع ذلك ثابت القلب قوي العزم لا يخاف في الله لومة لائم ولا يخشى عناد معاند ولا انكار منكر مع ان اهل الشرك والفساد والطغيان والعناد لهم غاية قوة والشوكة ونهاية الجسارة والجراءة

"ورأينا آياته فاهتدينا * وإذا الحق جاء زال المراء"
"رب إن الهدى هداك وآيا * تك نور تهدي بها من تشاء"

اي ورأينا معشر الامة اي ابصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة واياته اي معجزاته وخلقه وبديع صفاته فاهتدينا بها اي وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما جاء بنا الى الكل لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا جاء الحق وزهق الباطل زال المراء اي الجدال والجدال فيه وهذا فيه تعريض بمن لم يومن مع مشاهدته تلك المعجزات ولا كبير ارب ان الهدى اي اتباع الحق ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت في كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وان آياتك التي اقمتها ادلة على صدق انبيائك نور

كما قلت فيما جاءكم من الله نور تهتدي به من تشاء هدايته وتضل عنه من تشاء غوايته وفيه اقتباس

"ثم أضلّ النبي بعد اقتباس * العلم * ما النبي بالعقلاء"
"إذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيل * ولم تنفع الحجى والذكاء"

لما ذكر ان الهدى هدى الله وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان الايات وحدها لا تغني شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم من اي مرارا كثيرا اي ابتلاء علمنا وابصرناه اي شخصا الهمه غير العقلاء كالحيوان والجماد هذا النهي من المصالح والجملة في موضع نصب مفعول ثان واما الثانية مفعول النهي واذ للتعليل او علة وابى اي امتنع الفيل من ما اتى اليه اي عزم عليه صاحبه وهو ابرهة الحبشي والذي اتى اليه صاحب الفيل فامتنع الفيل منه هو هدم الكعبة وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وبيان انه وابى الجماد المطيع كقوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفع الجهال العقل الوافي والذكاء اللذان اتصفا بهما من لم يوفق لما وفق له الفيل وقصة الفيل معروفة مشهورة وفي كتب التفسير والسيرة مسطورة انظرها في اوايل المواهب

"والجمادات أفصحت بالذي أخرس * عنه لأحمد الفصحاء"

اي افصحت اي نطقت بكلام فصيح من غير حياة انطقها الذي انطق كل شيء وان من شيء الا يسبح بحمده او بخلق الحياة والادراك كما يدل عليه حنين الجذع ولزوم النبي صلى الله عليه وسلم وضمه اليه وبشره واجابته ان بالشهادة بالانبياء والارسال الذي اخرس عنه الفصحاء فهو نائب فاعل اخرس ولاحمد متعلق باقصحت يعني ان العرب مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت المستقيم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان بين الشهادة له بالرسالة وتصديق لم يزل الجماد افصح بالصحيح لساني وابلغ بيانا فمن ذلك تسبيح الحصى في يده ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر بحيث سمع تسبيحه من في الحلقة رواه جماعة وهو مشهور وصح عن ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي هذا عن لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل هو الحجر الاسود وقيل هو البارز بزقاق المرفق لانه كان بحضرة صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة سلفا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحي مكة فما استقبلنا حجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وابو نعيم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال

الصلاة عليك يا رسول الله وروى البيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس و
ابنيه بملاءته وقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم بملاءتي هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت امين وفي انه صلى الله عليه وسلم
كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد او حراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك
الا نبي او صديق او شهيد وفي انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من
شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها وهو صلى الله عليه وسلم على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا
تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي رواية
قال لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن
بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك فقال لو كنت
امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها انظر ابن حجر

وكم قوم جعلوا نبيا بارض العين ضبابها والاضباء

وكم منصوب بجعلوا او مشادي على حريا حصرة على العباد اي احضر بهذا وقتك وقد
صرح النحاة بان المصدر ان كان بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم يجوز
رفع بعضها كويح وفي القاموس ويح لزيد وويحا له كلمة رحمة ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار
فعل الى وقال ابن طاهر متى اضيفت وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لا خبر له انظر الغ
وويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى
والاحسن ان الترحم هنا باعتبار النظر الى الغرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانهم من قومه وعشيرته فلذا يحق ان يتاسف على قوم جعلوا نبيا بلغ من مراتب الجلالة
والتعظيم مالم يبلغه نبي ان يخلفوه واذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله بارض العين
ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة
وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فطرحه بين يديه وقال لا اومن
بك حتى يومن هذا الضب فقال له يا ضب فقال لبيك وسعديك فقال من تعبد فقال الذي في السماء
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال من انا قال انت
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي
وانظر حديث الضب مع ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قرب اليه لحم ضب فامتنع من اكله

فحبل عن ذلك فقال لم يكن بارض قومي فاجدني اعافه وقد يجاب بان معناه لم يكن بارض قومي
ما كولا فالنفي مسلط على القيد والضباء جمع ظبي وروى البيهقي وابو نعيم والطبراني
وسائر المحدثين وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذ هاتف يهتف يا رسول
الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي نائم عندها فقال ما حاجتك
فقالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
فقال او تفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت
ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وتضرب برجليها في الارض
وتقول لا اله الا الله وانك رسول الله وفي ذلك قيل وجاء امرؤ قد صاد يوما غزالة
لها ولد خشف تخلف بالكلا فنادت رسول الله والقوم حاضر
فاطلقها والقوم قد سمعوا الندا ولم يورد الناظم الحصر في هذا خبر وانما
اقتصر عليهم لانهما اشد الوحوش توحشا فقد صح ان الذيب اخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم
كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان محصلهما انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه
فقال له الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فتعجب الراعي من كلامه له فقال الا اخبرك
باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية بين اظهرنا وما هو
كاين الخ وكلمه ايضا الحمار والجمل وسجدت له الغنم انظر ابن حجر والفجر المنير لابن العلا كذلك

وسلوه وحن جذع اليه وقلوه ووده الغرباء

اي تعرف فلو تجه عنه حقن بحجرة مع تضاته حبيع وعليه يغابة نزاعته وتعلبة كمال والحال
انه قد حن جذع اليه كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وذلك انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له
المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع التي سقف عليها المسجد فلما صنع له
المنبر ثلاث درجات وضع موضعه الان بالمسجد ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب
على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية انه خار كخوار الثور
حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى فجعل يئن
انين الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة الى فصيلها فنزل اليه النبي صلى الله عليه
وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسه بيده وفي اخرى ان هذا بكى لما فقد من
الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم با[ن] القا ط

إنه ابدع من احياء عيسى عليه السلام الموتى لانهم عمروا بعد حياة رجعت اليهم
في رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان
وان يغرسه في الجنة ياكل اولياء الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال اختار دار البقاء
على دار الفناء وامر به فدفن وقلوه اي ابغضوه واعلن انه فارقوه اي اجتنبه الغرباء الذين
ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعلى كالانصار من الاوس والخزرج
وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم ليعرض نفسه على قبائل العرب فلقي بعضا من
الخزرج من اهل المدينة فعرض عليهم الايمان فاجابوه ووعدوه العام القابل اي ياتوه
بقومهم وهذه هي العقبة الاولى ثم لقيه منهم في العام القابل خمسة عشر فاسلموا
ورجعوا وهذه هي العقبة الثانية وانشر الله الاسلام فيهم وما في المدينة دار الا
وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل اليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن فاسلم
على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير وجميع بني عبد الاشهل ثم جاء في العام الثالث منهم ثلاثة وسبعون رجلا فبايعهم على انهم يمنعونه مما
يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود ثم امر صلى الله عليه وسلم من
بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام هو ينتظر الاذن له في الهجرة فاستاذنه ابو بكر فقال لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر في ان يهاجر
معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحقوا بالمدينة اشتاوروا
في دار الندوة في ان يحبسوه او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل
شيخ من اهل نجد والشيخ لعنه الله يريد نصحهم وامرهم ان يحرضوا عليهم في ان انهم يجتمعوا
ان يعجلوا فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال اياتيكم بما لا طاقة
لكم به فقال ابو جهل لعنه الله اري ان ناخذ من كل قبيلة غلاما قويا ثم نعطي
كل واحد سيفا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر احد من ابطال على حرب
قومهم فيرضون بالدية فقال ابليس لله دره هذا هو الراي فاجمعوا عليه فاتاه
جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبتوا عليه فامر عليا رضي الله عنه بان ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم ير احد
منهم الا اخذ الله على بصره فلم يره ونثر على كل واحد منهم ترابا كان في يده وهو
يتلو يس الى لا يبصرون وفيه انه ما اصاب واحدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم علموا
فيتفقدون موضع كل يده على راسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية

وبين الصفو والجفا والبعلي والوعد الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الانتيبيير وكان المراد في الاول عيران الصفو بدا على نفس الصحبة والالفة والنجعا بدا على نفس العهد والاية اكما مر

حاء خوفا مسرعا واوى الى الغار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآه ومن شدة الظهور الخفاء

ورقاء الحمامة والورقاء ما في لونها بياض يخالطه سواد وما في قوله ما كفته مفعول ثان
لكفت الاولى اي كفته العنكبوت امر الاعداء التي كفته اياه الحمامة والحصداء مستعار
من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة الورق لكثرة ريشها كذا عند الشارح وخطاهم
الشهاب الخفاجي في شرح الشفا وقال الصواب انها الجثانة بالجيم ونونين وهي
الدرع لانها تحوط جميعها اي تستره عن الحرب وطلاقي العدو والحصداء بالصاد والدال
المحكمة النسج ويفسره قوله في البردة وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع واختفى
عطف على اوى وعلى بمعنى مع ومرآه اي منظره ومحل رؤيته وفيه تعجب للسامع وحكمة هذا
الاستتار ان محله شدة الظهور عليهم بالغلبة والعونة الالهية الخفاء عنهم النبي
صلى الله عليه وسلم خرق للعادة واتيانه بالظهور مراده به ما ذكر ومقابلته بالخفاء المؤهم انه اريد
به ضده تورية وايهام وهي الايهام الذي بينهم مجاز لان ابداء ما به كان الخفي في ذلك ثم
انتظر الاذن فاذن له قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي وصححه الحاكم وذكر الحاكم ان خروجه عليه
الصلاة والسلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحاق انه خرج اول
يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم به الاموي
في المغازي عن ابن اسحاق قال خرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت
من ربيع الاول قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه
يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما
بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث
ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكان مدة مقامه
بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر
واخبر عليه الصلاة والسلام عليا بخروجه وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع
التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما
في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة
لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج
من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذلك ان
عايشة قد كان ابوها انكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
انه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابي انت وامي يا رسول الله احدى راحلتي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالثمن قال فلت لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من
ماله ما هو اكثر من هذا فقيل اجيب بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه
وماله رغبة منه عليه الصلاة والسلام في استكماله فضل الهجرة الى الله وان تكون على اتم
الاحوال اهـ قالت عايشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب وجعلنا
فيها شاة مطبوخة فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم
الجراب وقطعة اخرى ربطت بها فم القربة فبذلك سميت بذات النطاقين قالت ثم لحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار ثور جبل باسفل مكة ولم يعلم بخروجه عليه الصلا
ة والسلام الا علي وال ابي بكر ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة
اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هناك
فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا
مائة ناقة لمن رده وروي ان ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه
وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيا
ت والافاعي يضربنه ويلسعنه ودموعه تنحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت
دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي
وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عليه ما يجده وفي الدر المنثور مما
اخرج ابن مردويه عن انس بن مالك قال لما كانت ليلة الغار قال ابو بكر يا رسول الله دعني
لادخل قبلك فان كانت حية او شيء كانت بي قبلك قال ادخل فدخل ابو بكر فجعل يلتمس
بيديه فكلما راى جحرا اخذ قطعة من ثوبه ثم القمها الجحر حتى فعل ذلك بثوبه اجمع و
بقي جحر فوضع عليه قدمه وقال ادخل فلما اصبح قال النبي صلى الله عليه وسلم
اين ثوبك يا ابا بكر فاخبره بالذي صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم
اجعل ابا بكر معي في درجتي يوم القيامة فاوحى الله اليه ان الله قد استجاب لك وواخ

قال السهيلي في الروض الا ان في حديث الطلب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلوا يطلبونه على جبل ثبير وهو على الصحو فقال اهبط عني يا رسول الله فاني اخاف ان تقتل على ظهري فيعذبني الله تعالى فناداه حراء الي يا رسول الله

ابن مردويه عن جندب بن سفيان قال لما انطلق ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار
قال له ابو بكر لا تدخل يا رسول الله حتى استبرئه فدخل ابو بكر الغار فاصاب يده شيء فجعل
يمسح الدم على اصبعه وهو يقول هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وهو
طوية ما خاطره فيه رضي الله عنه بروحه وتغريره بنفسه في محبة محبوبه صلى الله عليه وسلم
وعند ذلك يعجب بان الوصل للمحبين ويباح التمتع بالشهود للعشاق فيرحم الله
القايل ومن لم يخاطر بهواه في وجه فلا حظ بن في نيل الحسن لا يتمتع
وبكاؤه لم يكن شكاية بما لاقاه وحصل له في طريق الحب انما كان في غلبة الالم والخوف من
وصول ذلك الى الحبيب بعد موته هو ولو علم انه يموت ويسلم حبيبه ويبقى حاضره ذلك
فان المحبين يفرحون ببذل ارواحهم في محبوبهم ورضاه عنهم بذلك ويحصل لهم بذلك غاية
السرور ولقد كان لسان حاله رضي الله عنه يقول قد لذ لي فيك وجدي ما لقيت
بالوجد اشتفي ولا اريد التشفي لما اتاك الغي فان امت فيهموريه
بان اصوت وتبغي وقد كان يكون بكاؤه فرحا بما من الله عليه به من مواقفة
حبيبه وخلوته بخليله وقد يبكي لما اخبره بالذي معه ولهذا ذكر ابن الصمات فوائد شتى
ما كنت ارى احدا يبكي من الفرح حتى رايت ابا بكر يومئذ يبكي من الفرح قال السهيلي
في الروض فالت ذلك الصغير بعينها وانما لم تكن علمت بذلك قبل وقد نظرت الشعراء الفرا
المعنى فاخذته احسن ما نالها فقال الطاء بعض الشعراء
وهم اذا وكيت في روضة قعقعت عيون ازهارها تبكي من الفرح
وقال ابو الطيب وزاد على هذا المعنى فلا تنكرن لها صرعة فمن فرح النفس ما يقتل
وقال بعض المحدثين ورد الكتاب من الحبيب بانه سيزورني فاستعبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه من فرط ما قد سرني ابكاني
هو هذا الابتداء فيه لا تحزن لانه قد يتعدى الحال بروية لا يخشون الجبال من الجبال وفي مسند
البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين
فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك
الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم
ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك
قال رايت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال امية
ابن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه العنكبوت اقدم من ميلاد محمد وقد روي ان الحمامتين

باضنا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتقطع نسج العنكبوت
وذكر في المواهب عن البلاذري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه
انبت الله عز وجل على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الكفار وهذا ابلغ في الاعجاز
من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اخلف الشجرة المطلوب واضلت الطالب
وجاءت عنكبوت فسترت باب الطلب ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك حتى قيل

ودود القز ان نسجت حريرا … يجمل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت اجل منها … بما نسجت على راس النبي

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون
يمينا وشمالا حول الغار وقد صرحوا بان العنكبوت انما كان مانعا من اقتحام
الغار ودخوله لا من رؤيتهما وانما الله تعالى صرف ابصارهم بدليل ما ورد ان
بعضهم جاء الى فم الغار وبال وهما ينظران اليه وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر
يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك با
ثنين الله ثالثهما وروي ايضا ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه اي
على ابي بكر لانه كان منزعجا او ابرك يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة
ليحرسوه في الغار او ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيتهما وقيل ان ابا بكر لما راى
الكفار وهو في الغار ذكر ذلك للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال لو جاءونا من هنا لخرجنا
من هنا فنظر ابو بكر الغار وقد انفرج من الجانب الاخر واذا البحر وسفينة بجانب الغار قال
ابن كثير وهذا ليس بمنكر لكن لم يرد فالاقي العواهب انظر لما راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا
فكانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس
والثاني في العمر وسبب الموت لما وقى الرسول عليه الصلاة والسلام بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في رمسه وقام مؤذن
التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد احسن حسان حيث قال
لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في ابي بكر شيئا

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة … فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها … بعد النبي واوفاها بما حملا

والثاني

والثاني اثنين المحمود مشهده … واول الناس منهم صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد … طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا … من الخلائق لم يعدل به بدلا

وقال ابن الحسنت يا حسان وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي
سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود
المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدت منه الى الصديق فلذلك لم يقل معي لانه امد
سيدنا ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على ابي بكر والا لم يثبت
تحت عبء هذا التجلي والشهود واين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية
في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم في ثاني اثنين الاول انه مكثا في الغار ثلاثة ايام و
كان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة فيدلج من عندهما
لغرابة بسريع الصبح فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع
امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما
عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيروحها حين تذهب ساعة من العشاء
فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وكان صلى
الله عليه وسلم وابو بكر استاجرا عبد الله بن اريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف
له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما
صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق السواحل الثالث
في حديث اخرجه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العنكبوت وقال انه جند من
جنود الله واخرج ابن سعد عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جزى الله
العنكبوت عنا خيرا لانها نسجت علي في الغار قال العلماء وهذا في عنكبوت خاص وهو ما
لا بيوت واما ما له بيوت فقيه ورد ما اخرجه ابن عدي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت
شيطان فاقتلوه مسخه الله تعالى فاقتلوه اسنده بارو واخرج ابو داود في مراسيله انه قال
العنكبوت شيطان فاقتلوه

وغدى المصطفى الرحيب واشاع … اليقين مكة الاخبار

اي وقصد المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة مع ابي
بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط وذكر غير واحد انهم مروا على خيمة ام معبد
الخزاعية وكانت امراة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم فسالوها لحما وتمرا
ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك وكان القوم مرملين مشتين فنظر رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت خلفها
الجهد عن الغنم قال هل فيها من لبن قالت هي اجهد من ذلك قال اتاذنين لي ان احلبها قالت
نعم بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح
بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا باناء
يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه ثانيا
حتى ملأه ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء ابو معبد زوجها يسوق اعنزا عجافا فلما راى اللبن عجب
وقال من اين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت فقالت لا والله الا
انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فوصفته له فقال ابو معبد هو والله صاحب قريش
الذي ذكر لنا من امره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا
قوله مرملين اي نفد زادهم ومستنيرا اي مجدبين وكسر الخيمة جانبها وتفاجت
بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط اي يرويهم ويثقلهم والثج السيلان واخرج
ابن سعد وابو نعيم عن ام معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه الصلاة والسلام ضرعها
عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما في
الارض لبن قليل ولا كثير قوله واشتاقت اليه من مكة الانحاء اي النواحي والجهات فهو
جمع نحو والنحو الجهة يعني ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا الى
المدينة اشتاقت اليه مكة وحنت له وتاسفت على فراقه وتلهفت لذهابه وتوحشت
لفقد الانس به اذ هو روح الكون كله وسر الوجود باسره واشتياقها اليه وحنينها له
صلى الله عليه وسلم حقيقة لا مجاز على الاصح وراجع ما تقدم من حنين الجذع اليه وغيره وقد
انشد بعض الصحابة الصب يعرفه المواضع كلها الا عليك فانه لا يخفى
ومن جملة انحاء مكة الجمار الثلاث والمقام والبيت والموقف والمروة والصفا وغير
ها من نواحي الحرم وقد صرحوا بان اسم العراق اشتق من اسم النار تنبيه كما اشتاقت
مكة للحبيب صلى الله عليه وسلم اشتاق هو لها لما لها من النعمة اذ فيها بيت الله تعالى
وقرار الانبياء ومنزل الرحمة ومحل التعظيم والاجلال حتى وعده الله بدخولها والفتح من
تطهيرها من اثار الكفر والنصر فيها بمقتضى قوله تعالى ان الذي فرض عليك
القران لرادك الى معاد اي الى معاد له شان وبه اعتداد وذلك يوم الفتح لغلبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور الاسلام واهله وخمود الشرك وحزبه
فالتنكير في معاد للتعظيم وبهذا الوصل منه عاد لمكة رونقها وانسها وزال وحشتها

ومن نقلها

وبه امكنها الصبر ولم تضمر ارجاؤها الا ان الفراق اذا لم يكن عن بغض ونفرة من المحبوب
فانه يرجى بعده الوصل ولا يعد هجرا الا في الصورة دون الحقيقة قال ابن الفارض رحمه الله

اذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن ... بعاد فذاك الهجر عندي هو الوصل
وما الصد الا الود ما لم يكن قلى ... واصعب شيء غير اعراضكم سهل

وتغنت بمدحه الجن حتى ... اطرب الانس منه ذاك الغناء

قالت اسماء بنت ابي بكر الصديق لما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر
من قريش فيهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي
قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم وجهي لطمة خرج منها قرطي
قالت واصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو ينشد

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فقد فاز من امسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ... فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صريحا ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب ... يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت رضي الله عنه جعل يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على اهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم او في ضحى غد
ليهن ابا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

ولم يبق بيت بمكة الا انتشر فيه الهاتف بخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستيقن

ولما اصبحوا بمكة اجتمعوا وقالوا سمعتم ما كان البارحة قالوا سمعناه قالوا فقد
كان مخرج صاحبكم على طريق الشام من حيث تأتيكم العيرة فاطلبوا صاحبكم ودونه
قبل ان يستعبر عليكم بطلبان العرب فجمعوا اعوية من خيل غنمة مجزجبت في طلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا بام معبد رضي الله عنها فسألوها عنه فاشفقت عليه منهم
وكتمت عليهم فقالت انكم لتسئلوني عن امر ما سمعت به قبل عامي هذا وهي صادقة لم
تسمعه الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا تنتهوا حتى منكم تسئلوني عن رجال
يخبركم بخبر الصباح وان لم تنصرفوا عني لا يحق في قومي عليكم وكانت في عز من قومها في
الجاهلية فانصرفوا ولم يعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اين توجه ولو قضى الله
لهم ان يسئلوا الشاة من حلبك اعالت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذالك انها جعلت
شاهدا فعمى الله عليهم مسئلة الشاة وسألوا ام معبد رضي الله عنها فكتمتهم و
لقد ارتحل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ام معبد مر بعبد بن عمر غنما فاستسقاه
اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان هنا عناقا حملت اول العام وما بقي لها لبن فقال
ادع بها فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا فحلب فسقى ابا بكر ثم الراعي ثم شرب فقال
الراعي من انت فقال محمد بن عبد الله رسول الله قال انت الذي تزعم قريش انه صابئ قال انهم يقولون
ذلك قال فاشهد انك نبي وان ما جئت به حق رواه البيهقي وهذا محمول على ان الراعي
اذن له في ذالك وعلم بذالك النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ابو نعيم عن مالك بن اوس الاسلمي
قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر مروا بابل لنا بالجحفة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لمن هذه الابل فقال الرجل من اسلم فالتفت الى ابي بكر فقال سلمت
ان شاء الله فقال ما اسمك قال مسعود فالتفت الى ابي بكر فقال سعدت ان شاء الله تعالى

واقتفى اثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

اقتفى اي تتبع وسراقة هو ابن مالك بن جعشم المدلجي والتميس والتاء في قوله فاستهوته
للتجرد التاكيد اي غاصت قوائمها في الارض حتى بلغت الركبتين مجر عنها والصافن
من الخيل الذي يقوم على ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر والجرداء الرقيقة
الشعر والقصيرته مستعار من الشجرة التي قلّ ورقها وفاعل ناداه سراقة ومفعوله
النبي صلى الله عليه وسلم بان قال له الامان يا محمد وما مقررته اد بعد سوم العدو الخسف
اذ كادت العرب ان تخسع جملة بعد خسف بعضها ومن الحكم المناسبة هنا لا تعالكا
لسبب

والخسف ... ومنه قال الشارح في موضع ... اولتيته
ذلا ... المحققين الحكمي للعرب ... بعد
حصول ... المذكور وكلام ... على
معنوان ... انه لم يخسع ... حقيقية و
ليس ... غاصت في الارض
محصالها والخسف الحقيقي لا كما ... معبر ... الخسف
...
ثم رايت بعض ... صرح بنحو ما ذكرته فقال
يقال ... ذلا او ... مشقة
وعقبها ان يراد بعد ما رايت ان يخسع بها ...
منه

كالاسب لما اقبلها ... فيه الغريق النداء ... الله ... لرفقال
الزهري واخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه اخبره انه
سمع سراقة يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية
كل واحد منهما لمن قتلهما او اسرهما فركبت فرسي وخرجت لالحقهما حتى اذا سمعت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا
فرسي في الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها فنهضت فلم تكد تخلص يديها فلم استوت
قائمة خرج من اثر يديها دخان ساطع فناديتهم بالامان فوقفوا وركبت فرسي
حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم انه سيظهر امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك جعلوا فيك الدية واخبرته خبرهم وما يريدون بهم وعرضت
عليهم الزاد فلم يأخذوا منه شيئا وسألوه ان يخفي اثرهم فال سراقة وسألته ان يكتب لي كتابا
يكون امارة فامر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من ادم ثم مضى وفي رواية البخاري عن ابي بكر
فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا الا سراقة على فرس له فقلت يا رسول الله هذا الطلب
قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا حتى اذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رمح او رمحين او ثلاثة
قلت يا رسول الله هذا الطلب وبكيت فقال لم تبكي فقلت له اما والله ما ابكي على نفسي
ولكن ابكي عليك فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت
قوائم فرسه الى بطنها في ارض صلب فوثب عنها وقال يا محمد هذا عملك فادع الله ان ينجيني
مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك
ستمر بابلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا حاجة لي فيها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق ورجع الى اصحابه وما رجع
وجد القوم يلتمسون فقال ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هاهنا فال فخرجت وانا احب
الناس في تحصيله فرجعت وانا احبهم في ان لا يعلم به احد وفي ذالك يقول سراقة مخاطبا لابي
جهل

أبا حكم لو كنت والله شاهدا ... لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني ... ارى امره يوما ستبدو معالمه
بامر يود الناس فيه باسرهم ... بان جميع الناس طرا يسالمه

واخرج سراقة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فتبعه واسلم ومن يلوذ به وقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا البست سواري كسرى فالبسهما له عمر الفاروق

لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رضي الله عنه سنة اربع وعشرين في صدر خلافة
عثمان رضي الله عنه فتكميل لما تسامع الصحابة بخروجه من الزبير اجتمعوا بقباء والانظار
خروجه صلى الله عليه وسلم تحرك لذلك ما كان منهم ساكنا وظهر عليهم من آثار الشوق
وعلامة الوجد ما كان فيهم كامنا فان قلوب اهل المحبة بعد الفراق تكون منطوية على
نار مما قد استضرمت على حرارة جمارها فاذا برق لهم بارق الوصال وطمعوا في تبديل الا
نفصال بالاتصال تأججت نارهم بهبوب رياح التذكار واشتعلت جمارهم باحتمال حطب
الانتظار وحينئذ ينشد لسان حالهم

فليت شعري والرزايا مرجفة
بين الرجاء واليأس الموت حول هل ترجع الدار بعد البعد انسة
أم هل تعود لنا أيامنا الاول يا ظاعنين بقلبي أين ما ظعنوا
ونازلين بقلبي أين ما نزلوا لقد جرى حبكم مجرى دمي فدمي
بعد التفرق في الفلاة طللوا

وعن عروة بن الزبير قال لما سمع المسلمون با
لمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة
ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما طالوا انتظارهم فلما اووا الى
بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان صاح باعلى صوته يا بني قيلة
هذا جدكم اي حظكم ومطلوبكم فثار فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا
بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول
لاثنتي عشرة ليلة خلت منه قال انس بن مالك لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وخرجت ذوات الخدور وجعلت النساء والصبيان والولائد
يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وجعلت نساء بني النجار يضربن الدفوف ويقلن نحن جوار من بني النجار
يا حبذا محمد من جار فمرحبا بالنبي المختار ومرحبا بنعيم الدار

فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحببنني فقلن اي والله فقال وانا والله احبكن قال الكبر
اي وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم و
فرحوا لهم والله ان يزدحموا على شهود تلك الطلعة المباركة ويتمتعوا بفوز رؤية ذلك
الوجه الذي هو معدن كل خير وبركة وحقهم فاولهم يتولهم بسر جماله وجلاله

ابسرى

أبرق بدا من جانب الغور لامع ام ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
نعم اسفرت ليلى فصار بوجهها نهارا به نور المحاسن ساطع
ولما تجلت للقلوب تزاحمت على حسنها للعاشقين مطامع
لطلعتها تعنو البدور ووجهها له تسجد الاقمار وهو طالع
تجمعت الاهواء فيها وحسنها بديع لانواع المحاسن جامع

وان اردت الاطلاع على تمام خبر هذه الهجرة فعليك بمطالعة كتب السيرة والله الموفق

وطوى الارض سائرا والسموات العلى فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى دونها ما وراءهن وراء

لا اشكال ان ملاحظة الواقع في تعبير الامر يقتضي تقديم الاسراء على الهجرة والقعساء الثا
بتة الراسخة التي لا يصرفها تقصير ولا زوال ولا تغيير فهي رتب جليلة تسقط الاماني
جمع امنية وحسرى جمع حسير من حسر اي عيي في ونيها ضرر لتسقط اي لجلالة هذ
هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت لكلالتها عن نيل هذه الرتب فلم
يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التشاهد لها وهي لا وهي ما وراءهن
وراء اي ما قدام بمعنى انه ليس بعد تلك المراتب مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى
الله عليه وسلم ثم اعلم ان الكلام في الاسراء لا يفي ببيانه مخلوق ولكن نذكر نبذة
ليهتدى بها على مجاز ما فيه قال في المواهب وقضية الاسراء والمعراج من اعظم
المعجزات واوضح البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق الانباء واعظم الآيات
واتم الدلالات الدالة على تخصيصه صلى الله عليه وسلم بعموم الكرامات والحق انه اسراء واحد
بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه ويدل عليه
قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده اذ العبد اسم للجسد والروح كما في قوله أرأيت الذي ينهى
عبدا اذا صلى وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه ولان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل
الاجسام ولان الاسراء لا يكون في النوم ولا يكون الا في الليل وانما صرح بالليل مع ذلك
في الآية تنبيها على عظم خرق العادة اذ البر يتعذر او يتعسر فيه ما يسهل بالنهار
وفيه انه قطع مسيرة اربعين مرحلة في وقت واحد باعتبار بيت المقدس او نحو ثمانية

في الاف سنة بالنسبة الى السموات ابقا والتنكير في ليلا للتقليل اي في بعض منه فان الجمع تقول
سرى فلان ليلا اذا سار جميعه ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره في اثنائه فيشكل على
هذا ما في قوله ليلا التنصيص على ان ذلك وقع في ليل واحد لان التنوين قد يراد به الوحدة
فلعله اسرى في بعيرانه وقع في الليل مع احتمال تعدد الليالي فنص على الوحدة بقوله ليلا
والله اعلم وفي وقته خلاف كثير فقيل ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان او
من شوال او من رجب وفي حجر ام هانئ او في الروضة او من الحجر او ليلة الثالث عشر من ربيع
الاخر وعليه جرى النووي في فتاويه او من ربيع الاول وعليه في شرح مسلم ثم قيل بعد البعث
بخمس سنين او بعشر او باحدى عشرة او اثنتي عشرة وحيث لم يرد في ذلك العمل فيها ولم
نكن مقصودة لذاتها وانما المقصود ما وقع فيها لم يقع اعتناء بتعيينها فكثر الخلاف
فيها وهو على الوجه المذكور من تلك الخصائص العلية لم يكن لاحد من الانبياء غير نبينا
صلى الله عليه وسلم ولذا قيل ولقد سريت الى المهيمن ليلة
والله ما احد سرى مسراك بالجسم كان سراك لاعن ريبة
وبه فرضت في ملكه عيناك والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
والعروج من الارض الى السموات والمعراج الة العروج وسيلة ومن الحكم في كون الاسراء
ليلا ان النبي صلى الله عليه وسلم سراج والسراج تظهر قوة نوره بالليل وبقمر
فلك يا اسعد ولم تؤثر الليل على بهجة النهار العنيير
ما لا تستطيع تغيير نعته هكذا الترسم في طلوع البدور
انما زرت في الظلام لكيما يشرق الليل من اشعة نور
وقيل امتنع النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك
فقد عرج شمس الوجود في الليل الى السماء والكلام على حديث الاسراء من وجوه
احدها قوله فيه اتيت بالبراق الى حديث الباء للتعدية وهو جبريل وسمي براقا لسرعته
او من البريق واللمعان او من قولهم شاة برقاء اذا كان في خلال بياضها سواد
ولا ينافيه وصفه بالبياض لان البرقاء من الغنم معدودة من البيض والمشهور انه انتهى
عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتي والحكمة في كونه دابة في شبيه بعلا
دون البغل وفوق الحمار ولم يكن على شكل الفرس الاشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن
لا في خوف وحرب او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة
الثاني روى معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة

ليلة الاسراء مسرجا ملجما فاستصعب عليه البراق فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك
خلق اكرم على الله منه قال فارفض عرقا اخرجه الترمذي وصححه ابن حبان فمعنى ان البراق
لما فعل الثانية المتكبر بخروج عن حسه ولم يقبله امر بعينه لشدة فرحه وسروره بركوب
سيد السادات وعين الغيوب وصدر الصلوات عليه كانت تبهته بذلك عن الاكوان غيبة لذة
الانس ونشوة السكر بعلم مقتضى الادب فرده جبريل وهكذا يقع لاهل الانس وكذلك
يتوجه البديع العتاب فقال له الزهو على الوجود بسبب الوجود ولم يقصد الاستصعاب
حقيقة وانما غلب عليه الوجد فلم يملك حال نفسه ولهذا ما انبعثه جبريل عليه السلام
سال عرقه واذن بكم عظيم الخجل وفي رواية ابن سعد وكان النبي امسك في كتابه جبريل ومن ما
يم ميكائيل ع وفي المواهب ما نصه وفي كلام بعض اهل الاشارات لما كان صلى الله
عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من
عرض هذه الثمرة نبوية مشهودة ومعها الى حضرة قربته والطواف بها على خدام
حضرته احمل البيع اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما ولجنابه خادما واقامه
على جبرائيل تائبا فقال في بالاسم فقد نبهتك لك الغلام قال يا جبريل قال يا محمد ارفع
الاذن من المسير انا رسول الغلام ارسلت اليك من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة
الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجلم انت صفوة كاس المحبة انت درة هذه الصدفة
انت شمس المعارف وانت بدر اللطائف ما مهدت الدار الا لاجلك وما حمي ذلك
الحمى الا لوصلك وما روق كاس المحبة الا لشربك فقال عليه الصلاة يا جبريل
الكريم يدعوني اليه فما ذا يفعل بي فقال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال يا جبريل هذا لي فما لعيالي واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل
الان طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جيء بي اليك الليلة
لاكون خادم دولتك وحاجب ما شيتك وحامل غاشيتك وجيئت بالمركوب
اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا او استدعوا
قريبا واراد واظهار اكرامه واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعز توابعهم
لنقل اقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك واداب السلوك ومن اعتقد انه وصل اليه با
لخطا فقد وقع في الخطا ومن ظن انه محجوب بالغطا فقد حرم العطا وروي انه لما وصل
الى بيت المقدس لم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن واقيمت الصلاة
قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم فلما

اخرجت قال جبريل اخرى من طين خلقك قلت لا قال طين خلقك كل نبي بعثه الله الثالث في رو
اية ابن اسحاق انه عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي بالمعراج ولم
ار شيئا احسن منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر والمعراج بكسر الميم وحكي فتحها
ما عرج عليه الراء يعرج بضمها اذا صعد وهو الة العروج ويقال السلم وفي رواية كعب فوضعت
له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج وفي شرف المصطفى انه اتي بالمعراج من جنة
الفردوس وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي
ثم اتيت بالمعراج الذي يعرج عليه ارواح بني ادم فلم تر الخلائق احسن من المعراج اما رايت الميت
حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه من المعراج هذا وفي حديث ابن عباس قال
خذ جبريل بيدي واتى بي الى ناحية الصخرة ثم نادى يا اسماعيل دل المعراج فدلاه فاذا المعراج
درجة ما رايت شيئا احسن منه فصعدت على اول درجة فرايت ملائكة ثيابهم حمر والوانهم حمر
ثم صعدت الثانية فاذا ملائكة ثيابهم صفر والوانهم صفر ثم في الثالثة ملائكة ثيابهم خضر
والوانهم خضر وفي الرابعة ملك معه عمود وحوله ملائكة تبرق اجسادهم ووجوههم كما تبرق
السرابل المجلوة وفي الخامسة فاذا عليها ملائكة مثل الجن والانس ويأجوج ومأجوج واذا فيها
انهار واشجار يسبحون بكلام لا اله الا الله وفي السادسة فاذا ملك عظيم على كرسي من
ذهب حوله ملائكة شاخصة ابصارهم عجيبة لله تعالى يسبحون الاقرا ما شاء الله وفي ا
لسابعة فكاد نور يخطف بصري من نور ملائكة استقبلوني بالتعظيم وفي الثامنة فاذا فيها
ملائكة وجوههم من نور وعليهم ثياب من السندس وبيدهم اعلام من النور فلما راوني قالوا
يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة فقاموا علي ورحبوا
بي وفي التاسعة فرايت ملائكة قصرت عن صفتهم وفي العاشرة فاذا ملائكة لا يحصى
لكثرة عددهم ولا يحصيهم الا الذي خلقهم ولولا ان الله عز وجل ثبتني بقي لذهب من نورهم فاستقبلوني
بالتعظيم والترحيب فلم ازل اصعد درجة درجة وجبريل يحث البراق ورسول
بعد رسول يقول يا جبريل عجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى كنت في اعلا درجة
فسمعت الملائكة في السماء يسبحون ويهللون وبعد سوق الرب تعالى فقرع جبريل
الباب فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
قالوا وقد بعث اليه وفي رواية وقد ارسل اليه قال نعم قالوا مرحبا بكم ثم فتحوا له
فصعدت الى السماء الدنيا واذا بحر من موج مكفوف حبسه الله في الهواء فلم يبق فيها
ملك الا رحب واستقبلني ورحب في الرابع وانما صادف ابواب السماء مغلقة تنويها
بقدره

في السماء الدنيا

تنبيه ما اجمعه من كلام الشارح من ان البراق رجع به صلى الله عليه وسلم الى الباب فوصلني
هو ما دلت عليه رواية البخاري والعجب انما علق عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا
فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية وهكذا الا كما تحت الاحاديث بانه استمر
على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى
فيه كما مر والظاهر هنا انه لم يركب البراق الا من مكة الى
بيت المقدس لا غير ولهذا القسطلاني ذهب بعضهم الى
ان الاسراء وقع على البراق ووقع مرتين مرة الى بيت المقدس
ومرة من مكة الى السماء ولا كثير قد يشهد ان الاسراء انه لم يتعدد
وانه لا يجاب بي وانما الذي ذكره ... عليه من مكة الى
السماء اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية
البخاري الصادقة صريحة في انه لا معراج اختصر الكتاب عن
السير الى السماء الدنيا ثم رقي بعده وهكذا وجرى
عليه الشارح لما علت والاولى الجواب جمعا بين الروايتين
بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم
البراق والختم على ما به الصموت وما عوقعا ولهذا اعتنى
رواية البخاري الخاص في ميعاد النظم والجمع بينهما
وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها العمل
يقتضي عند الشارح في ذكره انه ركب الى منتهى وصوله
لا كثر بجوهمه ... والخاص انه يجر وصوله
لسماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا البراق ... رواية
الاولى وانه ... تاويل على الرواية الثانية ويحتمل
انه ذهب من غير ركوب شيء تعظيما للصموت اظهر
افضل من الارض ... والجواب ... وانما قلنا
الروايات في هذا الامر ... لا يقتضيه على انه ما
وقع تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكره كثير من
رواية الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح
في الغاء الاسراء وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم

بقدره وتفخيما لان السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتوحة لم يتم انها
فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام ان الحجاب مطوي وان فتحها له كرامة
وتبجيل وقولهم وقد ارسل اليه الاظهر انه استفهام على الارسال اليه للعروج الى السماء
لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى وقد علم انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع
له ولا لقالوا ومن محمد مثلا ولذا اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فكلامهم
هذا ينبئ مع فتح بالتنبيه وتعظيم رسالته وهذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والتعريف والتعريف
على المعروف من عادة العرب وقولهم من معك لما راوا خيرا فيه الم عليهم زيادة الانوار و
غيرها من الماثر الحاصلة زيادة على ما يعهدونه منهم كانهم قالوا من الشخص الذي من اجله
هذه الزيادة التي معك فعينه لهم وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه
الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة والخامس في
بعض روايات الحديث المتقدم فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة
اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح
تقديم
قلت لجبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله فقسم بنيه فاهل اليمين
منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار قال عياض جاء ان ارواح الكفار في
سجين وارواح المومنين منعمة في الجنة فكيف تجتمع في سماء الدنيا والجواب انها تعرض على
ادم اوقاتا فوافق وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم واستشكل
بان ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السماء كما هو نص القرآن واجيب بانه يحتمل ان الجنة
كانت في جهة يمين ادم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية
ادم لها وهو في السماء ان تفتح لها ابواب السماء ولا تلجها تنبيه قيل انما اقتصر الا
نبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لان الصالح صفة تشتمل على خصال الخير
كلها لان الصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة
جامعة لمعاني الخير وفي قول ادم بالابن الصالح اشارة الى افتخاره بابوة النبي صلى الله
عليه وسلم قال واذا اليسرى في السماء موضع الا وفيه جبهة ملك يسبح الله ورايت في السماء
الدنيا ديكا له زغب اخضر وريش ابيض وبياض ريشه كاشد بياض رايته قط وزغبه
تحت ريشه كاشد خضرة رايتها قط واذا رجلاه في تخوم الارض السابعة السفلى واذا راسه
عند عرش الرحمن ثاني عنقه تحت العرش له جناحان في منكبيه اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب
فاذا كان في بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك

القدوس سبحان الكريم أو قال الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم وإذا أنا بالديك الذي تسبح ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ فإذا أمسك ذلك الديك في السماء سكتت التي في الأرض ثم إذا كان في بعض الليل نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلي العظيم سبحان الله العزيز القهار سبحان الله الواحد [illegible] فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض بمثل قوله وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ فإذا أمسك سكتت ثم إذا هاج هاجت قال ثم مررت فإذا أنا بأعجب العجب فإذا ملك من الملائكة نصف جسده مما يلي رأسه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو قائم بصوت له حسن يقول سبحان ربي الذي كف هذا الثلج عن هذه النار فلا يطفئ النار وكف هذه النار عن هذا الثلج فلا تذيبه اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت يا جبريل من هذا قال ملك من الملائكة يقال له حبيب وكله الله بأكناف السموات وأطراف الأرضين وهو من أنصح الملائكة لأهل الأرض من المؤمنين وهذا قوله بدعائه منذ خلق قال ثم صعدنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية وهي من حديد فقرع جبريل الباب فأقبل ملك في ألف موكب من الملائكة وسمعت ضجة أعظم من ضجة سماء الدنيا فقيل يا جبريل من هذا معك قال محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ففتح لنا بابا من أبوابها فإذا الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتهليل مرحبوا وقالوا نعم المجيء جاء وإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا في الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى دنونا من السماء الثالثة فسمعت أصواتا أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل حتى وقفنا بها وهي من نحاس فقرع جبريل بابها فرأيت ملكا حوله سبعون ألف ملك قد خرجت أقدامهم للأرض السابعة فقالوا يا جبريل من هذا قال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فرحبوا وحيوا وإذا بيوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا في الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى انتهينا إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قيل نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فسمعت ضجة الملائكة بالتسبيح والتقديس وإذا هي من فضة فرأيت ملك البحار العذبة في غمرة أبهامه الأيمن والبحار المالحة في غمرة أبهامه الأيسر وإنه ليكيلهم بحكمة الله تعالى كالعصفور الصغير فسبحان الله تعالى

ابن

فصل في السماء الثانية

نقل [illegible] عن كعب الأحبار أنه قال خلق الله السماء الأولى موجا مكفوفا والثانية [illegible] حديدا والرابعة نحاسا والخامسة فضة والسادسة ذهبا والسابعة ياقوتة [illegible]

فصل في الثالثة

ورأيت رجلا قاعدا والدنيا كلها بين ركبتيه وهو دائما ينظر إلى المشرق والمغرب وبيده لوح مكتوب فيه شخص بين يديه ينظر إليه لا يطرف فوقف جبريل عليه وقال يا ملك الموت ألا تسلم على محمد نبي الرحمة حبيب الله فقال ملك الموت يا محمد سلام عليك أبشر فإن الخير كله لأمتك وفي أمتك فقر عينا وطب نفسا ورأيت البيت المعمور يلج فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون عليهم النوبة إلى يوم القيامة وإذا بإدريس فقال جبريل هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزنا بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي قال العارف ابن أبي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لأممهم ولكن ذلك فيهم وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل ما يبكيك فقال هي رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم فلا جرم كان لموسى عليه السلام من الرحمة والشفقة ما يكون بقدر ذلك رحمة منه لأمته إذ ذاك وقت إفضال وإكرام وجود فرجى أن يكون وقت الفضل والإفضال فيرحم الله أمته ببركة هذه الساعة فإن قيل أمته لا تخلو من قسمين قسم مات على الإيمان وقسم مات على الكفر فالذي مات على الإيمان هو لا بد له من دخول الجنة والذي على الكفر لا يدخلها أبدا فلنا رجى العصاة من القسم الأول التفضل والإحسان في ذلك الوقت لأنه وقت أسري فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العظيم فطمع الكليم أن يلحق أمته نصيب من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم إن لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله قال ثم صعد إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا إبراهيم أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح [illegible]

فصل في الخامسة

فصل في السادسة

ثم وصف النبي سدرة المنتهى بان نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه
سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما
الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي رواية مسلم اربعة انهار من
الجنة فيحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها وفي رواية
عند البخاري انه رأى النيل والفرات في سماء الدنيا فاصلهما في سدرة المنتهى وعنصر انحدارهما
في سماء الدنيا وفي رواية مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشيها فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها وفي حديث انس المرفوع انها في السماء السابعة وفي حديث
ابن مسعود الموقوف انها في السادسة وحديث انس هو قول الاكثر وهو الذي يقتضيه
وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وملك مقرب وما خلفها غيب لا يعلمه
الا الله او من اعلمه وجمع بينهما بان اصلها في السادسة وفرعها واغصانها في السا
بعة وليس في السادسة منها الا اصل ساقها قاله مقاتل وهي عن يمين العرش قيل فاذا ظلة
السموات والجنة وقيل هي طوبى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها و
يستظل بالغصن منها الف راكب لو وضعت ورقة منها في الارض لاظلت اهل الارض واخرج عبد
الرحمن بن حميد عن سلمة بن وهرام في قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استاذنت الملا
ئكة الرب تبارك وتعالى ان ينظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فغشيت الملائكة
السدرة لينظروا اليه لانه عروس المملكة والعلم الاعلى والعروة الكبرى التي تعلق فيها
صفات الحق تعالى بحسب الدلالة والتعريف لا بحسب الحلول والتكييف اذ هو اكبر المتخلقين با
خلاق الربوبية ولذا سمي بكثير من اسماء الله تعالى كالرؤوف والرحيم وبه فسر قوله من ورا
ء غدقة الحق قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل
ممدود وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فا
لظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول هـ وقوله واذا نبقها اي ص
طعمها وما تثمره وقلال على وزن جبال جمع قلة انية معروفة وهجر بفتحتين وجيم مفتو
حة غير مصروف قال في القاموس هي بلدة كانت قرب المدينة اليها تنسب القلال او تنسب الى
هجر البحرين وقال ابن حجر وهجر قال ابن اسحاق وهي محلة بالمدينة يعمل فيها القلال وقال
غيره هي التي بالبحرين وبه جزم الازهري وهو الحق وانما وقع التشبيه بها لكثرة استعمال
العرب لها في اشعارهم فهي مشهورة عندهم قيل وكل قلة منها قدر قربتين ونصف بقرب الحجاز
الكبار هـ والاذان جمع اذن وهي حاسة السمع والفيلة بكسر الفاء بعدها ياء مثناة ولام مفتو
حتين

مفتوحتين جمع فيل معروف سماعا ورؤية لبعض عظامه الدالة على عظم جثته والتشبيه في
الموضعين بما عظم ما يعرف مناسبا للمشبه تقريبا للافهام وفائدة التشبيه نقصان ما يحكي
عنها وفي عجائبه ابن زكري سدرة المنتهى انتهى عندها العلم وعلمه لم يجر فيه انتهاء
قال في الشرح واذا قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي عندها لا يجاوزها ولم يجاو
زها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد
من تحتها من امر الله وقيل لانه ينتهي اليها من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهم
المومنون حقا والمنتهى اسم مكان او مصدر ميمي بمعنى الانتهاء وعلى الاول جرى في النظم
قال ميارة العلم خلع عن انقطاع السير اي انتهى عندها علم الخلائق وعلمه اي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يجر فيه انتهاء اي ليس في متعلقه الذي هو المعلوم او العلم بمعنى المعلوم وبقرا على
ما ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى من انه صلى الله عليه وسلم اوتي علم كل شيء حتى الخمس
التي هي علم الساعة وما معها وكذا علم الروح ولكنه امر بكتم ذلك وما احسن بجعل منه علم
اللوح والقلم كما في البردة واما بمعنى العلم الحادث فهو مخلوق متناه بالضرورة وفي رواية
البخاري ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام المستوى المصعد وهو محل
لا يعلم الله حقيقته وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد
ما تكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته
وجف القلم بما فيه من قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كل
يوم الشئون المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر وقال ابن سبع
في شفاء الصدور من حديث ابن عباس قال مولانا علي كرم الله وجهه سلوني عن علم قبل
ان تفقدوني عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل في مقام ليس بمرحل وقال له ما هو قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبصر الى ابي بكر وعمر وعثمان ثم ذكر التي فيما خبره ربه فيه من العلم
ما علمني قال كنت نورا في وجه ابراهيم وذريته في ظهره فلما عارضه جبريل وهو في المنجنيق
فقال هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكائيل فقال لا حاجة
لي اليكما فعاد اليه الثالثة فقال هل لك من حاجة الى ربك فقال من شان الخليل الا يعارض
خليله قال النبي صلى الله عليه وسلم فاصطفاني الله اذ قلت ليس بعثني الله نبيا واصطفاني
بالرسالة لا جاز بي جبريل على مقام ابراهيم فلما كانت ليلة الاسراء كان جبريل التقدم
بي الى ربي الى ان انتهى الى مقام مقام عنده فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك
الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هلا

ما حاجتك الى ربك فقال يا محمد اسأل الله لي ان ابسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا
عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد دخلت عن حاجة جبريل فقال الله تعالى
ابر حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته الى ما سأل ولكن فيمن احبك وصحبك
هو كالزنبير [illegible]

يا قدامه في حضرة القدس قد سعى ... يرسول الله فوق المناصب منصب
يا علا الهما امشي بكل رتبة ... وجبريل تأخر والحبيب مقرب

الثامن قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم ثم زج بي في النور
زجا فخرق بي سبعون الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل
ملك وانس فاذا انا من العلا الاعلى ادن يا محمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فادناني
ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى واورثني علم الاو
لين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد
غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل يذكره به وعلم امرني بتبليغه الى
العام والخاص من امتي وفي رواية ثم دلي لي رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس والتمع
بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فرايت امرا عظيما لا تنا
له الالسن ثم دلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذائقون شيئا قط
احلى منها فانبأني الله بها نبأ الاولين والاخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم
ار شيئا فجعلت ارى بقلبي ولا ارى بعيني ورايت من خلفي ومن بين يدي كما رايت من
امامي الحديث وهذه الحجب انما هي بالنسبة الى المخلوق والحق سبحانه ليس بمحجوب
اذ المحجوب مقهور وهو القاهر فوق عباده والقرب والبعد بالنسبة الى المسافة مستحيلا
ن عليه تعالى لاستحالة الجهة والمكان في حقه تعالى وانما القرب منه والبعد معنويان فلا
غير فالقرب منه تعالى عبارة عن دوام حضوره بالقلب بان يكون مشهدا لقربه تعالى منه
بالعلم والارادة والقدرة المشار اليه بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه
منكم وبروح اللذات [illegible] اذ بقوله وترتيباته

ثم انني فادنانا الى العرش ربه ... ونادى تقدم يا وحيد محبتي
تلذذ بنا واسمع لذيذ خطابنا ... وعينيك قرة في عجائب قدرتي
ترى العرش والكرسي والحجب فرحة ... لربك وانوار عليك تجلت
فانعم بنا هذا الوصال وذا اللقا ... محب ومحبوب وساعة خلوتي
تقرب ولا تجزع واقبل ولا تخف ... وصل تعطى عبدي انت عبد صفوتي
تعاليت قدرا عندنا ومكانة ... وذكرك مرفوع فلا تنس نعمتي

التاسع

التاسع قال ابن حجر اختلف العلماء قديما وحديثا في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم ربه
بعيني راسه او بعين قلبه فقط والاصح عن ابن عباس وفي رواية انه راه بعيني راسه وفي اخرى
انه راه بقلبه ولا تنافي لانه صح عنه كما رواه الطبراني انه راه مرتين واحدة بالعين
وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد
العلم لانه حاصل له ولغيره وجاء عن انس باسناد قوي رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما
ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف انه رأى ربه وبذلك قال عكرمة وصاحب
اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر واخرون وهو قول الاشعري وغالب
اتباعه وحمل الجمع قول عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية
بم يجمع قولها قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم
اكبر واما قوله تعالى لا تدركه الابصار فالمراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلية العاشر
اختلف في معنى قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فقال الجمهور الضمير
لجبريل اي دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى فتدلى على
النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى عظمة جبريل ما ادرا
وهاله ذلك رده الله الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب منه من النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن القيم جبريل هو الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد راه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة
وقال اخرون الضمير في دنى لله تعالى سبحانه اي دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه
وسلم فتدلى في الدنو والتدلي على هذا مجاز كما تقدم لان قرب الله من العبد ليس بالمسافة
والانتقال والقرب المستفاد من التدلي اخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا يجيب عمن عطفه
عليه وتقديم الدنو تقديم الاعم على الاخص والقاب مقدار المسافة اي كان جبريل من
محمد عليهما السلام بالقرب بمقدار قوسين عربيتين والمعنى من طرف العود الى طرفه الاخر
وقيل من الوتر الى العود وقيل ليس القوس التي يرمى بها وانما هي ذراع تقاس به المقادير
ذكره الثعالبي وقال انه من لغة اهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار المسافة قرب
جبريل من محمد عليهما السلام مثل قاب قوسين قاله ابن الجوزي وتفسير القاب بالقدر قال
الشيوخ في الديباج هو المراد في الاية عند جميع المفسرين اه ومنه حديث لقاب قوس
احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال ابن القيم واو ليست للشك بل لتحقيق
قدر المسافة وانها لا تزيد على ذلك البتة كما قال تعالى الى مائة الف او يزيدون تحقيقا

لهذا العدد وانهم لا ينفصلون عن مرتبة العبودية اصلا وقوله تعالى كالحجارة او اشد قسوة والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة وهذا الحصر والقطع من جعل او بمعنى بل او للشك بالنسبة الى الرائي او بمعنى الواو وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى قال مولانا جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى غاية الملاطفة وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب ولاطفه ملاطفة الحبيب للحبيب بنفي السر ولم يطلع عليه احد وقيل علم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقيل من جملة ما اوحى اليه الم نشرح لك صدرك الى السورة ومن جملته ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك الى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال ابو محمد عبد الجليل القصري اثنى الله عليه بحقيقة الاستقامة اي ما مال الى النظر الى سواه وما طغى اي لم يتجاوز حد الادب في نظره الا قليل بل صلى الله عليه وسلم في كمال ادبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات والسبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب نسي به الاولين والاخرين فانتصب له هنالك اعلام القرب انتصابا وانقشعت عنه سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من القرب يغبطه به الاولون والاخرون واستقام هنالك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم على اقوام صراط السوي والهدى واقسم بكلامه العزيز على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس والقرءان الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد اقامه على الصراط فجعله العلامة لاتباعه واهل سنته حتى يجوزوا الى جنة النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن هنا اخذ الصوفية رضي الله عنهم في الوصول اشتراط الزهد في المعاملات حتى يكون الله في القلب اعظم واحب من كل شيء قال في الحكم ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر وما احسن قول الشيخ ابي الحسن الششتري رحمه الله في هذا المعنى فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما

سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا … وكل مقام لا تقم فيه انه
حجاب فجد السير واستنجد العونا … ومهما ترى كل المراتب تجتلى
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا … وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب

فلا صورة تجلى ولا طرفة تجتنى

الحادي عشر قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت اي رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف لامتك قال فلم ازل ارجع بين ربي وموسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة الخ واختلف العلماء في توجيه مجاز سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على اقوال قال بعض اهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة في قلب موسى عليه السلام اطلت له انوار نور الطور فاسرع اليها ليقتبس واقتبس فلما نودي في النادي اشتاق الى اللقاء فكان يطوف في بني اسرائيل من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان تطول مناجاته مع الحبيب فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال اخر لما سال موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق بقلبه والامل بعقله فلما تحقق ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السؤال ليسعد برؤية من قد راى كما قيل

واستنشق الارواح من نحو ارضكم … لعلي اراكم او ارى من يراكم
وانشد من لقيت منكم عساكم … تجودون لي باللطف منكم عساكم
فان تم حبا ان حبيت وان امت … فيا حبذا ان مت عند هواكم

وقال اخر لما تجلى الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كؤوس الحب ثم عاد وهلال ما كتب العفو ما راته عيناه وسمع ما اوحى الى عبده ما اوحى ملا قلبه واذ نيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله

يا وارد من اهيل الحي يخبرني … عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر
نشدتك الله يا راوي حديثهم … حدث فقد زاد شوقي اليوم عن خبري
فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم
لقد خلوت مع الحبيب وبيننا … سر ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة املتها … ورجعت من فيض الجمال كما ترى

ثم ان هذه المراجعة من النبي صلى الله عليه وسلم لربه في شان التخفيف هي من جملة ما كان عليه

[illegible]

واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لما اطلع عليه من صعاب هؤلاء الامة على ما حكاه عن قوله انا نحن اجعلني [illegible] فقال الله تعالى هي تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور فكان من اعتنائه ... [illegible] بالقوم ما هو منبع ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية فكان الشفيع علي حين مررت به وخير لي حين رجعت انتهى

صلى الله عليه وسلم من الاهتمام بامته والاعتناء بشانهم والحرص على الخير لهم ما امكنه صلى
الله عليه وسلم وقد ذكر ابن مرزوق في شرح البردة انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب
قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ
فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم
لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الاخرة
اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله
عليه وسلم الانصراف قال يا رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا
لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور قال الشيخ ابو محمد بن
ابي جمرة اكثر النبي صلى الله عليه وسلم لامته من الدعاء في هذا الموضع لما جبله الله عليه
من الشفقة والرحمة وقد ذكر بعض العلماء ان الله تعالى نادى فيا ان يخلق الخلق بالفي عام
فقال يا امة محمد ارحمكم قبل ان تسترحموني واعطيكم قبل ان تسالوني واعفو عنكم قبل ان
تستغفروني ولاجل هذه المراجعة قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وقال
ارحنا بها يا بلال كان يتذكر بها تلك المراجعة الجليلة قال وسر كون الاسقاط بخمس
خمس لتكون المراجعة مع الاصل عشر مرات اشارة الى ان الله تعالى كان يكرم حبيبه في
كل مرة بكرامة ويعطيه له في كل مجيء هدية فبقي عشر هدايا قلنا وقال في المرة الاخيرة
لكل صلاة عشر فكانت الحسنة بعشر امثالها من بركته وعزته عند ربه تعالى ولم يحك
ذلك في اوامره لمحبوبيته عنده الظاهر لك في احواله في المراجعات والاهداء في كل واحدة
منها وفيه اشارة الى ان مراده من عباده المخصوصين ان لا يزول اليه اصغرهم ولا يكون
مع غيره قرارهم فلا يقضي لهم جميع مآربهم دفعة لمحبته وقربهم ببابه ودوام التجائهم لجنابه
وتذكر قوله تعالى يا جبريل اخر حاجة عبدي فاني احب ان اسمع صوته وكذا لم يجعل لهم
نعيمهم في الدنيا واخر ذلك الى ملاقاته ليدوم سؤالهم ويتغير عنهم ان النعيم انما يكمل
برؤيته وفيه اشارة الى ان الله يحب من عباده الالحاح وانه تعالى لا يتبرم بالحاح
الملحين وها هنا سر اخر بديع وهو انه تعالى في كل رجوع كان يكثر العطايا ويعظم
الهدية ويضاعف الفضل لحبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل العطاء على حد سواء فمن انه الى
رجوع بل في المرة الثانية اكثر من المرة الاولى وفي الثالثة اكثر من الثانية وهكذا زيادة
في اظهار شرفه صلى الله عليه وسلم والاعلام بمحبوبيته وبيانه انه اسقط في المرة الاولى
خمسا واثبت ثوابها فيقسم على خمسة واربعين يخرج تسع لكل واحد فالحسنة بمثلها
وتسع

عشرهم (margin)

41

ونصف الحسنة وفي الثانية اسقط خمسة اخرى واثبت ثوابها فيقسم ثواب العشرة على الاربعين
فالحسنة بمثلها وربع وفي الثالثة اسقط خمسة اخرى واثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة
عشر على خمسة وثلاثين بثبوت فعل بالخمس فخمس الخمسة عشر ثلاثة وخمس الخمسة والثلاثين
سبعة فيقسم الوفق على الوفق يخرج ثلاثة اسباع ونصف الاسباع سبع فالحسنة حينئذ أو
بمثلها والنصف الا نصف السبع وفي الرابعة اسقط خمسة واثبت ثوابها فيقسم ثواب
عشرين على ثلاثين يخرج ثلثان فالحسنة بمثلها وثلثي المثل وفي الخامسة اسقط
خمسة واثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وعشرين على خمسة وعشرين فالحسنة بمثليها
وفي السادسة اسقط خمسة واثبت ثوابها فيقسم ثواب ثلاثين على عشرين فالحسنة بمثليها
ونصف المثل وفي السابعة اسقط خمسا واثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وثلاثين على خمسة
عشر فالحسنة بثلاثة امثالها وثلث المثل وفي الثامنة اسقط خمسة واثبت ثوابها فيقسم
ثواب الاربعين على عشرة فالحسنة بخمسة امثالها وفي التاسعة اسقط خمسة واثبت ثوا
بها فيقسم ثواب الخمسة واربعين على خمسة فالحسنة بعشرة امثالها فانظر واعتبر هذه
المنزلة العظيمة لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعطى هذا الفضل العظيم لكل مطل
من امته الذي لا يعلم عددها الا الله تعالى ثم انه زاده واباح عليه العطاء فطرد هذا التضعيف
في جميع الحسنات ولم يخص بالصلوات ورتب كتابة الحسنة على مجرد الاهتمام قبل العمل
ولم يقابل بين الحسنات والسيئات في التضعيف بعد العمل ولا في الاهتمام قبل العمل بكرامة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى ومكانته عنده والحمد لله الذي جعلنا من امته
تمم الله لنا ذلك بالعفو والعافية بمنه امين وتذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم
من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة الحديث واسلك به
مسلك تضعيف بيوت التضعيف المذكور عند اهل الحساب تطلع على اعجب العجائب ولذا
قيل والعمر في ميزانه اتباعهم فافهم وقدر مقدار النبي محمد وانظر قوله
تعالى يا محمد لبيك وسعديك هي خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة وهذا من اللطف والرفق منه تعالى بعباده المومنين ما لا يخفى قال في الحكم
على وجود الضعف منك قلل اعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها وفي
ضمن ضعف العبد ثبوت تقصيره وقصوره على التوفية بحق الربوبية وعدم اتيانه بمقتضى
العبودية وعامله تعالى على مقتضى ضعفه فقلل الاعداد وذلك بعد التكثير اجلالا
للفرح والسرور على النبي صلى الله عليه وسلم وقبول شفاعته وخصوصية امته لاجله والظهار

الفضل والكرم والرحمة واللطف وفي احتياج العبد الى الفضل وتكثير الامداد من التنبيه
على ان اعماله لا تفي على قدر اعماله ولا يحسبها فليكن اعتماده على فضل مولاه لا
عليها وليرفع نظره عن طلب العوض عنها وليشكر مولاه على هدايته لها واصطناعه
له فيها اعملوا فكل ميسر لما خلق له كفى العاملين جزاء على طاعته ان رضيهم لها
اهلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا واعلم ان هذه العشر هي
الاصول التي يدور عليها التضعيف في مقاماته لا على الاصل الاول الذي هو الحسنة الواحدة
فنقول اذا كانت صلاة الشخص في جماعة بخمس وعشرين درجة ضربت في عشر فتكون الصلاة
في جماعة بمائتين وخمسين كما صرح به الائمة واذا كانت الصلاة في بيت المقدس فبخمسمائة
صلاة ضربت في عشر فهي بخمسة آلاف صلاة ثم تضعف في الجماعة واذا كانت الصلاة
في مسجد المدينة بالف صلاة كانت مضروبة في عشرة بعشرة آلاف ثم تضعف في الجماعة
واذا قلنا بقول الشافعي ان الصلاة في مسجد مكة بمائة الف صلاة كانت مضروبة في عشرة
ثم تضعف في الجماعة اه ملخصا من شرح شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله تعالى بثمانية
عشر قال النووي الجمهور على تفضيل السماء على الارض اي غير ما ضم الاعضاء
الشريفة اه وهذا وان قاله الجمهور غير منصور وقد ذكر بعض العلماء ان السماء والا
رض تفاوتا وتفاخرا وتباهيا واحتجت كل منهما على الاخرى فاحتجت السماء بانها محل الطا
عات والعبادات وهي المصونة من المعاصي والخطايا ومسكن الملائكة الذين
هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وفيها الجنة وسدرة
المنتهى والبيت المعمور وغير ذلك مما ليس في الارض فاجابتها الارض بقولها فكيف
معي وهو ان فيها مقام النبي صلى الله عليه وسلم وقراره حيا وميتا ولم تعز السماء
موطء اقدامه لها الا ليلة المعراج فاستكنتها بذلك وغلبتها وفوق السماء انها
مصونة من المعاصي لا تفضلها الارض لان ابليس قد عصى في السماء على ان التربة لا تقتضي
التفضيل وكفى الارض فضلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خلق جسده الشريف منها
لعموم قوله تعالى منها خلقناكم وان كان نوره خلق قبلها وانه دفن فيها وهو اول
من تنشق عنه الارض وقد قال العلماء في الجامع الصغير في اثناء كلام قالوا ولا خلاف
ان البقعة التي ضمت اعضاء النبي صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض على الاطلاق حتى
موضع الكعبة المعظمة قال غيره وكذا ما بين قبره ومنبره لثبوت انه من الجنة قال
العلماء واقول انا وافضل بقاع السموات اي اولى ارض تعرض لذلك والذي اعتقده ان

ذلك

ذلك لو عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض افضل من
جميع بقاع السماء لشرفها بكون النبي صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو
عندي الظاهر المعتبر اه وما احسن قول شيخ شيوخنا العلامة الشهير سيدي عبد
السلام جسوس رحمه الله يشير الى هذا المعنى في جملة ابيات: أيا سماء تعلت
والبدر فيها منير ... وبالنجوم تحلت ... والشمس فيها نور ... ما لي ارى كل حين
منك الدموع تفور ... افخر رفيع وحضني ... هذا البكاء الكثير ... اراك قد رفعت نورا
ما مثله فيك نور ... ولا في السماء ... ولا عرش كبير ... فلا مسكت بغير
لها اتاك بشير ... وفوق جبريل راح ... وجبريل السفير ... طابت به الارض فيها
كذاك سرور كبير ... فقرت بذا العين منها ... ودام فيها السرور ... وبشرى لنا قد حللنا
حيث البشير النذير ... من شاء منا انبساطا ... والفخر ... وذا فخره مثل شمس
ابداه رب غفور ... من ثم جبر فيه ... فذاك منه فخور ... عليه ازكى صلاة
ما دام في الخلد حور ... مصونة بسلام ... حباه رب شكور ... بارض تبتغي دلالا
فلا يكون منك غرور ... وبالسما زيد فخرا ... لا يعتريك فتور

ثم ولما اصبح حدث الناس شكرا اذ اتتهم من وقته النعماء

اي ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء والمعراج والى مكة قبل الصبح واصبح
حدث الناس بما راه من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
فقوله شكرا اما تمييز او مفعول لاجله او حال اي شاكرا اليه واذ تعليلية او ظرفية
والنعماء بفتح النون جمع نعمة بفتحها ايضا قالت عائشة رضي الله عنها لما اسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن
كانوا آمنوا وصدقوه وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم
انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد
صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح فقال اني لاصدقه فيما
هو ابعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق قال ابن اسحاق
ثم اقبل حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت هؤلاء انك
جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم فقال يا نبي الله صفه لي فاني قد جئته ليقع الرد
على من شك في ذلك قال فرفع له حتى نظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر
فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت المقدس

او كشف الحجاب بيني وبينه وعن مقاتل فسالوه عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا
شديدا لم اكرب مثله قط فجر فعه الله لي انظر اليه ما سالوه عن شيء الا انباتهم
به فيحتمل ان يكون حمل الى ان وضع بين يديه بحيث يراه ثم اعيد ففي حديث ابن
عباس عند احمد والبزار فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل
فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد احضر
عرش بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث ام هانئ عند ابن سعد فجلي
لي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت ذلك احتمل ان يكون المراد مثل قريبا
منه كما قيل في حديث اريت الجنة والنار وبأول قوله جيء بالمسجد جيء بمثاله
وفي حديث ام هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم اكن اعددها
قال فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا وعند ابي يعلى ان الذي سأله عن صفة بيت
المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الى ان الحكمة
في الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق المعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء
لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سالوه عن جزئيات من بيت
المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق
انه اسري به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا
لقوة ايمان المومنين وزيادة في شقاوة من عاند وجحد من الكافرين وروى ان من
اخبار النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت بابل
في مكان كذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها
واخبرهم بعدتها وعدة رعاتها وانها تجيء يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم
اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس كذا ذكره ابو بكر الشيباني عن
ابن الحصين ومقتضى حديث ام هانئ انها قدمت صباحا وهو الذي في اكتفاء الكلاعي
وعليه اقتصر المفسرون وقد يجمع بينهما بتعدد الابل فبعضها ما قدم اول النهار ومنها ما تاخر

ه وتحدى على ارتياب كل مريب ه او يبقى مع السيول الغثاء ه

التحدي هو ادعاء الرسالة والاستناد في ذلك الى القاطع النازل فانه اتى اعلى الناس
من فنون البلاغة واشرفهم تمكنا منها فما سلم يقتنع الا ان احتجوا فيها الى تكلم
بكلام واضح الدلالة يبين المعنى على طريقة كلامهم ونهج خطابهم وطلب منهم ان يعارضوا

شيئا

شيئا منه فلم يستطيعوا فقالوا من ثم كلما عجزهم عن ذلك اوقع في الاية وقد وقع واقطع
في الدلالة من احياء الموتى الذي كان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون به وذلك واما قريش
فكانوا اعلى ارايهم ومنتهى مطمع التقعر في فنون الفصاحة والتنزه في رياض البلا
غة فعجزهم عنه على انه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة
ومحجة ساطعة قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع
القول بان ما اوتي به من عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على
بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل يناديهم عليهم بالعجز عن معارضته
والتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم شيئا من ذلك وما اغمس
ما قيل لو وجد محمدا بعلاقه لقضوا العقول السليمة بانه من عند الله وقد
جاء على يد اصدق الخلق الخ ومعنى كلام الناظم طلب صلى الله عليه وسلم من كبار قريش مكة
ان يعارضوه بالاتيان بمثل ما اوتي به من الاية الدالة على صدق نبوته مما وقع له في ليلة
الاسراء وغيره فشك وخرج وانقطع كل مريب عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم ثم
منهم من سلم واسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
ويلزم من انقطاعهم عن معارضته ايضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم
قال منكرا على من يبقى عنده في ذلك شك ايتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا
بل اتضح وما بقي معه شك وكيف يبقى مع السيول الغثاء بضم الغين المعجمة والمثلثة
ما يحمله السيل مما يجيء من النبات ونحوه فكما ان الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب
به ويجعله في الفرع وغيره فكذلك ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الايات البينات والبر
اهين الواضحات لا يبقى معه لو لا الخذلان شك ولا ريب فاستعار السيول لما اتى به
النبي صلى الله عليه وسلم لان بها الحيوة المحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي كما ان ما
جاء به الحيوة المعنوية واستعار الغثاء لما يتخيلونه لانه امر حقير لا يبالى به كما ان الغثاء
كذلك وبين ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفي التمثيل التشبيه وللبحاثة في نظير قوله
او يبقى الخ كلام انظره في المغني وغيره

ه ثم دعوا الى الاله وان شق ه عليهم كفرهم واذ داء ه

اي جاءه وهو يدعو احالا من فاعل تحدى اي تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعاء الى العلم بوجوده
عز وجل وانطاعه بصفة الكمال وضميره للاله او النبي فالاذراء الاحتقار والانتقاص بمعنى
انه صلى الله عليه وسلم قد ثبت في دعائهم الى الله متحملا لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم

لما جاء به وذلك انه صلى الله عليه وسلم بقي بعد النبوءة ثلاث سنين مختفيا حتى نزل اول
صدع بما تومر اي اجهر بالحجة وفرق بين الحق والباطل فقد كره الهتهم وعابها سنة اربع
فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصمه الله بالاسلام فقوي اهل التكبير انه صلى الله عليه
وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيئا وابو لهب وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم
ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وغيره بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من تحث التراب
على راسه وجعل الرحم على بابه ووضع عقبة ابن ابي معيط لعنه الله على قفاه الشريف
وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرز ان فجاء ابو بكر ودفعه عنه وخنقوه خنقا
شديدا وجبذوا راسه ولحيته حتى سقط شعره فقام ابو بكر دونه فقال اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وروي احصوه منه او من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما النبي صلى الله
عليه وسلم فمنعه الله تعالى من القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه
واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وبطوهم في الشمس وان بلالا هانت
عليه نفسه في الله تعالى وهان على قومه فاخذوه واعطوه للولدان فجعلوا يطوفون به
في شعاب مكة وهو يقول احد احد ليمتزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين
ابو جهل بسمية ام عمار ربيا بالبطحاء وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وا
خرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة
منهم زنيرة فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها

«وتدل الورى على الله بالتوحيد وهو المحجة البيضاء»

الورى الخلق انسهم وملائكتهم وجنهم بل والجماد لانه يدل الخلق على العلم بالله بالتو
حيد منهم بان يقول بفرد انيته تعالى واحدية ذاته وصفاته وافعاله والعلم بالتوحيد هو
المحجة اي الطريقة البيضاء الواضحة النيرة التي لا يضل سالكها ولا يغلط فيها اخذه وهذا
مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك

«فجما رحمة من الله لانت صخرة من اباهم الصماء»

اي فبسبب عن صبره على اذاهم في دعائهم الى الله وفقدهم رحمته للاسلام فجاء بالزجر والتهديد
والتعقيب والانعام وهذا مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية لان صبر النبي
صلى الله عليه وسلم ولينه لهم هو السبب في غناهم والصخرة هي الحجر العظيم ومن مياذته والاباء

الامتناع

الامتناع والصماء الصلبة التي لا تؤثر فيها المعاول وهي كناية عن شدة جفائهم وقسوة
قلوبهم اي زال امتناعهم عن طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه واتبعوه قال ابن حجر فعلم انه
استعار الصخرة التي في غاية الصلابة للاباية منه اولا اذ كانوا على غاية التنفير منه والبغض
والايذاء له وليونتها وزوال صلابتها للانتباه منهم له وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه اخرا
وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا
بقوته انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والحاصل انه صلى الله عليه وسلم
ما زال يدعوهم ويتلطف بهم ويتحمل جفاهم ويصبر على اذاهم حتى انقادوا اليه واجتمعوا عليه
وقاتلوا دونه اهاليهم واباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم وهجروا في رضاه اوطانهم و
احباءهم وسئل مولانا علي كرم الله وجهه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما ولما
اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه وكان قد اسر في سرية الرجيع
قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا عندنا الان مكانك نضرب عنقه
وانت في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس
في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وسمع ابو بكر
الصديق رضي الله عنه اباه ابا قحافة قبل اسلامه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط
منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او فعلت يا ابا بكر قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان
السيف قريبا مني لقتلته وقتل ابو عبيدة بن الجراح اباه يوم احد وقتل مصعب بن عمير اخاه
عبيدا يوم احد وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام يوم بدر الى غير ذلك و
لذا قال صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس
اجمعين وقالوا يتفاوت الناس في الايمان على قدر تفاوتهم في محبته الا لا ايمان لمن لا محبة له
فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم نال من نال ما نال وسعد من سعد حتى وصل درجة الكمال
ومن لازم المحبة الطاعة والخدمة ان المحب لمن يحب مطيع وراجع ما تقدم في الله النو
فيوا

«واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء»

اي وبعد ان لانوا له ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له اي اجابت دعوته
وامتثلت اشارته مع النصر والفتح او بسببهما بكثرة الاتباع والقاء الرعب في القلوب والفتح
لبلادهم بعد ذلك الضعف الذي كانوا فيه الخضراء اي السماء سميت بذلك لانها
ترى كذلك لانها موج مكفوف اخضرت من خضرة خضراء تحت الارض كما ورد انظر الغبراء والغبراء

فعل السماء
موج مكفوف وما خضر

الارض نعتيه بذلك لان جميع طبقاتها من كبير والمراد اهلها ويحتمل ان يكون استعار السماء للرفيع من
الناس والارض للوضيع منهم ولم يبق الا منتقم او متعلم وتقبيرا اجابة اهل السماء بقوله بعد ان قاتلا
هؤلاء الملائكة لم تنزل لنصرته الا ببدر وما بعدها وقد حصلت القوة والرعب في القلوب لاذن الجهاد

وأطاعته لأمره العرب العرباء والجاهلية الجهلاء

اي ومن جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه اطاعته لامره وهو القول الدال على الطلب (اي)
ونهيه والعرب بفتحتين ويقال بضم فسكون وهم اولاد اسماعيل والعرباء ويقال العاربة وهم
الخلص وغيرهم مستعربة ومتعربة اي دخلاء وفي قوله الجاهلية الجهلاء شبه التاكيد اللفظي
وفيه مع ما قبله شبه تجنيس الاشتقاق وعطف الجاهلية على ما قبله من عطف العام على الخاص
وخص هاذين لان تصميمها على الكفر بلغ من الشدة والقوة ما لم يبلغه تصميم غيرهما

وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
وإذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

اي وتتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم الآية الكبرى اي العلامة الدالة على نبوته والمدحة
لما تقولوا وافتروه عليه في القرآن واشتغال الغمر فللمصطفى متعلق بالاية التي هو جد
علي بالوجوه معنى الجمع ويدل عليه لعل توالت لان التوالي يقتضي متعددا ويستفاد منه
ان الاية هي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو اولى معنى من تعلقه بتوالت وان كان ا
ظهر صناعة لصرفه بذاته من تغرمه وتوالت له عليهم ايضا الغارة اسم مصدر لاغار على بلادهم
واموالهم وانفسهم ودارسهم والشعواء العاشية المتفرقة المتحيلة بهم بسائر الجوانب التي
لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا اهلكته ثم بعد ان استجابت له اهل السماء واهل الارض ودخل الناس
في دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا اذا تلى اي قرا في اثناء كتاب انزل عليه من الله وهو القرآن
تبعته لاجل القراءة معه او استماع قراءته كتيبة اي جماعة كالجيش خضراء اي يعلوها سواد الحديد
السلاح فشرى من بعدهم خضراء او من شانها ذلك وهي بلده وان لم تتلبس به وكثيرا ما
توصف الجماعة الكثيرة بكونها خضراء ومنه قول القاضي عياض رحمه الله

انظر الى الزرع وخاماته تحكي وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

وكفاه المستهزئين وكم ساء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء

يقال كفيت فلانا المؤونة اذا توليتها له ولم تحوجه اليها والمستهزءون جماعة كانوا

يسخرون

٤٥

يسخرون ويغبطون وبيد ليغوا في الاذاية فيتولى الله اهلاكهم وفي قوله وكم ساء نبيا الخ تسلية
او اشارة الى قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية وقوله فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل واشار بقوله البيت الى قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وفي قوله التصر
يح بان الله تعالى جل وعلا هو الذي كفاه ذلك بنفسه ونحو ذلك في الحقيقة وان كان جبريل
مباشرا لذلك صورة وكسب الاخلاق واحوالنا اذ الله تعالى هو الفاعل حقيقة فان قيل
هذا عام في كل فعل فاين الخصوصية التي خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم اجيب بانها
هي نسبة ذلك اليه تعالى من غير وعدم التعرض لذكر السبب الصوري الظاهر وفي كثير من قضايا
الامم مع انبيائهم تعرض لذكر الاسباب كذكر صنع السفينة وفوران التنور في قضية قوم نوح وذكر
تقدم جبريل بفرسه في قضية اغراق فرعون وذكر بعث رسل الملائكة في قضية قوم لوط الى غير
ذلك واشار الى ان علة اهلاكهم استهزاؤهم به صلى الله عليه وسلم اذ تعليق الحكم
على الوصف المناسب يشعر بالعلية وانما لم يقل المستهزئين بك بل حذف المعمول ترفيعا لقدر
حبيبه صلى الله عليه وسلم بترك التصريح به وان كان المعنى هو لم يقل شيئا او اذاية او استهزاء
المستهزئين تنبيها على انه كفاه مع ذلك ان يسمع ذلك منهم واستاصلهم من الوجود لشدة
بغضه صلى الله عليه وسلم لهم ليعلمه انهم لا يفترون ولما كان صلى الله عليه وسلم في غاية الحاجة الاحتياج
الى تدميرا وابك الكعبة الشديدة لاجترائهم ومضادتهم لظهور دين الله اكد له الحكم بهلاكهم
بان وتكرير الاسناد وعبر بالماضي تنبيها على قرب الوقوع وتحققه وكان هلاكهم قد وقع
وصار من حيز ما تغير موقوعه ثم اخبر الناظم ان النبي صلى الله عليه وسلم رماهم اي اصا
بهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمي به فيهلكه
وتلك الدعوة كائنة من فناء البيت اي من حوالي الكعبة ومن صفتها انه لاجيبها فناء
اي استيصال للظالمين والاضطرار للتسجيل عليهم بالظلم الذي هو سبب هلاكهم والظلم وضع
الشيء في غير محله وبين فناء وفناء تجنيس محرف يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
وشكاهم الى جبريل فقال امرت ان اكفيكهم واشار الى كل بما اطاب فكان ذلك علامة سبب
لاشارة جبريل الى بعضهم بالهلاك تنبيه ينبغي ان تنتبه الى انه لا منافاة بين الوقوف مع
مراد الله والتسليم له في حكمه واستحضار حكمته في افعاله وبين طلب النصر من افواه الكفرة
وافعال الظلمة ومحبة هلاكهم والفرح بتدميرهم وذلك ان العبد العالم بقدرة سيده وكمال
حكمته وتدبيره وهو مع ذلك معمور القلب بمحبته لا يخلو حاله من احد امرين مقتضى
علمه بما ذكر ومقتضى محبته للسيد فمن حيث علمه بما ذكر يسلم ويدعو ولا ينازع ويعلم

انه لا غاية لمحو الصبر والاعتراف له اذ هو المدبر لذلك يحكم علمه وسيتجلى وتتضح
ويظهر انه هو الغالب والقاهر ومن حيث المحبة يضيق الصدر بالامور العوديه التي
يسمعها في جانب حبيبه ويراها وان كانت ضرورية وقتية ويحرج بظهور امر سيده و
قيام خدمته وعموم العلم بقولهم وسكوته وانجلاء عزائه للضعفاء والشاكين والمنكرين
ولا سبيل لخلو المومن من احد الامرين فلا يعزب عنك العلم ولا يشتبه عليك الحال فقوله و
لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الآية فانه غير مناف لكمال المعرفة بل هو مقتضاها
ما فيهم وهذه المعرفة الحكمة والله اعلم عبر بالمضارع في جانب الضيق والقوامع ان كلا
منهما فوقع تنبيها على ان الضيق من لازم المومن وانه لا يذهب عنه وان مضى سببه
وانه يتجدد بتجدد اسبابه والمعنى انك يضيق صدرك عند استحضار اقوالهم وان مضت
فيكون استحضارها كاصل حصولها لفظا عنها وكذا يضيق عند وقوع ما هو من جنسها
من اشباههم ان ذلك حالك ومقتضى محبتك فهو من شواهدها واذلتها وانما
عبر بالمضارع في جانب العلم تنبيها على حضوره وان كان العلم بحضوره وعدم انقطا
عه حاطا لا لكن استحضاره الحضور محصل ومعين ومعون العقم الصحب انه على
بال من حبيبه قالمعنى ولقد نعلم الآن وان كان العلم قديما دايما وبعده وان كانت هي
حالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم التنزه عن الغفلة لكن في ذلك اعلام بالاعتناء
به وتنبيه الغير على الاقتداء به اقتضى على هذا الامر واتى بقد التي للتحقيق والتحقيق
مقتضى المحبة وشاهدها اتى بان المفتوحة ولكمال التحصلية اتى بقوله الذين يجعلون
مع الله الها اخر اي انهم تجرءوا على حضرة الوحدانية وادعوا الاشراك فليسهل
عليك ما تلقى منهم واحصر من هذا انه تمهيد لقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك اي
ان سببه ضيقه ووقوعه في جانب الاعلى لا محبة زعمك والشفقة عليها وقوعهم له ساحر
ومجنون وغيرهما من هذا القبيل لا انهم يقدحون في رسول الله ثم ذكر نعمته باستحضار
الفرق بينه وبينهم بالمعرفة التي حصلوها والقرب الذي حصل لهم فكانه يقول لهم اوح
بذلك واشكر الله عليه واعمل بمقتضاه وبالله التوفيق خمسة كلمة الحيف بدا بي

وَالرَّدَى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ ... بجمع في قوله خمسة اوجه الاعراب
الثلاثة فالنصب بابداله من المستعيذين والجر بابداله من الظالمين والرفع بتقدير
المبتدا والردى اي الهلاك مبتدا اول والادواء جمع داء مبتدا ثان ومن جنوده خبر عن
الثاني والجملة خبر عن الاول اي والهلاك من جملة جنوده والاسباب المعينة عليه الامراض

وهذا

وهذا اسافه مضاف التعليل لما قبله اي انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل
اسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يحيدوا عنها لحظة فانظر عنهم وما اصابهم فقال

فَدَعَا الْأَسْوَدُ بْنُ مُطَّلِبٍ أَيَّ عَمًى مَيِّتٍ بِهِ الْأَحْيَاءُ

دعى من الداهية وهي الامر العظيم المهلك والاسود بن مطلب بن اسد بن عبد العزى
القرشي الاسدي كنيته ابو زمعة يابنه زمعة ماتا معا كافرين وكان هو واصحابه
يتغامزون بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وبالصحابة ويقولون قد جاءكم ملك الارض و
من يغلب على ملك كسرى وقيصر واي هي ما عل دعي اي عمى عظيم يبصر والبصيرة
وعمى البصيرة به يصير الحي في حكم الميت ولذا اعقبه بقوله ميت به الاحياء وميت مبتدا
والاحياء فاعل اغنى عن الخبر وجرى فيه الناظم على مذهب الاخفش والكوفيين وانهم
لا يشترطون تقدم نفي ولا استفهام قال في التسهيل ولا يجري ذلك المجرى باستحسان الا بعد
نفي واستفهام خلافا للاخفش والكوفيين قال الدماميني اي في تجويزهم ذلك من غير
تقدم نفي ولا استفهام واشار المصنف بقوله باستحسان الى ان الوصف قد يجري ذلك
المجرى وان لم يعتمد لكن لا باستحسان ثم قال وتلخص من هذا ان فيه سيبويه والا
خفش متفقان على جواز قائم الزيدان والخلاف بينهما انما هو في الاستحسان فسيبويه
يقول القبح بحسن والاخفش يقول حسن وكذا الكوفيون اه والمشهور عن سيبويه اشتراط
في الالفية بقوله وقد يجوز نحو فائز اولو الرشد ولم يشر به الى مذهب الاخفش والكوفيين
خلافا لبعض الشراح لما علمت مما تقدم وبه تعلم رد ما في ابن حجر هنا ثم ان من جوز الابتداء
بالوصف من غير تقدم نفي ولا استفهام لا يشكل عليه كونه نكرة بلا مسوغ وقول المغني
المسوغ العامل المرفوع نظر فيه الدماميني بان اشتراط المسوغ انما هو في احد قسمي
المبتدا وهو المحكوم عليه لان هذا القسم هو الذي تعريفه مناسب واما القسم الاخر من قسمي
المبتدا وهو المحكوم به كالوصف المذكور فيشترط ان يكون نكرة ولا يجوز تعريفه كما نصوا عليه
فلا حاجة في وقوعه مبتدا مع تنكيره الى ان يقال تخصص بالعمل وقرا في الشمني ما للدماميني
وهو حقيق بذلك وكلام المغني والازهري ما تقدم في رده صريح واللبيب يستغني بالتلويح
عن التصريح ثم ان ما اشار اليه الناظم هو ان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى
على الاسود لعنه الله ان يعمي الله بصره وبثكله ولده فخرج يستقبل ولده زمعة وقد قدم
من الشام فقعد بظل شجرة فجعل جبريل يضرب عينيه بورقة من ورقها خضراء وبشو
كة منها واستغاث بغلامه فقال الاحد يمنع بك شيئا غير نفسك واما ابنه زمعة فقتل يوم ... يذر

وذو الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كأس الردى استسقاء

الاسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري بن خال النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول له اما كلمت
اليوم من السماء يا محمد وشبه الردى بالمشروب واثبت له ما هو من لوازم المشبه به
من الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية وبين سقى واستقى
ستسقى جناس الاشتقاق واشار الى ما روى ان جبريل اومأ الى بطنه فاصابه الاستسقاء
استسقاء الزقي وهو امتلاء الامعاء من الماء الفاسد فمات منه وقيل انه خرج من عند
اهله فاصابته السموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا
دونه الباب فرجع وهام حتى مات عطشا وهو يقول قتلني رب محمد وروى الطبراني و
البيهقي ان جبريل اومأ الى راسه فاصابته الاكلة فتمخض راسه قيحا فمات ويقال
عطش فشرب الماء فلم يرو حتى انشق بطنه ويحتمل ان الكل حصل له عوذنا بالله

واصاب الوليد خدشة سهم فقصرت عنها الحية الرقطاء

هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو عم ابي جهل لعنهما الله ووالد سيدنا
خالد رضي الله عنه اصابته خدشة سهم اي اثر جرحة فقصرت عن تلك الخدشة الحية الرقطاء
اي التي يخالط سوادها نقط بيض ووجه القصور ان لسعة الحية قد تبرا يروى انه مر على
جبريل يجر ازاره فوطئ على سهم منها فخدشه خدشا يسيرا فاومأ اليه جبريل
فاصابته منه الاكلة فمات وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر ان ينحني فيزيلها
جلدها فضربها بالشوكة فاصابت رجله فتداعت ومات بعد قبل وقعة بدر

وقضت شوكة على مهجة العاص فلله النقعة الشوكاء

وقضت اي اهلكت شوكة دخلت في اخمص رجله فاستولت على مهجة العاص اسما وفعلا
ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم وهو والد سيدنا عمرو وفيه تلميح الى قوله تعالى وضرب
لنا مثلا الاية فقتلته تلك الشوكة قتلا عجيبا فلذا عقبه بما يفيد التعجب وهو
قوله فلله هذه النقعة اي الموت من قول الناس نقاع الموت اي يجوز فيه كما يجوز
الجزار النقيعة والشوكاء من قولهم بردة شوكاء اي خشنة الملمس اي ما اعجب هذه
القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله
درها من شوكة نخرته في اسرع وقت فيروى انه خرج في يوم مطير على راحلته يتنزه وهو
يوم مجيء ... جبريل ... فنزل شعبا يتنزه فيتغوط فلما وضع قدمه على
الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت كعنق البعير فمات مكانه

وعلى

وعلى الحارث القيوح وقد سال بها راسه وساء الوعاء

اي وقضت على الحارث بن قيس السهمي كان يأخذ حجرا يعبده فاذا راى احسن منه طرحه
واخذ الاحسن وفيه نزل افرايت من اتخذ الهه هواه اي معبوده وكان يقول قد غر محمد
نفسه واصحابه اذ وعد اصحابه ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام
والحوادث والقيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التي لا يخالطها دم والحال انه قد سال
بها راسه وساء اي قبح ذلك الراس الذي هو الوعاء لتلك القيوح وبين سال وساء الجناس
الناقص وفي الختم التذييل يروى انه اصابته حاجة فجعل يتلو بحكمته القيح من انفه
حتى مات وقيل اكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب عليه حتى انقد بطنه رواه عبد
الرزاق وابن جرير عن قتادة وقيل اصابته الذبحة وجمع في العلوى وبالله التوفيق

خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء

كف الاذى الذي كان يصل الناس لانبياء نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بجمع اي بجميعهم فقد
... ويقرع شلاء اي عادم الحركة فشبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول
بالمحسوس لا بجامع ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يؤذيه باي وجه كان
ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف الذي ينشل ...
... ووصفها بالشلل البيان ان الاذى لما فرغ صار معطلا لا حركة له ولا تاثير ففيه استعارة
مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح تكميل اقتصر
الناظم رحمه الله على الخمسة المذكورين لشهرتهم بالاذاية وقد تكلم فيهما وقد ذكروا
منهم عقبة بن ابي معيط وابا لهب ومالك بن الطلاطلة ... الاول منهما مخزومي
والحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس واما عقبة بن ابي معيط لعنه الله فقد تقدمت اذايته
وكان في مبدأ امره يجلس مع المصطفى ولا يؤذيه وكان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعى
اليه جيرته فقدم وصنعه ودعى المصطفى فقال ما انا بالذي اكل من طعامك حتى تتشهد
فتشهد وكان له خليل غائب بالشام فقدم ليلا فقال لامراته ما فعل محمد فقالت اشد ما كان
قال ما فعل خليلي فقالت صبا فلما اصبح اتاه ابن ابي معيط فحياه فلم يرد عليه فقال ما لك قال
صبوت فقال وقد فعلتها قريش قال لا والله ولكن رجل دخل علي فابى ان ياكل من طعامي
الا ان يتشهد له فاستحييت فتشهدت فقال ما انا بالذي ارضى عنك حتى تاتيه فتبزق في وجهه
وتشتمه ففعل فقال المصطفى لئن وجدتك خارج جبال مكة ضربت عنقك صبرا
فلما كان يوم بدر وابى ان يخرج فقال اصحابه اخرج معنا فقال قد وعدني هذا الرجل ان

ان وجد خارجا من جبال مكة ان يضرب عنقه صبرا فقال والله جمل احمر لا يدرك فان كانت
العزيمة صرفت عليه فلما هزم الله المشركين دخل به جمله في خمر من الارض فاخذه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سبعين منهم فقال بم يزفت في وجهي فانزل الله عز وجل ويوم
يعض الظالم على يديه الآية فضربت عنقه لعنه الله ولا رحمه واما ابو لهب فرماه
الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال والعدسة وهي بثرة تصيب الجسد تقتل وكانت العرب
يروه انها تعدي فتعبر القوم منه فتركه اهله حتى مات وترك ثلاثة ايام لم
يدفن حتى نتن فجا ابناه الفار فحفروا حفرة فدفعوه فيها بالحجارة واما الحكم فعده
منهم العراقي في الفية بانه كان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويسمعه
ما يكره قال السخاوي لاكنه اسلم ابه الفتح الاسلام وكان بعدما اظهر الاسلام مغموصا في
مطعونا في دينه وكان يمشي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكيه في مشيه فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فراه يفعل ذلك فقال كذلك فلتكن فكان الحكم
يرتعش يحتمل ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة فنزل الطايف واخرج الطبراني
وابو نعيم فيما حدث به الحكم قال رايت بعيني هاتين حين تواعدنا يوما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان نأخذه فجئنا اليه فسمعنا صوتا ما ظننا انه بقي جبل الا بتهامة
الا تفتت فغشي علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا اليه ليلة
اخرى فلما جاء نهضنا اليه فجاءت الصفا والمروة حتى التقت احدهما بالاخرى فحالت
بيننا وبينه فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزق الله الاسلام واذن لنا فيه ه ووجه الالعيبة
ما منهم اسلم وهو الحكم فقد كمل العشرة اذ بمسلم ه تنبيه ذكر
العلامة السيوطي في تعبيره من جملة المستهزئين عدي بن قيس ولم ار من ذكره من اهل
السير ولعله الحارث بن قيس كما تقدم والله اعلم ه فرقت صحيفة الظلم بالخمسة
ابن عدي للكرام فراة قريبا بالثناء للمعفو دعاء اللام اه
اجعلهم فداء الخمسة الصحيفة يلقون الاذى دونهم بان يجعل كل من الخمسة فداء الكل واحد
من الخمسة اهل الصحيفة ولاكن لا فداء للكرام واولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة
من جملة الكرام الذين يتعيرون او يعفون الحاجة والشدائد لانهم يبذلوا انفسهم في امر
عظيم كما يعلم من ذكر القصة وذلك ان قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم
حيث امره سنة خمس من النبوة بضعة عشر من الصحابة منهم عثمان وزوجه السيدة
رقية بالهجرة الى الحبشة واسلم حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وفشا الاسلام في القبائل

اجمعوا

اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة
ابن الوليد وقالوا هذا اعز فتى في قريش فخذه بدل ابن اخيك وادفعه الينا فقال لهم
حتى اذا راحت الابل بالعشي فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وجمع بني
هاشم ما عدا ابا لهب وبني المطلب وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم
ومنعوه ممن اراد قتله فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا
يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا
منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك
في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تاكيدا في حفظها وذلك في هلال المحرم سنة سبع
من النبوة واقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وقطعوا عنهم الاسواق
فلا يتركوا طعاما يقدم مكة الا بادروا اليه حتى ان ابا جهل لعنه الله لقي حكيم بن
حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة فتعلق به وقال اتذهب بالطعام الى
بني هاشم واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام وقال طعام كان لعمته عنده
بعثت اليه افتمنعه ان ياتيها به خل سبيله فابى فضربه بلحي جمل فشجه ووطئه وطئا
شديدا فلما مضت تلك المدة قام الخمسة الآتي ذكرهم في نقض تلك الصحيفة وكان اولهم
هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب العامري من بني عامر بن لؤي لعزته بهم لامه
وهو نضلة بن هشام وكان واصلا لهم ذا شرف في قومه فكان ياتي بالبعير ليلا قد اوقره
طعاما حتى اذا اقبل على فم الشعب خلع خطامه من راسه ثم ضربه على جنبه فيدخل
الشعب ولعزته بهم المذكورة مشى الى زهير بن ابي امية بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم المخزومي اخو ام سلمة ام المومنين وهو ابن عاتكة بنت عبد
المطلب فقال يا زهير ارضيت ان ناكل الطعام ونلبس الثياب وننكح النساء واخوالك
حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال
ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي واستخبره ايضا حتى قال لو وجدت رجلا
معي فاخبره بما تقدم فقال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري بن هشام واستخبره
ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك فقال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود
واستخبره فقال وهل من احد على هذا الامر فذكر له القوم فاجتمعوا في الحجون واجمعوا
على نقضها فقال زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير
وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام و

وتلبس الثياب وتنوح فيها قرون والله لا افعل حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له ابو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حيث كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل وتشوور فيه في غير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم وهذا الابيات فيها تسلية ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عمه باكل الارضة لما عدا اسم الجلالة لاحتمال ان ابا طالب لما اخبرهم بذلك وازداد كفرا انتصر او يكن الخمسة في قطيعاء فتية تنشوا على فعل حبره

وجد الطعم امره والمسلاة اي بعض فتية جمع فتى ويطلق على الفتى الكريم يستوا اي جدبروا او اشتوروا بالحجون ليلا وفعل الخير هو نقضها والمغالطة جو نه بالنعوس لشدة فرحه في ارضاء يعادهم كثرتهم وعتوهم واسناد الجد الى الزمان مجاز دال على شدة المبالغة في وقوع الجمرة لطلبه على فعل ذلك الخير لانه اذا جد الزمان على ذلك فالعقلاء اولى واحق ولا يخفى ما في كلامه من الطباق

الامر اذا بعد هشام وزمعة انه الفتى الاباه

الامر هو بفتح اللام والامر هو نقضها وبداؤه على طريق الاستعارة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة في تعظيمه وترا اي قصد التعيا من وقوعه وهشام هو اول من سعى في ذلك كما مر والهمزة من انه مكسورة للاستئناف والاباء صفة مبالغة من ابى كثير الاباء لما استنكره واستقصره وتقدم ان زمعة هو اول من كذب ابا جهل ورد عليه هشام وايده

وزهير والمطعم بن عدي وابو البختري من حيث شاء

اي اتى هؤلاء الخمسة نقض الصحيفة اتيانا كاتيانهم الى الصلاة واتياهم من حيث شاؤوا ثم المكان الذي ارادوه وقصدوه لتدبير امرهم وتشاورهم فيه وهو الموضع الذي قصدوه وانتج الانتاج الذي دبروه

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدا الانداء

نقضوا ابدا من فعل خير مبطلا النقض العهد اي ابطله ومبرم بفتح الراء اي محكم واذ بمعنى وقت وشدت اي صممت على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها الا ان بسطل البيع والانداء اي على شدة جمع ناد وهو العشيرة والاصحاب ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث سمي

من فيه باسمه ومن العدا بيان للانداء اي نقضوا هذا الامر المبرم والتي قوامه عشائرهم وعموا عليه تنبيه هؤلاء الخمسة كلهم كانوا كفارا حين نقضوا النقض الصحيفة قال ابن اسحاق ولم يعلم منهم غير زهير وهشام اما هشام فاسلم عام الفتح وشهد حنينا واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها خمسين بعيرا واما زهير فبذكره المؤلفة قلوبهم وهذا من عظام عناية الله تعالى بحبيبه صلى الله عليه وسلم فسخر عدوه في نصرته واستعمل بعضهم في خدمته قال الشيخ ابو الحسن القشيري رضي الله عنه كنت في بعض سياحتي وقد ادنيت الى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت ثلاثة ايام لم اذق طعاما ثم اطل على ثلاثة من الروم وكانت فوارسهم سعيبتهم هنالك فلما راوني قالوا فصبر من المسلمين ووضعوا عندي طعاما واداما كثيرا فتعجبت كيف رزقت على ايدي الكفار ومنعت ذلك من المسلمين فاذا النداء على بقول لي ليس الرجل من ينصر باحبابه انما الرجل من ينصر باعدائه

اذ كفتنا بكل ارضة اكل ما تغالت سلطان الارضة الخرساء

هذه جملة استئنافية لبيان ان اكل الارضة للصحيفة له نظير وضمير اكلها يعود على الارضة وهي فاعل اذ كفتنا في ترتيبها التقديم واكل مفعول ثان اذ كفتنا والمنساة العصا لانه ينسا بها اي يطرد ويوخر والارضة بفتح الراء وسكونها ضرورة وهي دويبة تاكل حتى الخشب اكلا سريعا والخرساء صفتها اي التي لا تنطق وفيه تعالج التعجب من شانها اذ ليس من شان الاخرس التدكير ووصفها بالخرساء مجاز اذ هو وصف نفي النطق عمن شانه ذلك يروى ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فجاء فيزان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمله سنة سال الله ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب كما اخبر بذلك مولانا جل وعلا في كتابه فمكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته وعلى كونه حولا بحساب ما اكلته الارضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا فالميم الهيولي

وبها اخبر النبي وكم اخرج خبا له الغيوب خبا

هذا اي وباكل الارضة للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو اخبر قريشا وكم من مرة كثيرة اخرج النبي صلى الله عليه وسلم والكثير خبا اي شيئا مخبئا مستورا من تعلمه وصفه الغيوب له خبا اي ساترة فكان سبحانه وتعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على المغيبات وكفى بالقران شاهدا على ذلك وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى

والرماة هو كانهم الى يوم القيامة كانما انظر الى كعب بغزة هدوى ابوه اوود قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا حدثنا به وهذا الباب
واسع جدا وقد الف القاضي عياض في الشفاء فيه ما نظرها في المواهب وانظر
الناظم الى ما ذكره ابن سيد الناس في خبر الصحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمه
ابي طالب ان ربي سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما لله الا اثبتته فيها
ونفت القطيعة والبهتان والظلم قال او ربك اخبرك بهذا قال نعم فانطلق ابو طالب في
عصابة من بني عبد المطلب حتى اتوا المسجد فظنت قريش انهم خرجوا من شدة البلاء
ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل فقال ابو طالب يا معشر قريش قد جرت امور بيننا
وبينكم فاتوا بالصحيفة التي فيها مواثقكم فلعل ان يكون بيننا وبينكم صلح فاتوا
بها معجبين لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم فوضعوها
بينهم وقالوا لابي طالب قد آن لكم ان ترجعوا فقال انما اتيتكم في امر هو نصف بيننا و
بينكم اخبرني ابن اخي ان هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها الا اسم
الله فان كان كما قال فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا
دفعناه اليكم فقتلتم او استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوا الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم اخبر بخبرها قبل فتحها فقالوا هذا سحر ابن اخيك فقال الذي اجتمع
عليه من قطيعتنا اقرب الى الخبث والسحر من امرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم
تفسد صحيفتكم وهي بايديكم فمحي اسم من هو انتم به وهذا لا يعارض ما تقدم من ان
الخمسة سعوا في نقضها لاحتمال ان يكون اتفق اتفاقهم على نقضها مع اخبار النبي صلى
الله عليه وسلم لعمه ابي طالب واتيانه لاخبارهم بذلك ولما عاين الخمسة الخبر موافقا للخبر
جدوا في النقض والابطال تنبيه كاتب الصحيفة هو هشام بن عمرو وقيل منصور بن
عكرمة ويلقب بالمغيض قال في الخصائص الكبرى اخرج ابو نعيم عن عثمان بن سليمان
قال كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدري فشلت يده حتى يبست فما كان
ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها ان الذي صنعنا الى بني هاشم لظلم انظروا ما اصاب منصور
ابن عكرمة

لا تخل جانب النبي مضاما ... حين مسته منهم الاسواء
كل امر ناب النبيين فالشدة ... فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النار ... لما اختير للنضار الصلاء

لا تخل بفتح التاء الفوقية والمعجمة فعل مضارع من خال اي ظن والجانب في الاصل شق
الانسان واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل واضافته الى النبي بيانية والمضام المضيم
والاسواء الاذايات الكثيرة ومنهم في موضع نصب على الحال وانظر ما رموا به منهم له صلى
الله عليه وسلم من ضربه وخنقه واغراء سفهائهم به وشج وجهه وكسر رباعيته وغير
ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه لم يزل يرتقي مع ذلك
في مراتب النصرة والفتح الى ان بلغ غاية العزة والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر و
يضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان على ان ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذايتهم
له فيه اسوة بالانبياء قبله وكل امر من الامور العظيمة اصاب النبيين فالشدة فيه التي
تحصل للنبي منه محمودة لانها ترفع درجاتهم العلية والرخاء اي السعة فيه محمودة ايضا
لانه يكثر اتباعهم ويخيف اعداءهم ومما يوضح ذلك ان المعروف انه لو يمس هوان
النضار اي الذهب من احراق النار لاختباره من الغش لما اختير للنضار الصلاء اي العرض على
النار لعزته على النفوس وشبه ما به من ادنى نقص بحبيبه في الانبياء عليهم الصلاة كالذهب
والشدائد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا كذلك
الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة ولا يخفى ما اشتمل عليه كلام الناظم من الكلام الجامع في
الطبع والحكم وهو ماخوذ من خبر ورد ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم
ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك تنبيهان الاول كل ما
اصاب النبي صلى الله عليه وسلم مما تقدم ذكر بعضه لم يبعده عن الدعاء الى الله تعالى ولم
يرده عن التعريف به والدلالة عليه فان الصادق في المحبة لا يرده عنها ما يلقيه من الابتلاء
في جانب المحبوب بل اذا امتحن فرضي محبوبه عنه اضمحل ذلك كله في نظره ولم يؤثر فيه
شيئا بل قد يستحليه ويتلذذ به من حيث انه مراد المحبوب وفعله به ولا غرض للمحب الا في
الوصلة من المحبوب وعند هذا تحصل البغية على مقتضى الطبع لتوجه وجهته الكلية
لمطلوبه واستغراقه في محبة محبوبه ولذا قال الجنيد سالت سريا السقطي
هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين
ضربة ويحكى انه لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت يده اليمنى اولا فضحك ثم قطعت
الاخرى فضحك ضحكا بليغا فخاف ان يصفر وجهه من خروج الدم فكب وجهه على الدم
السائل ولطخ وجهه بدمه وانشا يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت ... شوقا اليك ولكني امنيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا املي ... اشهى الي من الدنيا وما فيها
يا قوم اني غريب في دياركم ... سلمت روحي اليكم فاحكموا فيها
لم اسلم النفس للاسقام تتلفها

الا العلم بان السوط يحبسها . نعجز الحبيب على الالام صابرة

لعل مسقمها يوما يعودها . ثم رفع راسه الى السماء وقال يا مولاى
انا غريب في عبادك وذكرك اغرب مني والغريب يالف للغريب ودخل جماعة من الناس
على الشبلي في مارستان وقد حبس وجمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك
فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فيها
فاصبروا على بلائي الى غير ذلك من الحكايات المذكورة عند القوم وقد جلب من ذلك
الامام سيدي ابو عبد الله بن عباد في شرح الحكم جملة واعرة فانظره وقد روي ان اهل مصر
مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف على نبينا وعليه
افضل الصلاة والسلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فيشغلهم جماله عن الاحساس بالم
الجوع بل في القرآن العظيم الكريم فقطعن النسوة ايديهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن
بذلك ورحم الله القائل . سقمي في الحب عافيتي . ووجودي في الهوى عدمي . وعذاب ترتضونه
في فمي احلى من النعم . ما لضرب في محبتكم . عندنا والله من الم
انتهى هذه الاعتقادات التي تقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام اشتملت على حكم
وفوائد منها على كثير من الاحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند
الخوف من العدو وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حراس يحرسونه حتى نزل والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال يا ايها
الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل وكالتداوي عند المرض وان كان ذلك لا ينافي
التوكل فقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم ويشرب الدواء وكاستعمال الصبر والرضى
والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء على المتمرد كما تقدم في دعائه
صلى الله عليه وسلم على ابي جهل واصحابه لانه يحب الله لا لحظ نفسه ومنها تكثير
الاجر واعظام الثواب ومضاعفة العطا وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب
منه وقال قال الله سبحانه اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده
ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له
ديوانا وسأل صلى الله عليه وسلم طائفة من الصحابة فقال ما انتم قالوا مومنون فقال ما
علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال
مومنون ورب الكعبة وظهور اثر الرضى فيما يناله بعوى النفس ازيد واكثر ومن
هنا تظهر لك حكمة كون الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس بلاء ثم الاولياء

ثم

ثم الامثل فالامثل ومنها الاقتداء بهم عليهم الصلاة والسلام اي التخلق باخلاقهم
عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل ومن اخلاقهم عند تكذيب
الخلق لهم وتسلطهم عليهم الصبر الجميل والرحمة لهم والعفو عنهم ورؤية الفعل
من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وصلة الله عليهم اذاية
الخلق اولا ليعلموا بعد نصرهم انه من عند الله وان نصرهم ليس الا من الله وبالله لان الخلق
كانوا لهم اولا اعداء ثم انصرهم الله بهم ونصرهم عليهم ولذلك لم يكونوا من ابناء
الملوك والرؤساء وانظر قول هرقل هل كان من ابائه من ملك ثم قال وقد ذكرتم
ان لا فلو كان في ابائه ملك لقلت رجلا يطلب ملك ابائه

كم يد عن نفسه كفها الله وفي الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وامست منه في كل مقلة اقذاء

الكف المنع والخلق هم المخلوقون الذين هم اعداؤه والاجتراء الجرأة والشجاعة والاقدام
على فعل ما تضره النفس من غير نظر في عاقبته وامست صارت لكفه ابو وقت اي قد دعا اي طلب
حال كونه وحده اي منفردا والعباد جمع عبد اي دعا الى توحيد الله تعالى وعبادته وامست
اي صارت في المساء والمراد مجرد الحصول لا كل الازمنة منه صلى الله عليه وسلم في كل
مقلة منهم وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض اقذاء جمع قذى وهو ما يسقط
في العين فما يولمها ويكدرها حتى يصير صاحبها غير قادر على ان يرفع راسه والتعبير
لما اصابهم من الذل والهوان بسبب الكفر والطغيان يشير الى انه صلى الله عليه
وسلم في ابتداء امره مع وحدته وقلة عدده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده
وينادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب الهتهم ورميها بكل عيب ونسبة
عبادها الغوي حتى اقرب اقاربه كعمه ابي لهب في اذايته والتحريض عليه لكثرتهم ووحدته
وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ما
هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابر عليه الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا
واصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان مكنهم الله من نواصي
اعدائه فاذاق من بغى منهم على كفره الهوان واحل من خضع منهم لعزته دار البقاء
والامان وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء كثيرا ممن اراد اذاية النبي صلى الله عليه وسلم وحماه
الله تعالى منهم فانظره ومن جملة ذلك ما اشار اليه الناظم رحمه الله بقوله

هم قوم بقتله فابى السيف وفاء وفاءت الصفواء
وابو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

ابى القصيد اي امتنع من الوصول اليه لاجل الوفاء بما اخذ عليه كيفية المخلوق من الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير ما مرة
فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة تظله فبينما
هو تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه وقال من يمنعك مني قال الله عز وجل فارتعدت
يده وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه وفي غيره انه اخترط
سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ وهو في يده صلتا فقال من يمنعك
مني قال الله فسقط من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير
اخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى ان قريشا امر
بواد يوم احد بنحو سبعين ضربة بالسيف ولم تعمل فيه شيئا وقوله وجادت الصعواء
اي رجعت الحجارة على من اراد الرمي بها وهو ابو جهل وفي اي اعنى الفحل وقد
برز اليه كانه العنقاء اي الداهية العظيمة او الطائر العظيم وكان ابو جهل من اشد
الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو وقريش يوما فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه احلامهم وسب الهتهم فاظهروا له شدة الامتناع
والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد
ابى الا ما ترون واني اعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت
به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا و
الله لا نسلمك لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كما
دنه وقريش ينظرون احتمل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا
لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا مالك يا ابا
الحكم قال قمت اليه لافعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل لا
والله ما رايت مثل هامته ولا مثل صورته ولا انيابه لفحل قط فهم ان ياكلني وفي ذكر
انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل ولو دنا مني لاخذه وبالله التوفيق

واقتضاه النبي دين الاراشي … وقد ساء بيعه والشراء
ورءا المصطفى اتاه بما لم … ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رءاه من قبل لكن … ما على مثله يعد الخطاء

انظر بعرح الابيات الرما وقع لكلدة بن عاص بن كلدة بن اراش وذلك انه لما قدم مكة
بابل فبيعها فاشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فجعل يوقف الاراشي على نادي

من قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فقال يا معشر قريش من
رجل يخلصني من ابي الحكم بن هشام فاني غريب ابن السبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له
لا يخلصك الا ذلك الرجل يهزؤون به لما يعلمون بينه وبين ابي جهل من العداوة اذهب اليه
فهو يخلصك منه فاقبل الاراشي حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله ان ابا
الحكم قد غلبني على حقي وقد سالت القوم فاشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله قال
انطلق اليه وقام معه فلما راوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ماذا يصنع فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم بابه فضربه عليه وقال من هذا فقال محمد فاخرج اليه فخرج اليه وقد انتقع
لونه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا يبرح حتى ياخذه فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه فانصرف
فاقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله تعالى خيرا فقد والله اخذ لي حقي
وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رايت قال رايت عجبا من العجب والله ما هو
الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال اعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا يبرح حتى
اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه ثم لم يلبث ابو جهل ان جاء فقالوا له و
يلك مالك والله ما راينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت
صوته فمليت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسه لفحلا من الابل ما رايت مثل هامته ولا صورته
ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني اه قوله وقد ساء بيعه والشراء اي بيعه وفيه اي ما
اشتراه بيعه وشراؤه مع هذا الرجل وغيره قوله ورءا المصطفى اي ومما تم راى ابو جهل اللعين
المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بما اي بفحل من الابل اي بحالة في تلك الصورة
وينج بفتح ثم ضم او بضم ثم كسر من نجا ينجو او من انجى ينجي فعلى الاول يكون النجاء
على وزن سحاب مبالغة في الناجي اي ان المصطفى اتاه بما لم ينج منه دون الاداء كل ناجي
الناجي وعلى الثاني يكون الفعل بفتح النون وتخفيف الجيم اي النجاة اي الانجاء فاذا من
هروبه ونحوه دون وفاء الدين الذي عليه ثم اخبر الناظم ان هذا الفحل الذي راه في هذه
الواقعة هو الفحل الذي راه في الواقعة قبلها الا كان لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين
ما على مثله في العتو والشقوة لما ابى لادراكه والموجب لهلاكه وهو ابلغ من عليه
على عد مثله لا يغير الخطاء بالمد لغة في المقصور اي لا يغتفر به في حقه تكرار الافعال
المنكرة والامور المستفيضة لعتوه وسفاهته ووقاحته فطاله لا يبصر معايبه كلا ان لا تعد
لما طبع الله على قلبه من الكفر وسبق له في سابق الازل ما سبق من سوء الخاتمة والعياذ
بالله ولقد انتصر لادائه النبي صلى الله عليه وسلم وتمكن منه الظاهر في بعض الاحيان كغيره

من سبقت له الشقاوة فيكون ذلك سببا لا هلاكهم وظهور عزة النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته

انظر ابن حجر

واعدّت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من أحمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

أي هيأت حمالة الحطب وهي أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان زوجة أبي لهب لقبت بذلك لأنها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم و الفهر الحجر الذي يملأ الكف والحال أنها جاءت كأنها الورقاء أي الحمامة في شدة الإسراع وأعدت ذلك يوم جاءت في حال كونها غضبى من شدة ما سمعت قائلة أفي مثلي وأنا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجاء أي السب والذم حال كونه صادرا من أحمد وتولت أي رجعت والحال أنها ما رأت النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تراه وهو في الظهور للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس بل أظهر وهي أي تلك المرأة اللعينة في غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن أين ترى الشمس عين عمياء وذلك أنه لما نزل فيها وفي زوجها السورة تبت يدا أبي لهب إلخ وسمعت ما اشتملت عليه السورة من ذمها وذم زوجها اشتد غضبها فجملت حجرا في يدها وقصدت به النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع أبي بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله إنها امرأة بذيئة اللسان فلو قمت فقال إنها لن تراني فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك كيف يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر والله إني لشاعرة وأنشدت مذمما عصينا وأمره أبينا

وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان عليه الصلاة والسلام يقول ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد فقال لها أبو بكر لا والله هو لا يقول الشعر فقالت أنت عندي مصدق فانصرفت فقلت يا رسول الله كيف لم تَرَك قال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية قد أخذ الله ببصرها عني وفي تفسير النسفي وقد توصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيل من أحب شتم أم جميل

ثم سمّت له اليهودية الشاة وكم سام الشقوة الأشقياء

فأذاع الذراع ما فيه من شر بنطق إخفاؤه إبداء

وبخلق من النبي كريم لم تقاصص بجرحها العجماء

أي ثم بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع له كرامة أخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهو أنه

صلى الله عليه وسلم سمّت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية الشاة أي جعلت له سما قاتلا لوقته بحيث لا يتخلف وأكثرت منه في الذراع والكتف لأنها علمت وأخبرت أنه يحبه وكم مرات كثيرة سام من السموم الذي هو مقدم الشراء وبيس سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة أي تابعوا عليها وتحلى بها الأشقياء الذين صاروا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ومنع ذلك السراية وبينهما تجنيس الاشتقاق فأذاع أي أظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع ما فيه من شر بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم وإخفاؤه عن الحاضرين إبداء له صلى الله عليه وسلم وبخلق من النبي كريم بل لا أكرم منه لقوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم أي بسبب ما تحلى به من كمال العفو والحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرحها وفي نسخة بجرحها لأن السم يجرح البواطن كما يجرح الحديد الظواهر العجماء البهيمة شبهها بعاء في قلة العقل السود لهلاكها بتعرضها لأكبر الأنبياء لسيد الوجود ولفظ العجماء في القضية التي أشار إليها الناظم في كتاب الجزية والطب من طريق الليث عن سعيد عن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا إلي من كان هاهنا من اليهود فجمعوا إليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا أبونا فلان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا أردنا إن كنت كذابا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك وفي حديث جابر عند أبي داود أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل إلى اليهودية فقال أسممت هذه الشاة فقالت من أخبرك فقال أخبرتني هذه في يدي الذراع فقالت نعم قلت إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة

وفي رواية غيره جعلت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم تسأل اي الشاة احب الى محمد فيقولون
الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها واصلتها ثم عمدت الى سم لا يلبث يعني لا يلبث ان
يقتل من ساعته وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه و
فسمت الشاة واكثرت في الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه و
فيهم بشر بن البراء فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر
ابن البراء عظما اخر فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة ازدرد بشر بن البراء ما في فيه
واكل القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها
مسمومة وفيه ان بشر بن البراء مات وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن
البراء فقتلوها رواه الدمياطي وفي مغازي سليمان التيمي انها قالت ان كنت نبيا كاذبا
ارحت الناس منك وقد استبان لي الان انك صادق وانا اشهدك ومن حضر على دينك
وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال الزهري فانصرف عنها حين اسلمت وفيه موا
فقة الزهري على اسلامها وانما طال النبي حديث الزهري جابر وفي حديث ابي هريرة انه لم يامر
بعقابها والتي رواه ابن سعد والتي يليه انه دفعها الى ولاة بشر فيحتمل ان يكون لاجل
اسلامها لم يعاقبها وعليه الزهري والتيمي ومر ثم جزم في الاصابة باسلامها ويحتمل
انه تركها اولا لانه لا ينتقم لنفسه ولما مات بشر قتلها قصاصا وهذا هو الذي يستفاد من
كلام الناظم ويحتمل انه تركها اولا لانها اسلمت وانما قتلها حين مات بشر لان بموته
يتحقق وجوب القصاص بشرطه قال الحافظ ابن حجر العسقلاني فيما وفيه نظر لان قتلها
ان تحقق على هذا الوجه كان فعلها قبل الاسلام وبعد الاسلام لا تؤاخذ بما صدر منها في
ويجاب بانه صلى الله عليه وسلم اعتبر في وجوب القصاص الموت لا السبب لان موت ابن البراء
كان بعد اسلامها فوجب القصاص ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء هل المعتبر
في وجوب القصاص الموت او سببه «من فضلا على هوازن اذ كان»
«انه قبل ذاك بيسير زنباء» الا من هو معطوف بجزء حرد العطف على اسم
تعالى خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استيناف اي انه نعمة عظيمة فظلام معو [illegible]
مكلى [illegible] او معمولا لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكر الله تعالى
بقوله فاما منا بعد واما فداء فمن تغلبة يسلم بعزان ملكهم المسلمون اي رفع الرق
عنهم لاجل فضله اي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه
العلة والتي تليها المستفادة من اذ منه معا بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى
غيرهم

غيرهم وخصوص كونه تربا فيهم وعليه فهو العطف مفرد التنويه ويحتمل ان تكون
الثانية علة للاولى وابهامه فصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل
فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن بمن او بفضلا كفعلا بقرينة السياق وهو
ازن قبيلة حليمة السعدية رضي الله عنها وهم اهل حنين المذكورة في الغزوات وهو واد في
من في الحجاز المسوق المشهور من اسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين
مكة نحو ثلاث ليال غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما تجمعت اشراف هوازن
وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم لست خلون من شوال سنة ثمان في اثني عشر الفا
عشرة الاف جاؤا معه من المدينة والفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم فصل الفا
في وامر ان يجعل سبي هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى ياتي اليهم وكان السبي وهو
النساء والذراري ستة الاف راس والابل اربعة وعشرون الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة
الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضع عشر يوما
ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنائم فجاؤوا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا
اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك وقام رجل
من بني سعد حليمة فقال يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك لانهن من اخوات حليمة
وحاضناتك اللتي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث بن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل
بنا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابنا
ؤنا ونساؤنا فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين
فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا فسارد عليكم عند ذلك واسال لكم بعض المسلمين
ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال
المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع
بنو تميم وبنو فزارة والاقرع وعباس بن مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول
سبي من نصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا ما بقي عندهم «واتى السبي فيه اخت رضاع»
«وضع الكبر قدرها والسباء» فجعل [illegible] الشامر
«به انا الحسناء فهي اي» نعمة [illegible] بغابر [illegible]
«اي فضل مولاه ذاكرا له» معرفة فيه وفي بشر [illegible]
«والسبي انه فيه اسماء» الصيد الاصل الاخر والمراد به هنا المتصيبي

أي أتى المأسورون إلى الجعرانة للقسم فيها على المسلمين وكان ذلك السبي فيه أخت
النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع واسمها الشيماء ولما شقوا عليها عنفوا بها قالت
لهم والله إني أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
إني أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك في ظهري معرفة الآن فوضع أي خفض
الكعر القائم بها فرداها وكذلك وضع قدرها الشيماء أي الأحمر القائم بها فاضجعها
عجبت ذلك هاذير ما بينهما من اخوته صلى الله عليه وسلم ثم من الله عليها بالإسلام
محباها أي أعطاها ما لم يكن في حسابها وجاد على قومها لأجلها برا أي لأجل برها
إذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز أن يكون برا هو المفعول والشارة بدل منه
بسكا منه توهمت الناظر الزبير أو ذلك البراء وقع في وهمهم أي في خفيف بر أي بسبب ذلك
البر الذي وصل إليها منه أنها بنت الهمزة إذا أنت حفر الحمراء أي المنيفات اللواء معها
هزاءا بالظهر وغير همزة المرأة التي جعلها ... بابت كرجل عدل والجملة فيها
مفعول توهمت الناظر أي توهموا أن النسوة اللواتي معها في السبي لم يسبين لعظم ما
قابلهم به من الإكرام وإنما جيئ لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم ثم أبداهن
من حبائها ومن برا والظاهر أن من زائدة على مذهب الأخفش ومن تبعه من عدم
اشتراط النفي وشبهه فيسكنه الضعفي لها أي بشر رده صلى الله عليه وسلم رداءه
كان عليه وجعله لها فراشا تجلس عليه ويحتمل أن تكون تبعيضية وعلى كل حال
فبيعنا لها بذلك الإكرام وأي فضل أي شرف عظيم لا غاية له حواه أي جمعه ذلك
الرداء بمماسته لجسمه الشريف صلى الله عليه وسلم وخيرها صلى الله عليه
وقال إن أحببت فعندي محببة مكرمة وإن أحببت متعتك ورجعت إلى أهلك فا
ختارت قومها فأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم تزل
فيهم بقية من نسلهما وغدت أي صارت مندرجة فيه أي في ذلك الفضل والجلال
إنما هي سيدة أولئك النسوة اللواتي معها من سبي هوازن لما حصل لها من التمييز
الباهر عليهن وإن أولئك النسوة اللواتي هن السيدات قبل أسرهن فيه أي في ذلك
الفضل إماء أي جوار كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات إماء لها
السيدات والإماء طباق والجملة الأخيرة مؤكدة للأولى التي هي حال من فاعل غدت

فتنزه في ذاته ومعانيه استماعا إن عز منها اجتلاء
واملأ السمع من محاسن يمليها عليك الإنشاد والإنشاء
كل وصف له ابتدأت به استوعب أخبار الفضل منه ابتداء

التنزه حقيقة التباعد عن الأدناس ويستعمل في النزهة في الرياض ونحوها لأن فيه تباعدا
عن الأكدار والأغيار فتنزه جماله صلى الله عليه وسلم بالتنزه الرفيع البديع الجامع
لأشتات المحاسن على سبيل الكناية ودل على ذلك بالأمر بالتنزه وهذا أولى مما في ابن
حجر وغيره أي استعمل جوارحك وقلبك وفكرك في النزهة في أوصاف ذاته وأوصاف معا
نيه الخارجة عن أوصاف ذاته من جهة إصغائك إلى استماع أوصاف ذاته وجميل
صفاته إن فقد اجتلاء منها أي إبصار ورؤية من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتلو
تها إذا نظرت إليها مجلوة أي مكشوفة مزينة أي إن فاتتك رؤية ذاته الكريمة وكنها
هذه صفاته العظيمة فلا يفوتك نزه سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته و
علا صفاته ولا تقتصر على همك سماعك للقليل من ذلك بل املأ السمع بأن تكثر
من سماع ذلك حتى لو فرض أن ما تسمع شيء محسوس وأن سمعك إناء وأسع ملأه
ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يبقى أحد إنكارها ولا
بشيء كالمعيارها والمحاسن جمع حسن على غير قياس ويمليها من أمليت الكتاب ويجوز
أملاته أي يلقيها عليك الإنشاد من غير الناظم والإنشاء منه والإنشاد الشعر قراءته
وإسماعه والإنشاء وضعه واختراعه ومما يطلق على الاستغراق وسعته في ذلك المتنزه
واملأ السمع من تلك المحاسن أنه يجب عليك أن تعتقد أن محاسن ذاته وكمال صفاته
لا يمكنك أن تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت أنت
أو غيرك في الذكر أو ابتدأت بذكره لتحيط بها بل استوعب أخبار الفضل مفعول مقدم أي
جميع أخبار الفضائل والكمال منه متعلق بقوله ابتداء الذي هو فاعل استوعب أي كل
ابتداءات بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وإيماء جمع ذلك
الوصف المبتدأ به جميع أنواع الفضائل وغاية الكمال ولا تستبعد ذلك فإن كل وصف
من أوصافه صلى الله عليه وسلم أخذ بحجز بقية تلك الأوصاف إذ لا ينفك كمال وصف من
أوصاف الإنسان كالعلم مثلا إلا أن كملت في بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والحلم
والصبر وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم تدل على ما وضع له مطابقة
وعلى ما عداه منها إيماء واستلزاما كما لا يخفى على من تأمل ذلك وتدبره وهذا نصه
شرع الناظم رحمه الله في ذكر شيء من خلقه صلى الله عليه وسلم وصفاته الظاهرة الزكية
الكاملة النقية الباهرة لمن فيها البصائر ويحتقر عندها الغادر ويتوصل بالنظر إلى تخلية
باطنه بتخصيص ما فيه من أفخر العبادات والترجمة رؤيته من جارية العادة إلى ...

لانه من اكثر من ذكر محبوبه واستعمل فكره في اوصافه مرغوبه كان سببا في نظر طلعته و
مشاهدة بهجته والى التمييز بين الرؤية الصحيحة والصحيحة من الادلة المستقيمة و
ليتبرك المومن بذلك ويعمر به وقته ويحرك ما فيه من الحب الساكن والشوق الكامن
ويحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب ما يناسب احلاء تلك المحاسن ويتذكر بها الليالي
يزيد ويسموا ويتقاطع ويتعدد من الاقبال على الخير والتحلي بانواع البر وكذا فالما
يتنزل ابن باكل من يتاتى له ذلك فيسموا به لكمال العقل وقد فهموا من اقوى الاسباب
الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات في الصفات النبو
ية العربية اذا صادف محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وطربا وذلك يجرى عند انتشار
اخبارهما انشاء في سماعها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل والشاء انما تحرك النغم
الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن
صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر وفي تلك اللذة ما يغمر العقل لاجتماع
لذة الالحان وكثرة الانغام فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى في
اللذة من غناء الشواب وقد ذكر الامام احمد رضي الله عنه وغيره ان الله تعالى
يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف
وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا اسمع
اهل الجنة صوته استغرق نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا اسمعوا كلام الرب جل
جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك
يغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تفي به الاشارة قال ابن حجر واعلم
انه كما حاز باطن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الكمال كله فقد حاز ظاهره الجمال كله
فكمل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرن له بين جميع الفضائل الدينية والدنيوية فعظما
قدر جماله صلى الله عليه وسلم كل جمال فهو احسن من كل احد وكذا انجمع كل جميل في الوجود و
من كماله تكون كل كمال فهو احسن من كل كامل وكذا فيه بالتقليد في الخضوع له

كل الكمال وما ابدع قول مولاتنا عائشة رضي الله عنها … واجمل منك لم ترقط عيني
واكمل منك لم تلد النساء … خلقت مبرءا من كل عيب
كانك قد خلقت كما تشاء … وكذا قول ابن العارض على لسان الحضرة
النبوية … وروحي للارواح روح وكل ما ترى حسنا في الكون من فيض طينتي
وبالجملة فقد اعطي نبينا يوسف عليه السلام شطر الحسن والحسن كله لنبينا صلى الله

عليه وسلم الا انه صلى الله عليه وسلم كان ماسكا للارواح فلم يقع به افتتان وكذا قال الناظم
منزه عن شريك في محاسنه … فجوهر الحسن فيه غير منقسم … وقد ذكر العلماء
ان من تمام الايمان به الايمان بان الله عز وجل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله
ولا بعده في بدن ادمي حسنا وكمالا وبهاء واعتدالا وكذا قال الناظم
فبلغ العلم فيه انه بشر … وانه خير خلق الله كلهم … وقد
افرد الناس التاليف في اوصافه صلى الله عليه وسلم وشمائله كالترمذي وغيره
والناظم رحمه الله ذكر بعضها في ذلك قوله … سيد ضحكه التبسم والمشي
الهوينا ونومه الاغفاء … روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها
ما رايته مستجمعا قط ضاحكا اي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولابي الشيخ
خبر البخاري ايضا فضحك حتى بدت نواجذه اي بالذال المعجمة وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة
في الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم الذي
دل عليه مجموع الاحاديث ان الغالب من حاله هو التبسم وربما ضحك والمنهي عنه هو كثرته
لانه يميت القلب والتبسم مبادئ الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى
تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفي فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة
قلت من تتبع الاحاديث الشهود فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نو
اجذه وجل ذلك في الاخبار عن امور الاخرة وعن سعة رحمة الله تعالى بعباده فيها
وكان يبالغ في ذلك لاجل كثرة الفرح بما هنالك لشدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بامر امته
واما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان الهوينا تصغير الهون وهو السكينة والوقار وا
لتصغير للتعظيم كقوله … وكل اناس سوف تدخل بينهم … دويهية تصفر منها الانامل
وقد مدح الله تعالى من يمشون كذلك فقال عز من قائل وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة ما رايت اسرع من مشيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث اي لانه
كان يبارك له في مشيه فلذا كانوا لا يلحقونه وعن علي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
مشى تكفا تكفوا كانما ينحط من صبب وفي رواية له كان اذا مشى تقلع يعني كان
يستعمل التثبت في مشيه مع رفق وسكينة ووقار تنبيه روى ابن سعد انه صلى الله عليه
وسلم الضعف خلق الله وكذا لم يوثر مشيه في الرمل ولا يبقى فيه تاثير في الحجارة فلانه
لبقاء اثره وتكييف حاصريه والجلال الحق في خلقته الرطوبة وثقيت الرمل ولم يبق ...

والكبرا ان رجلا استعان به في تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتتطيب به فكانت
اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المتطيبين ومع انه كان اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا ريحه وقالوا مر رسول الله منه وجد
خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل او من عرق البراق موضوع من وجه غريب انه كان ما يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وابدل العاقل غير العقيل
ان اعرابي الصحابة ... والبول ... ومن ثم اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع فضلاته واما نومه صلى الله عليه وسلم فهو الاغفاء

لدلالة ... تعب واعياء بذلك الاستيفاء والى هذا يشير شيخ شيوخنا ابن زكري بقوله

ليس العدمير لانه الغني ودمل تعاينه الضعفاء ولله ذو الفضائل
فهو الذي اختاره الباري واسلم برا رؤفا رحيما بالمساكين
ان سار في الرمل لم تنظر له اثرا وان علا الصخر صار الصخر كالطين

وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع اصحابه قدمهم امامه وقال خلوا ظهري للملائكة
اي ليتعاهدوا حوالي ايضا وكان اذا مشى في شمس او قمر لم ير له ظل فيهما كما يأتي
واما نومه صلى الله عليه وسلم فهو الاغفاء اي اخذ النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق
انما ينشأ عن نوم القلب وغفلته المنقولين عن الشبع المعهود وهو صلى الله عليه وسلم
كسائر الانبياء تنام عينه ولا ينام قلبه ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وثمرة ذلك كمال
حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ
لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى
حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين لا القلب فهي نائمة والقلب يقظان مستغرق
في شهود ربه وما يلقيه عليه من معارفه فلذا لم يدرك مرور الوقت الطويل وفي الواقعة
من تشريع الاحكام الكثيرة ما لا يخفى ثم شرع الناظم في ذكر بعض ما تضمن اخلاقه صلى
الله عليه وسلم فقال

«ما سوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء»

اي ليس غير خلقه النسيم اي الريح التي في غاية اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبهها
خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجود الناس بالخير من الريح المرسلة والخلق قال الراغب هو بالفتح والضم في الاصل
بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المدركة بالبصيرة والمضموم بالسجايا
والقوى المدركة بالبصيرة والحق انه غريزي وتمامه مكتسب لخبر البخاري ان الله قسم
بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم وفي الصحيح ايضا اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي
وفي خبر انه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق ولا يهدي لاحسنها
الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه او كماله
امر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة
تصدر عن صاحبها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من
خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد اثنى الله عليه
في كتابه الكريم فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظيم وزاد في العظيم

باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى
عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظيم دون الكريم الغالب وصفه به
لان كرمه يراد به السماحة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما
كان عنده غاية الرحمة للمومنين كان عنده غاية الغلظة والشدة على الكافرين
واعتراه فيه الانعام والانتقام ولم يكن له همة سوى الله تعالى معاشر الخلق
بخلقه وبايدع بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثني بتمام مكارم
الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وفي الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن قال السهروردي في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى
الاخلاق الربانية الالهية واستحيت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق
الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات
الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها اهـ وقال بعض
العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين وعلم من كلام عا
ئشة ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معاني القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر
جزئياتها غير مقدور للبشر فحسبنا ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق
لم يكن باكتساب ولا برياضة وانما كان في اصل خلقته بالجود الالهي والامداد
الرحماني الذي لم تزل تشرق انواره في قلبه الى ان وصل لاعظم غاية واتم نهاية
واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه هو الذي تقتبس به الفضا
ئل وبه تجتنب الرذائل قيل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان
ولا كرم جوهره الصبر وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية لم
يصلها بشر ذو عقل ومن ثم روى ابو نعيم عن وهب انه وجد في احدى وسبعين كتابا ان
الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جانب عقله صلى الله عليه
وسلم الا كحبة رمل بين جميع رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله
عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباينة
مدة حتى قاتلوا دونه اهاليهم وهاجروا في رضاه اوطانهم واحباءهم مع انه لم يطلع
على سير الماضين ولا تعلم من العلماء المحدثين وقوله ولا غير محياه الروضة الغناء
المحيا الوجه والغناء الكثيرة النبات والازهار والثمار اي ليست الروضة الغناء الا وجهه لانه

ط
والاكرجوهره الصبر وفي القاموس بعد الاشادة
الى الخلاف في تعريفه والحق انه نور روحاني به تدرك
النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده
عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند
البلوغ نحو والمعروف المشهور اول ما خلق الله ...
العقل قال له اقبل الى اخره موضوع في حكم

احسن الخلق وجها «رحمة كله وحزم وعزم» «ووقار وعصمة وحياء» ✓

رحمة وهي عطف وقيل نعمة اي غاية التفضل والانعام اي عينها مبالغة او اراد نعمة

وهو خبر مقدم واخبر بهن وما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت

بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كانها هو وكانه هي اي ركب منها وطبع عليها

وخلق منها كله كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال

على انها اسم فاعل ومفعولا من اجله وعلى حذف مضاف اي الا ذا رحمة والعالمون «

قيل الجن والانس وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل

عليه ايضا ليكون للعالمين نذيرا وعلى كل حال فهو رحمة للمومنين بالهداية والامان

وللكافرين بتاخير العذاب وسائر الحيوانات لان بوجوده صلى الله عليه وسلم يستسقى

الغمام ويدعا به فينزل قطر السماء فينبت النبات ويكون لها اكلا ورعيا وقال ابن

عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه

وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة

بمعنى ان ذاته رحمة للمومنين والكافرين كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم

وروى الدارمي والبيهقي حديثا انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة

الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال اخي الانبياء كلهم خلقوا

من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو رحمة وقد جاء بالسيف

واستباحة الاموال والانفس لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ

ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم وفي الشفاء وحكي انه صلى

الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء فقال نعم كنت اخشى العا

قبة فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم احد قالوا لو

دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم

لا يعلمون اي اغفر لهم ذلك الشيء المخصوص الراجع لذاتي لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره

ابن حجر وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله يملا بطونهم نارا لانهم شغلوه عن

الصلاة الوسطى فدعاؤه لله تعالى لا لحظ نفسه وحزم كله اي جميع احواله صلى

الله عليه وسلم التي تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط والقوة والشدة الباطنة وا

لظاهرة لان منشا ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا اكمل من عقله بل لا يساوي له من

ملك ولا نبي وعزم كله من عزم على الشيء قطع به اي جميع ما يفعل بوحي او اجتهاد

انما

انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ولا تردد ولا تغيير ومن ثم كان من

خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا لبس لامة الحرب لا ينزعها حتى يقاتل كما وقع له لما شغلوه عن

سنة الظهر في الغزوة حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلي ركعتين «

بعد العصر الى وفاته ووقار كله لان الله تعالى القى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن

ثم قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر

الناس في مجلسه وعن ابي سعيد الخدري كان اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان

كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكان كلامه فصلا لا فضول

ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسهم مجلس علم وحياء وخير وامانة لا ترفع

فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير

جاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك

فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل

بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها الناس اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا

حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا وزاره قيلة بنت

مخرمة في المسجد فلما راته القرفصاء ارتعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن

عمرو بن العاص رضي الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملات عيني منه

حياء منه وتعظيما له صلى الله عليه وسلم ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلاء

اجلاء الصحابة فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يباسطهم ويمزح

معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويتوسع لما قدر احد منهم ان يجالسه ولا

يحادثه لما القى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون

نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار اليه جبريل بيده ان تواضع فاختار العبو

دية وعصمة كله اي حفظه من تلبيس الشيء وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها

وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوءة وبعدها في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظا

هره سره وعلانيته جده ومزحه رضاه وغضبه وقد اجمع الصحابة رضي الله عنهم على اتباعه

والتاسي به في كل ما يفعله من قليل او كثير صغير او كبير سرا او علانية علموا به او لم يعلم

ما لم تظهر الخصوصية ومن عصمته صلى الله عليه وسلم حفظه من اعدائه الحريصين على

قتله وكان الصحابة يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه

وسلم راسه من القبة وقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي وتواعد جماعة على

[illegible]

فتنة فلما هموا سمعوا صوتها فغشي عليهم ثم تواعدوا مرة أخرى فلما رأى جاء ف
الصفا والمروة في التابعين وبينهم وحياء كله كما في البخاري عن أبي سعيد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها والحياء بالمد لغة تغير وانكسار
يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع
من التقصير في حق ذي الحق ما خوذ من الحياة أو من الحيا المقصور وهو المطر وقوته
وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو أنواع منها حياء الكرام ومن ثم كان صلى
الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بما يكرهه بل إذا بلغه عن أحد شيء قال ما بال أقوام و
منها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيستحيي منه ومنها
حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته
لمعبوده فيستحيي منه لا محالة ومنها حياء المؤمن من نفسه أن رضيت بالنقص
أو قنعت بالدون حتى كأن له نفسين فيستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل
ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله
عليه وسلم الحياء لا يأتي إلا بخير والحياء من الإيمان وجعل من الإيمان مع أنه غريزة لأن
استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي
جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي والغريزي معين على المكتسب
حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان في الغريزي
أشد حياء من العذراء في خدرها **لا تحل البأساء منه عرى الصبر**
ولا تستخف الضراء لا تحل البأساء أي الشدة وإن أرهقت لا سيما
في الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من
العطاء أو بالمهاوي أو بتحل وعرى جمع عروة وهي أخت الزر والصبر حبس النفس
على ما تكره أي لا تحل الشدائد ما لصبره من الحلم والقمع والعفو والشجاعة المشبهة في التمام
بها على من قامت به حتى منعته من وقوع شيء منه عند ثوران نار الغضب فجال
ربطت على شيء وحكمت في عرى واستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها وتشبيه
الصبر بالثوب السابغ ذي الأزرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تحل
ترشيحا والعرى تخييلا وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربه كيوم أحد
في قتل ما نال أولياءه من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق
ذلك على أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فإنهم

قومي فإنهم لا يعلمون أي إنما أجلهم بالعقوبة من أجل أنهم لا يعلمون ما صار ما يترتب
عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب وروي عن عمر رضي الله عنه قال بأبي وأمي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال يا رب لا تذر الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول
إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وإنما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا لأن الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم
يكن يغضب لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقول الله سبحانه له جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في أماكن متعددة لأسباب
متعددة مختلفة لكن مرجعها إلى أنه لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل ومن المواهب
روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمعجمة وبالنون الحبر
حنين كما في كتاب عبد الغني وذكره الدارقطني وبالمثناة التحتية ثبت في الشفاء وصحح
عليه مؤلفه وهو الذي ذكره ابن إسحاق وهو كما قال النووي أجل أحبار اليهود الذين
أسلموا أنه قال لم يبق من علامات النبوءة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه
وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه غضبه ولا تزيده شدة الجهل
عليه إلا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه فابتعت منه تمرا إلى أجل
فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه
وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني
عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع فو
الله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى
عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمره
بحسن الأداء وتأمرني بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان
ما رعته ففعل قال فقلت يا عمر كل علامات النبوءة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة
الجهل إلا حلما فقد اختبرتهما فأشهدك أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد
نبيا وروى أبو داود أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجبذه بردائه وكان الثوب
خشنا حتى أثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيرين هذين فإنك لا تحملني من مالك
ولا من مال أبيك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله وكررها ثلاثا ثم أمر

له بعير تمرا او بعير شعيرا وروى البخاري ان اعرابيا اجذ به جذبة حتى اثرت حاشية البرد
في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فضحك
صلى الله عليه وسلم ثم امر له بعطاء وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
اي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه صلى الله عليه
وسلم فلما رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق اليه في وجهه الا انه
وانبسط اليه فلما مضى سألته عائشة عما قال وعما فعل فقال متى عهدتني فحاشا
والعشيرة القبيلة وقال فيه ذلك لانه اطلع على باطن حاله وعاقبة مآله
قيل وهو عيينة بن حصن الفزاري وقد كان فيه امور حمل النبي صلى الله عليه وسلم
وبعد موته تحقق علمه بضعف ايمانه بارتداده في زمن الصديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر
فقوله فيه من علامات النبوءة وانبساطه اليه تألفا له لانه رئيس قومه وفيه تعليم
الامة وجواز المداراة اتقاء الشر وفرق العلماء بين المداراة والمداهنة فالمداهنة معطلة
قال ابن القيم الجوزية والفرق بينهما ان المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه
الحق او يرده عنه او عن الباطل والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على
هواه فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة لاهل النفاق وقد مثل ذلك بمثال
مطابق وهو رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المداوي الرفيق فتعرفها حتى نضجت
ثم بطها برفق ثم وضع عليها المرهم حتى منع فسادها موضعها ونقى فيه اللحم ثم رد
على ما انبت منه ما تضع الرطوبة عنه القرحة ثم جاء المداهن فقال لصاحبها لا باس عليك
منها وانه لم يزل مادتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها وقال فصل اما من
من انه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه بما فيهم ما ثبت من انه امر بقتل عقبة بن ابي
معيط وعبد الله بن خطل وغيرهم ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم فاجيب بان ذلك
ليس انتصارا لنفسه لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى وحصل الاياس من
ايمانهم ومن ثم لا طمع في ايمان المنافقين امهلهم مع شدة اذاهم له لما يرجى لهم من
عليه يشير فحوله ولا تستخفه السراء اي لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره الى
الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي فتحها في اخر حياته بل هو معها كما هو
قبلها لم يزده الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها
تخضع لله تعالى حتى كاد راسه يمس الرحل تواضعا افتتح كرمت نفسه فما يخطر السوء
على قلبه ولا الفحشاء اي انما ان النفس صلى الله عليه وسلم بعزه

الكرامات التي تؤخذ به غيره لانه كرمت نفسه لان الله تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة
المحمدية من انوار الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها
على اقتضاء كمال حكمه وما سبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره
بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وابوه آدم بين الرو
ح والجسد بل بلا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر محمد الهادي علمها
المتقدم على عالم الاشباح فكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع
الموجودات فهو وان تاخر وجود جسمه فهو اول المخلوقات متميزا عن العوالم كلها
برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني وممتد بقوة الامداد الرحمانية ورائع الجنان
الموارهب فلله فيه من هذا النمط اعجب العجائب ولله در تاج العارفين سيدي علي وفي
اذ يقول
سكر الفؤاد فعش هنيئا يا جسد · هذا النعيم هو المقيم الى الابد
اصبحت في كنف الحبيب ومن يكن · جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في امان الله تحت لوائه · لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تختشي فقرا ومغرك يبتغي من · كل الممالك مراياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجود ومن · هو في المحاسن كلها فرد احد
قطب العلا غوث العوالم كلها · اعلا على سادات احمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد · لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم · هم اعين هو نورها لما ورد
لو ابصر الشيطان طلعة نوره · في وجه آدم كان اول من سجد
او لو رأى النمرود نور جماله · عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الحق جل فلا يرى · الا بتخصيص من الله الصمد
عين الوجود معنى الصفات سر السنا · نور الهدى روح الضحى جسد البشر
هو الصلاة مع السلام المرتضى · والجامع المخصوص ما دام الابد
فبسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها وتنزيهها عن كل رذيلة
ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهر بشق الملائكة له المرات
المتعددة عن تشغله في الاطوار المختلفة واخراج ما في قلبه مما جبل عليه النوع الا
نساني ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم بما لا يحيط به الا المطلع عليه وذكر
الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء السوء لان الفحش هو السوء الذي جاوز حده لا الغام

مقام الخطاب «عظمة نعم الالاه عليه فاستغلت لزكره العقلا»

اي اذا تاملت ما اناله الله تعالى من الكمالات التي لا تعد ولا تحد علمت انه قد عظمت نعم الالاه عليه عظمة قطعت نهاية العقول عن ان يطال احد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها فبسبب هذه العظمة المذكورة استغلت لزكره اي عن ادراك وقف ذكر ما انعم الله عليه به العقلاء جميع ما انعم الله به عليه لانه اوتي غاية الكمالات الباهرة التي لا يدرك شاوها مخلوق ولو عرض معشارها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضايل التي اوتيها غيره من المخلوقات لاستغلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ما اوتيه اعظم واجل واتم «جهلت قومه عليه فاغضى واخو الحلم دابه الاغضا»

اي اذاه اذى الابطال فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه وجرحوه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فصار ينتعل الدم على نعليه وشجوا وجههم وكسروا رباعيته ورموه بالحجر والكلاة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا الاجله بني هاشم وبني المطلب في شعبهم سنتين وفي البخاري ومسلم من حديث عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد فقال لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة فاغضى عنهم حلما وتكرما لا سيما وقد جاءه لما اشتد اذاهم له ملك الجبال وقال له يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شيت اطبقت عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا فكان الامر كما رجى صلى الله عليه وسلم فقوله واخو الحلم هو التاني في الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اي الذي يجمع الله عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دابه اي شانه وعادته المستمر عليها الاغضا وهو في الاصل الصبر والعين عن رؤية المكروه واستعير هنا للتغافل عن ان يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم ممن اذاه والجامع بينهما الاعراض عن المكروه وفيه تذييل وختم بل لمثل الظاهر ومن ثم لما اذوه يوم احد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي علما ينتفعون به اذ لا جهلهم اي اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه واما العنادهم كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فنزل علمهم منزلة الجهل واذا كان اخو الحلم دابه ذالك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو النهاية من الحلم التي غاية لم يجعل اليسفا

غلوى لان الموصل هو الذي تولونا ديبه في نفسه واعرض عليها من مغازي حلمه وقدته حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك «وسع العالمين علما وحلما فهو بحر لم يعيه الاعياء»

العالمين جمع عالم من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم من الختم اسم لما يختم به ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد الذي هو العالم ادل على الشمول والاستغراق لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملايكة والافلاك والدواب والجماد واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض افراد تلك الاجناس فقط وغلب في جمعه العقلاء لشرفهم وعدل عن جمع الكثرة مع تبادره تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله تعالى وكبريايه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملايكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل العالم خاص بالانس وان كل واحد من افراده عالم من حيث انه مشتمل على ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع انظر ابن حجر وقوله علما تمييز اي وسع علمه علوم العالمين الانس والجن والملايكة لان الله تعالى اطلعه على العالم فعلم علوم الاولين والاخرين ما كان منها وما يكون وحسبك في ذلك العزوان العظيم الذي اوتيه وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فالعلوم كلها مندرجة منحصرة في علومه صلى الله عليه وسلم وقوله وحلما تمييز ايضا اي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم كما سبق وما من حليم الا وقد عرفت له زلة او هفوة تخدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة الاذى له وا لجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا فهو بسبب جمعه لتلك المعالي التي لم تجتمع لغيره بحر اي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاقه نعمه الزكية وصفاته العلية فهو تشبيه بليغ اي كالبحر لم يعيه من اعيا اذا بلغ في مشيه اتعبه او وقف والاعياء بفتح الهمزة جمع عيا بكسر اوله بعدها موحدة ثم همزة الحمل والثقل من اي شيء كان اي لم يكد يجد علمه شك والشبهة ويجد حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعيا للاكدار والاعياء للشبه والجهالات

«مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء»

اي اذا تاملت ما تقدم من اوصاف كمالاته الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه الجمر

التي اخذ رجف الجبار كلها في يمينه والحليم الكريم الذي خلق كل كريم وحليم تحت حياطه كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعظمته عن الالتفات لما سوى الله مستغرق في تحقيق دنياك اي الاموال التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السماء والارض وعدل عن التعبير بالزهد لانه انما يزهد فيما له بال والدنيا لا قدر لها ولا بال عنده صلى الله عليه وسلم ثم ابرز من قوله دنياك بدل اشتمال أن ينسب الامساك منها اليه والاعطاء كرما لانه الغنا بها وكثرة شغلها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو مستخففا احتقار الشانها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب لا اكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وفيه الالتفات في خطابه تعالى في العالمين وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا والمروة فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى في آل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل امر الله بالقيامة ان تقوم فقال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك ان اردت ان تسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال نبيا عبدا قالها ثلاثا قلت اعلم ان الناس في طلب الدنيا على قسمين قسم طلب الدنيا للدنيا وقسم طلب الدنيا للآخرة وهؤلاء في الحقيقة لا دنيا لهم لان دنياهم للآخرة قال ابو عطاء الله سمعت شيخنا ابا العباس المرسي رضي الله عنه يقول العارف لا دنيا له دنياه لآخرته وآخرته لربه والاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدي اليه فالدنيا لا تذم بذاتها ولا تمدح كذلك بل المذموم منها ما اشغلك عن مولاك ومنعك من الاستعداد لاخراك والممدوح منها ما اعانك على طاعته وانهضك الى القيام بخدمته ولكونها ذات وجهين وردت احاديث في ذمها والتصغير منها واخرى بمدحها والثناء عليها فمن الاولى حديث الدنيا جيفة قذرة وحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما وحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة وصح انه صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه الشاة

على اهلها ولو كانت الدنيا عند الله تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ومن الثانية حديث لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر لكن لما كان حال اكثر الناس كلهم المخلوق ان يسعى العاجلة واشتغالهم بها عن الله وعن الآجلة كانت احاديث ذمها والتحذير منها اكثر واشهر وتعاطي اسبابها على الوجه الشرعي والمنهج المرعي لا يشغل عن الله ولا يزال في التنوير لا بد من الاسباب وجودا ومن الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث اثبتها الحق بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته وهذا الابتداء الزهد لان الزهد عبارة عن طرح الدنيا من القلب وعدم تعلقه بها والحب لها وان كانت في يده وعدم الزهد هو تعلق القلب بها والالتفات اليها وان لم تكن في اليد قال الغزالي في العبد الخاشع والمحسن والمتقي يتصف في عدة الزهد وعدم ذلك البعد اعلم ان الزهد ليس عدم المال بل عدم احتقار القلب بالدنيا والاموال وان كانت في ملكه فقد يكون الزاهد من اغنى الناس وهو زاهد لانه غير مشتغل بها في بعده وبذله في طاعة الله ايسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل في غاية الحرص لاجل ما اشتمل عليه قلبه من الرغبة في الدنيا وقد وقع الطالب المريد لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد قال اما انه ليس باضاعة المال ولا بتحريم الحلال ولكن ان تكون بما في يد الله اوثق منك بما في يدك وان يكون ثواب المصيبة ارجح عندك من بقائها وقال في التنوير للزهد في الدنيا علامة في وجدها وعلامة في فقدها فاما العلامة التي في وجدها فالايثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان وذلك لان الحق سبحانه كما ينعم بوجودها ينعم بفقدها بل نعمته في فقدها اتم وقال الشيخ ابو يزيد البسطامي مر علينا شاب حاج فقال لي ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا فقلت له فما الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وفي شرح الوغليسية للشيخ سيدي احمد زروق سئل الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك واجعلها في يدك فانها لا تضرك وقال شيخنا ابو العباس بن عقبة الحضرمي ليس الرجل الذي يعرف وجوه تحريم الدنيا فيعرفها انما الرجل الذي يعرف كيفية امساكها فيمسكها فافهم وذلك لانها كالحية وليس الشأن في قتل الحية وانما الشأن في امساكها حية وقال الشيخ ابو العباس المرسي في اشارة قوله تعالى

ما نظر اليه ... العالية ... عرضت عليه خزائن الارض ما عرض عنها وابا ... انه تواضعا ... الا في طاعة ربه لا ... العبودية ... تعالى ... شرعية ... وقد اشار الناظم الى هذا بقوله في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث ... ضرورة ... الدنيا وزينتها ... انما خلقت لاجله كما صح به الخبر ... تنبيه قوله هنا ... ثم ... ضرورته لان بعض العلماء ... صلى الله عليه وسلم بالزهد ... زاهد ... فيها واذا ... بالزهد في الضرورة ... السيف المسلول ... صلى الله عليه وسلم ... اهـ صح

وما تلك بيمينك يا موسى الاية قال الولي وما تلك بيمينك ابغا الولي فيقول هي
دنياي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي وعنم اعضائي ولي فيها مآرب اخرى
فيقول له القها فيلقيها عنها بالغيب فيكشف له عن حقيقتها فاذا هي حية تسعى
فيقول له خذها ولا تخف فيأخذها اذ كما تركها باذن فيأخذها الله في اخذها كما اطا
عه في تركها وقال الشيخ ابو مدين الدنيا كالاذ اذا قطع راسها خلف وراسها حيثها
ه وعلى هذا تحمل احوال الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من بعدهم من صلحاء الامة الذ
ين بسط لهم في الدنيا وكثرت اموالهم واتسعت فيها احوالهم وبذلك وصفهم الله سبحانه
وهو المطلع على اسرارهم العالم بهم في سائر الطوارئ فقال عز من قائل في بيوت اذن الله
ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الاية فاخبر عنهم بانهم لا يلهيهم ما ذكر عن
طاعته فاثبتها لهم ونفى عنهم الشغل بها اشارة الى انه قد طهر اسرارهم وكمل انوارهم
فلم تاخذ الدنيا من قلوبهم ولم تحدث في وجه مع فتنتهم وزهدهم وكذا قال تعلى في حقهم
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا احوال العارفين والاولياء والكاملين
والاكابر قوي بعضهم سر قال لهم الى منتهى الجبروت في الناسوت وتعالى الكعب الجسم في الجبر
وت والقلب في الملكوت واما يخشى من اتساع الدنيا وبسطها على اهل البداية لعدم
تمكنهم ورسوخهم فيخشى عليهم ان تاخذ من قلوبهم وتقطعهم عن الوصول الى محلو
بهم ولذا ابتلى الحق سبحانه الصحابة بالفاقة في اول امرهم حتى اذا تكملت انوارهم
وتطهرت اسرارهم بذلك الدهم واباضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين
فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه واخرج ابن عساكر
عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال ليس بخيركم من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه
حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الاخرة ولا تكونوا كلا على الناس على
ان من الناس من لا تتم وجهته الى ربه ولا يجتمع قلبه على حبه الا بسعة الحال وكثرة
المال والفقر يشوش باله ويوجب اختلاله ففي بعض الاحاديث القدسية ان من عباد
المومنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر وان بسطت له افسده ذلك وان من عبادي المومنين
من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين من لا يصلح
ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين من لا يصلح ايمانه
الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امور عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير ذكره
ابن

63

ابن الجوزي في صفوة الصفوة وقد كان سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه يدعو اد
اللهم هب لي حمدا وهب لي مجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال اللهم انه لا يصلحني
القليل ولا اصلح عليه ذكره في الصفوة ايضا وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة
والافضال وسمت همته لدرك المعالي ابتغاء بذلك مرضاة الكبير المتعال كما عبر عنه
من قال ❁ اذا لم تطلبه كفك ❁ استغنى بها على فضاء خفوق للعلى قبلي
كما ان ايثار الفقر مذهب من غلب عليه حب الخمول والسلامة واثر بها الكثرة للحظ على تلك الكرا
مة كما قال القائل ❁ وقد قالت ملي اراك مجنبا امورا وفيها للتجارة مربح ❁
❁ فقلت لها مالي بربحك حاجة ونحن اناس بالسلامة نفرح ❁
والحاصل كما قال في الاحياء ان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر علام الغيوب
فرب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله
تعالى واما الدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يامر التاجر
بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا
الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا
الى الله عز وجل وعمدة الاشتغال بالله القلب هـ وقد ذكر في الاحياء ان زهد النبي
صلى الله عليه وسلم واعراضه عما عرض عليه من خزائنه وايثاره التقلل منها والاقتصار
على القدر الضروري من متاعها انما كان تنزلا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك
اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يعبر الرجل القوي بمريدي او لادهم من الحية لا
لضعفه عن اخذها ولا كن لعلمه انه لو اخذها لاخذها اولاده اذا راوه فهلكوا والتيسير
بيسير الضعفاء سيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هم في مقام الاقتداء والتشر
يع للكافة وعلى ذلك يحمل ايضا هروب من هرب منها من المشايخ الكاملين والائمة
الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى وفي طبقات ابن السبكي
في ترجمة ابن حبان بعد كلام تنبغي مراجعته وسمعت مرات كثيرة من الشيخ الوالد رحمه
الله وهو معتقد انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء
بل كان اغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه امر دنياه في نفسه وعياله ومعا
شه واحسبك ان الشيخ الامام رحمه الله اقام من مجلسه من قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم فقيرا وكاد يحكم بتكفيره ومنعه من الاتيان الا ان استتابه واستغفره وكان

رحمه الله يقول بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد به الاستكانة القلب
لا المسكنة التي هي ان يجد ما لا يقع موقعا من كفايته وكان يشدد التكبير على من يعتقد
ذلك والحق معه فان من جاءت اليه مفاتيح خزائن الارض وكان قادرا على
تناول الدنيا في كل لحظة كيف يوصف بالعدم ويجر الحجر على بطنه من الجوع ويعلل
ومن جوانب بيته لو شاء لكان بصفة الغني المطلق مع العلم بانه قد يعرض او تعطى
له عوائد الزمان فيصلح ويغير او كيف لا يسمى غنيا من خزائن الارض بالنسبة اليه
اقرب من الصندوق بالنسبة الى صاحب البيت وهي في يديه بحيث لا تتغير بل هو
اعلى عليها علاه صاحب الصندوق فما كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال
قط ولا مسكينا مع كان اعظم الناس جلالا في الدين وخضوعا له واشدهم في اظهار
الافتقار اليه والتمسكن بين يديه انتهى «شمس فضل تحقق الظن فيه»
«انه الشمس فيه والضياء» اي هو شمس سماء العلوم والكمالات بل
هو هما اي هو مع الشمس والاشراق على الوجود والامداد لكل موجود كيف وكل فضل تحلى
به كامل انما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق اي ثبت
الظن اي انتقل الظن من الرجحان الى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع فيه اي في ذاته
وصفاته انه بالنسبة الى بقية الكمال في اشراقه ورفعته الشمس المشرقة على هذا العالم
في رفعته ولا يعلى فيها احد منهم وانه الضياء المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق
الامدادات فالجملة من قوله تحقق الظن الخ حالية موكدة لما قبلها وبين الشمس و
الضياء مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ وقد تقدم بيان هذا التقسيم وان
المشبه اعلى من المشبه به وارجع وكذا قال «وان اذا ما ضحى محى نوره الظل»
«وقد اثبته الظلال الضحاء» الفاء للتسببية اي فبسبب ان المشبه قد
يكون اعلى من المشبه به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه اذا ما ضحى اي مشى عقب طلوع
الشمس والمراد ما هو اعم لا كنه في هذا الوقت الضحى لقوة ضياء شمس الضحى محى
نوره الظل اي ظل ذاته الكريمة اي لا يكون له ظل كما يكون لغيره من كل قائم لان نوره
اصل كل نور والظل ظلمة وهي تضمحل مع وجود النور ويحتمل ان يكون معنى ضحى ظهر
ونوره ما جاء به ودعا اليه والظل كل ما نهى عنه من الكفر والضلال فقوله وقد اثبته
الظلال الظلاء الواو للحال والظلال جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس او ينسخها والضحى
بالمد والقصر ارتفاع الشمس والمد ضرورة ويصح ان يكون بالفتح والمد وهو ما بعد

الضحى

الضحى بغروب الزوال وخص الوقت المذكور لشدة ظهور الشمس فيه وانتشار الناس بالبيت
النهار من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ووجهه
القاضي في الشفاء بقوله لانه كان نورا اي لانه وان كان بشرا الاكرم بشريته ليست كبشرية
سائر البشر فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر فهو مع بشريته
نور ولذلك سمي نورا وقد قال ابن عباس رضي الله عنه لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس
قط الا غلب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوؤه ضوء السراج رواه
ابن الجوزي ووجه ايضا بعض العلماء التي هو مثال صورته عن الاستواء على الارض اجلالا له و
لان الظل الذي يقع من غيرها تطا بالاقدام والاماكن العزيزة وابتذال الظل ملزوم للابتذال وبالجملة
بالنسبة الى النور اذ هو حجاب له وهو صلى الله عليه وسلم النور المنير فلا يتصور منه ظلمة
وابتذال الشمس والقمر منه ظهورا وعمه نفعا اجلالا بشئ انه اذا الظل للشئ يمتنع ان
يكون له سائر الا الظهور فيما ذكره ذكر بعض العلماء ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان من
كتب هذه الامور العشرة الاتية ووضعها في بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على
النار خرقت وهي ما وقع لخلقه صلى الله عليه وسلم على الارض قط ما ظهر بوله على الارض قط
لم يقع عليه الذباب قط لم يحتلم قط لم يتثاوب قط لم تهرب منه دابة ركبها قط ولم
يتفوه تنام عينه ولا ينام قلبه يبصر من ورائه كما يبصر من امامه كان اذا جلس يبين
فوق كل من معه كتفاه اعلا منهم «وكان الغمامة استودعته»
«من اظلت من ظله الدوحاء» لما ذكر ان نوره صلى الله عليه وسلم محى ظل الظل
ورد عليه ان الغمامة كانت تظلله فلم لم يمح نوره ظلها فاجاب بقوله فبسبب محو نوره
الظل الحسي صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوي الاعظم على جميع اتباعه حتى كان
الغمامة لما ظللته قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته بانها
استودعته الامة بان صيرتها الا كنى الحقيقية بلا واسطة وهم الدوحاء ومن بعدهم بواسطة
استمداد الاولين من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل الذي بواسطته نعم الذين
الخلق بعد ظله الاعظم الدوحاء جمع داوح كعلماء جمع عالم وهم الجيوش سموا بذلك لانهم
يدخون نحو الغزو اي يسيرون اليه لوقعهم واستيطانه وحاصل الجواب ان ذلك التظليل
الذي كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم
بما سيؤول اليه امره من ان الله سيجعل له امة اكثر الامم وانهم قرون متعاقبة وان كل
قرن يستمد من الذي قبله وان الكل مستمدون ومعدودون من ظله المعنوي في جميع الامة

وهو

اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم

المذكور هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل لما ذكر هنا اتصل ما في العنع
ولا يخلو من تكلف الجملة البه ارادة الارتباط بين هذا البيت والذي قبله باعتبار المعنى
الثاني وهو غير لازم والصواب ان يقال انه اشار الى ذكر حكمة تظليل الغمامة له
وانه لا ينافي محو الظل لان المراد به ما في الارض لا ظل السماء فيكون الناظم رحمه الله اشار
هنا الى ان الغمامة لا تظلله بظلها الحسي فكانها استودعت عنه بسبب ذلك امته
ليظلها بظله المعنوي حرمة منها له صلى الله عليه وسلم لما تعلم من محبته في امته كما
تعلم لتقول بلسان حالها هذا الظل حرمة مني اليك وان كنت لا حاجة لك به لا غنى ما
قصدت به ان تكون لي به يد عندك وانت اكرم من جازى وتلك المجازات جعلتها لامتك
ويظهر من هذا البيت كان الغمامة استودعت النبي صلى الله عليه وسلم جميع امته الذين المنتفع
من اجل ظلها له صلى الله عليه وسلم فكان الظل الاصل كان لا تمنع لغمامة بوعنه وفي الربعاء
وذكر الشهاب الخفاجي في رحلته عن بعض الشيوخ انه غلط الشراح في هذا البيت
رواية ودراية قال وانما هو هكذا . فكان الغمامة استودعته .
من اظلت من ظله الدفعاء . فاستودعته والظلة مبنيان للمفعول ومن
فيهما الجيم واعجام الذال والدفعاء بدال مهملة مفتوحة وفاء وعين مهملة والمراد بها
الارض وترابها والمعنى ان الغمام انما اظلته لئلا يمس ظله الارض فلذا اخذه ودبعة عنده
ليصونه من مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وفي قوله من الظلت
اي معنيان احدهما من مس ظله التراب والاخر من طرف الارض كلها في جانبهم لانه ظل الله
عليها امامه وفرط الوامن جملة تكف هذا التظليل حرمة الامور العلوية له وانه صاحب
الملك الحقيقي الذي لا يحتاج الى تكلف كسائر الملوك وفيه التشبيه على انه ذو الملك التام
التام والعزة البالغة وان شمسيته احصر واجلى واكمل وابهر واعظم من الشمس المحجوب
عنها لان النور يكون للشيء اعظم من ذلك الشيء فكان فيه عنها حجب حقيقة لا حجب منع
من اشراق نوره وفيضان فضله وايضا فان الشمس انما تمنع التمكن من التامل فيها لمن
انقضت عليه فظل ليتم التمكن من التامل فيه فكان التظليل عين الجلاء وايضا ليتمحض
النور له ولا يشاركه فيه شيء وايضا جماله صلى الله عليه وسلم من جمال الشمس اجل وجلاله من
جلالها اجل ونوره من نورها انور وبهاؤه من بهائها ابهى وابهر فتجلت منه حين طلوع
طلعته وبروز سناء رفعته فاختفت عن موضعها ولم تستطع ان تلقاه وذلك مقتضى
استحياء الاصاغر من الاكابر والخوارم من السادات الم تر ان الوزير يكون في حضرة الملك

واحكامه المتطاولة فاذا اشرق عليه الامير اختفى ذلك وقطعه وازال ثوب التقدم و
نزع احلال ومعاليه والحيا وادا بالولاة التلميذ يكون في تغريد انه المحققة وتحريراته
المروقة فاذا اشرق عليه المعلم فعن التعليم بين يديه وعوض امر التعبير والتحرير اليه
رحم الله القائل . اعضل الخلق واحسن الناس خلقا . زانه الله ما اشد احتشامه .
ان جلا في المجلس هلالا جبينه . وعن الوجه ان اماط لثامه .
اخجل الشمس في الضحى واعاد . البدر في الليل نوره وتمامه . ولسيدي
عبد الرحمن البركة رحمه الله . نبي ما رآه الشمس الا . وكفت عن محاسنه حياء .
خفيت عنده الفضائل وانجابت . به عن عقولنا الاهواء .
امع الصبح للنجوم تجلٍ . ام مع الشمس للظلام بقاء .
اي اذا تقرر انه كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل علم انه قد خفيت عنده اي في
جنبه ما اوتيه الفضلاء الذي اوتيها غيره من الانبياء والملائكة والبشر وانه قد انجابت اي انكشفت
به اي بسبب ما بيضه لنا من علومه وادبه واخلاقه عن عقولنا معشر امة الاجابة الا
هواء اي الضلالات والغوايات فلم تقع في ورطة نقه وضعها كما وقع فيها من اعرض عن
الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الاهواء بما ابداه
الاستفهام الانكاري فقال على طريق اللف والنشر المرتب اي يوجد مع الصبح للنجوم
تجل او يوجد مع الشمس للظلام بقاء اي انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق
وغيره من اصحاب الكمال كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك
نظائره الكمال وانما كشفت عن عقولنا الاهواء لانه كالشمس والاهوية والغوايات
كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق
الشمس من غير حائل بينها وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس وا
الظلام تخصيص التقابل وفي البيت الكلام الجامع . **معجز القول والفعال كريم .**
الخلق والخلق مقسط معطاء . اي هو صلى الله عليه وسلم معجز القول لان
الله تعالى انعم عليه بجوامع الكلم مع كونه افصح اهل الفصاحة وفي العرب ومن ثم فقيل
ان كلامه معجز كالقرآن والاكثر على خلافه وهو معجز الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد
فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي اوجد فيه ذلك الفعل
غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث الحضرة الالهية التي لا يدخل احد
الفعال الا باذنه وتقدم بعض كرم خلقه وخلقه وتسلية بعض اخرى منها وبين القول

والجمال والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف في الثناء والمفهمة العادل
في احكامه وافعاله واقواله فلا يخلو عنه شيء وقفت الا على غاية العدل ظاهرا وباطنا
بانتعلق كل من راه وعلم احواله حتى اعداؤه ولهذا كانوا يسمونه الامين والمامون
وفي ان رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال له ويلك ومن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاكما
حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ احدا بقول
احد ولا يصدق احدا في احد واشار بقوله معطاء وهو مفعال من العطاء الى كثرة
عطاياه صلى الله عليه وسلم وجوده وسخائه وفي الصحيحين من حديث انس كان صلى
الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس قال في المواهب والاجود
افعل تفضيل من الجود وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو اسخى الناس لما
كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله احسن الا
فعال وشكله املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك ان يكون اجود و
كيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وفي مسلم عن انس ما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فر
جع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وعنده
ايضا عن صفوان بن امية قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه
لمن ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب
اعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان يومئذ واديا مملوءا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد
ما طابت بهذا الا نفس نبي واخرج ابن عدي من حديث انس مرفوعا انا
اجود بني ادم فكان جوده صلى الله عليه وسلم بجميع انواع الجود من بذل العلم و
المال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق
من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل اثقالهم وروى البخاري
من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قط عن شيء فقال لا اي ما طلب
منه شيء من امر الدنيا فمنعه اي لا ينطق بالرد وانما يعطي او يسكت وقد يقول لا على
جهة الاعتذار وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير
ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ما عندي شيء

ولا كثر ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخش
من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت وروي انه في يوم حنين اعطى عطاء كثيرا حتى قوم ما اعطى ذلك
اليوم فكان خمسمائة الف الف وفي البخاري من حديث انس انه اتي بمال من البحرين
فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد
فلم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه اذ جاء
العباس فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه
ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه
انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع ففعل ذلك ثلاث مرات ثم احتمله
فالقاه على كاهله فانطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى
خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه الصلاة والسلام وثم درهم منها وفي رواية
ابن ابي شيبة كان مائة الف وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة
ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين
بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع
وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفي ابتغاء مرضاته ويؤثر على نفسه واولا
ده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك ويعيش في نفسه عيش الفقراء فياتي عليه الشهر
والشهران لا يوقد في بيته نار على جهة الاختيار

لا تقس بالنبي في الفضل خلقا ... فهو البحر والانام اضاء

اي وكيف لا يكون كذلك فقال اقيس
الشيء بغيره اذا قدرته على مثاله اي لا تقسه بالنبي في الفضل الجامع اي اعظم خلقا
من نبي او ملك اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصاف كماله
فهو لا غيره البحر الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال والانام اي الخلق بالنسبة
اليه اضاء اي الكسر والمرجع اضاءة كغفلة وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير
وفيه مراعاة النظير

كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

اي وكيف لا يكون كذلك وهو كل فضل وخير في العالمين اي الانس والملائكة والجن فهو
كائن من فضل ذلك النبي الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
في حال كون ذلك الفضل استعاره الفضلاء اي اكتسبوه من فضله لانه الممد لهم اذ هو المتلقي

عن الحضرة الالاهية والمستمد منها بالواسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا ينال منها لكامل شيء الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فكل ايات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فنوره صلى الله عليه وسلم نطوق كل زكي وحسن كل حسن وعقل كل عاقل وكرم كل كريم وعلم كل عالم الى غير ذلك من انواع الفضائل ابن حجر والمواهب فقد اجاد واجاد وتذكر قول الناظم

وعلى اي آي الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها يظهرن انوارها للناس في الظلم

شق عن قلبه وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء

يوجد بعض النسخ عن صدره وهو صحيحة ايضا لانه شق عن صدره اولا ثم عن قلبه المرة بعد المرة اربع مرات ما الغرض في التطهير والتخليص من الاغيار عن الاشتغال في الاطوار وشق له اي لاجله صلى الله عليه وسلم البدر اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما سألوه كفار مكة وبالغوا في عناده وطلبوا منه اية ببريها النعم نزل على صرفه وهي ان ينشق لهم القمر نصفين فقال اربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرءان وتواترت به الاحاديث ولفظ البخاري عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وهو من اعظم معجزاته لا يكاد يعدلها شيء من ايات الانبياء الظاهرة في ملكوت السموات خارجا عن جملة الطباع لما في هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع احد في الوصول اليه بحيلة واختلفوا على تعدده لا ومن قال بعدم التعدد اول رواية انشق مرتين بفلقتين كما في رواية اخرى وتنازعوا من كان بمكة وغيرها وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى اخرج قلبه ثم وشهر مجوزي عليه ذلك اذ من شرط كل شرط ولو في البدن الغرض مقصود ان يكون له جزاء اي من علامة كل شرط يقع في البدن جزاء من برء ونحوه فانه لما روع صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة بما حصل له من الخوف جوزي على ذلك بجبر عظيم متشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو اشهر معجزاته وانتفع في ايانه وفي كلامه اولا وثانيا الجناس التام ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وكذا قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وقوله تعالى يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب اي بما كتبت ايديهم بما يحدثونه من التورية والانجيل وما هو من جنس كتاب الله تعالى انظر ابن حجر فله كلام بديع فيما يرجع لعلم البديع

ورمى بالحصا فاقصد جيشا ما العصا عنده وما الالقاء

اي ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا انه في غزوة حنين وغزوة بدر ورمى الاعداء بالحصا فاقصد اي اصاب فاهلك جيشا عظيما كانوا انكبوا عليه وما استفهام انكاري اي ما العصا التي القاها موسى على حبال السحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده اي الحصى المرمي اي في جنبه وما الالقاء على تلك الحبال والعصي الذي فعله سحرة فرعون اي لا تقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم في الالقاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه السلام في القاء عصاه لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر وابهر اذ القاء موسى لعصاه حاكى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا ليس كذلك وو صول تلك الحصيات القليلة التي جمع ذلك الجيش الذي هو الوف مؤلفة حتى هزمهم الله عن اخرهم وتفتت شملهم ابهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها تلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا فتتت شملهم بل زادوا بعد ذلك طغيانا وعتوا على موسى وقومه وانشاء الناظم بالبيت الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وذلك انه لما التقى الجمعان تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم وكذلك لما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله قط ومع النبي صلى الله عليه وسلم وامر صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور الذي يخبز فيه اي اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلا الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة تنبيه قال ابن حجر اكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعدم بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تبعا وفي معناه قولان

غير منقضا فيميز اذ يرجع حاصلها الى ان المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراضهم
اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح ولم يبق منها
بعد الامر حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيامة لا يمر
عصر الا ويظهر فيه شيء اخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لا حلها اكثر اذ ما يدرك
بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول

» دهشتم بوعد الانام اذ ...
» نسبة من عولها اشتغلت بالغيث سبع اللام
» عليهم سحابة وكمعا ... شتوى مواضع الرعي والسقي
» وحيث العطاش توهم البيت ... اذ اتى الناس يشتكون اذ ...
» ورخا يوذي الانام غلاء فدعوا فانجلى الغمام فقل في
» وصف غيث اقلاع استسقاء

اي ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه دعى
للانام اي اهل المدينة ومن حولهم وقت ان دهمتهم بكسر الهاء اي غشيتهم سنة شهباء
اي لا خضرة فيها ولا مطر من اجل ما حولها اي بشدة جدبها وقحطها والسنة العام جدبة
وشهباء تاكيد وسبب دعائه صلى الله عليه وسلم ما في الصحيح
ان الناس اصابتهم سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اعرابي وهو صلى الله عليه
وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع صلى الله
عليه وسلم يديه وليس في السماء قزعة سحاب فما وضعهما حتى ثار السحاب امثال الجبال
ثم لم ينزل حتى اصابهم مطر واستمر الى الجمعة الثانية فقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يا
رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا
زاد في رواية اللهم على الآكام والاجام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر والآجام
بفتح الهمزة وكسرها الشجر الملتف والآكام كذلك الربوة من الارض والظراب بكسر
الظاء الجبال الصغار فاقلعت السحاب وخرجوا يمشون في الشمس وسال الوادي شهرا
ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود اي بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فلما اظل
الناس فبسبب دعائه استقلت بالغيث اي صب المطر بشدة سبعة ايام كوامل بالغاء
الكسر عليهم سحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة حملها الماء حال كونها تتحرى اي
تقصد تلك السحابة بطابها والاسناد مجاز او المراد الملائكة الموكلون بها مواضع
الرعي اي الكلاء التي يرعى ومواضع شرب البهائم فقط بقرينة قرنه مع الكلاء ثم
عمم فقال وتتحرى ايضا حيث العطاش اي مواضعهم التي يوجهون بالبناء للمفعول اي يجرون

السقاء وهي القربة منه فيها اي ان تلك السحابة عمت جميع تلك الاماكن بمائها حتى
انها تتحرى الامكنة المعطشة التي تشترى السقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران
للشراب منها والانسب تأخير هذا البيت عن البيتين بعده ولما استمرت عليهم تلك
السحابة اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم في الوقت المذكور يشتكون اذى تلك السحابة اي
الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعايش وتخريبه البيوت وفي ذكر الناس مجاز
وكانه تكلم بلسانهم لاشتراكهم في ذلك ورخاء اي سعة من المطر يؤذي الانام غلاء اي
شدة عظيمة فبسبب ان هذا الرخاء الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضرره
هو اهلاكها دعوا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم فانجلى الغمام اي زال السحاب عقب
دعائه وخرجوا يمشون في الشمس واذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه الواقعة ما شئت من
الكلام الدال على التعجب في وصف غيث اقلاع اي انكشافه استسقاء اي وان استسقاء على
خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه تنبيه
ما تقدم من ان الناظم اشار الى القضية التي وقعت بالمدينة هو الظاهر وقد ذكرها البخاري
في مواضع عديدة من صحيحه ويحتمل ان يكون اشار الى ما في البخاري ايضا عن ابن مسعود
ان قريشا ابطأوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى
هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم
وان قومك قد هلكوا فادع الله وفي رواية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث
واطبقت عليهم سبعا وشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة
عن راسه فسقوا الناس حولهم اه وفي البخاري ايضا ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا
استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا
نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون اه

» ثم اثرى الثرى فقرت عيون ... اشرى
» فيرى الارض عنه كسماء ... ...
» اشرقت من نجومها الظلماء ... تخجل الدر واليواقيت من نوار
» ...ها البيضاء والحمراء

اي ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة
ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم اثرى الثرى من اثرى الرجل اذا كثر ماله اي اكثرت الارض
وعلا نباتها وتبخترت كثرت فوائده باتيانه الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال فبسبب
هذه الكثرة قرت اي فرحت واطمانت عيون بحصاده فرايتها في العيون والمدينة جمع قرية
بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها واحييت بعدما حصل للناس الجدب والشدة ما صيرها

كالموتى من احياه الله تعالى والاكثر الادغام والاحياء جمع حي اي قبايل العرب وفيه
تخيير الاشتقاق في ثلاثة فتحرى انه لو شاهدت تلك الواقعة الارض عقبه اي عقب ذلك
الغيث المتولد عنه ما بدى من الازهار من النبات والازهار كسماء حال ان كانت الرؤية
بصرية او مفعول ثان ان كانت علمية اشرقت الكلا من اجل نجومها اي زالت عنها او
المراد تنبهت كلمتها لا شتراك من نجومها او وجه القسم زوال الكلمة الحقيقية في الهاء
باشراق نجومها والمجازية في الارض بعود الجدب وسعة الخصب فلما تراءى لها ايضا
تخيل بشم الشاء من اخيله اذا احدقه وحيوه في القاموس خيل كعنق السنجيمي
ودحفر وبغي هنا كيتلا لا يتكلم ولا يتحرك والدر اللؤلؤ وهو مفعول مقدم والبوا
قيت جمع ياقوتة معطوف عليه وهو جوهر معروف فارسي معرب اجوده الاحمر الرماني
واسناد الخيل اليها مجاز والمراد اضمحلال حسنها بالنسبة الى تلك الازهار و
عدم قوتها على مقاومة حسن تلك الانوار لان النبات يبطل بفقده الانتعاش ويكفي
مؤونة المعاش او هو على حذف مضاف اي اهلها بمعنى ان من بايديهم تلك الجوا
هر يستاء لهم منها البيا ونهارا لا يملكون انفسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة و
والاعشاب العجيبة والنور بفتح النون اي الزهر وهو بيان لما على الخيل والتراب فهم
الراء الجعال المرتفعة لان نباتها ابعد وابهر والبيضاء وما على الخيل وهو الجهال
والحمراء راجع للبواقيت اي قد عشر تلك الانوار المتنوعة الالوان التي هي نور زا
هالدر والبواقيت وعجيبة لعب ونشر مرتب ومراعاة النظير بذكر المعترضين والنقا
بل بذكر الطرفين وقد اكثر الشعراء من تشبيه نبات الارض بالذهب والفضة وغيرهما ويحكى
ان ابا نواس عفى الله له يقول — تاملي في نبات الارض وانظر الى اثار ما صنع المليك —
— عيون من لجين ناظرات — واحداق كما الذهب السبيك —
— على قضب الزبرجد شاهدات — بان الله ليس له شريك —
وقال اخر — ان هذا الربيع شيء عجيب — تضحك الارض من بكاء السماء —
— ذهب حيث ما ذهبنا ودر — حيث درنا وفضة في فضاء —
— ليتم خصني برؤية وجه — زال عن كل من راه الشفاء —
لما ذكر الناظم رحمه الله من معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يتشوق كل سامع لشيء
منها الرؤية وجهه الكريم لان من راه البصر كمن نصح تمنى ذلك فقال اليتيم اي النبي
صلى الله عليه وسلم خصني برؤية وجهه الكريم مناما او يقظة لان من راه مناما

مقدرة الحق لان الشيطان لا يتمثل به كما في الحديث الذي رواه البخاري عن انس رضي الله عنه
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راني في المنام فسيراني في
اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي وزاد مسلم فكانما راني في اليقظة والحق انه لا يشترط في حقيقة
رؤيته صلى الله عليه وسلم ان يرى على صورته التي كان عليها لا كثر اذا راه على غيرها كانت
الرؤية على ظاهرها لا تحتاج الى تفسير واذا راه على غيرها كان ذلك راجعا الى الرائي
لتخيله الصفة على غير ما هي عليه وتحتاج الى التعبير قاله المازري وعياض والقشيري
وبه جمع الحافظ ابن حجر بين القولين وقد افاد ان رؤيته شابا حلما تدل على سنة شديدة
وناقص بعض الاعضاء يدل على خلل في دين الرائي وزيادته تدل على ادخال في الدين ما ليس
منه قال الشيخ ابن ابي جمرة وهذا هو الحق وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه صلى الله
عليه وسلم حتى يتبين للرائي هل عنده خلل ام لا لانه صلى الله عليه وسلم نوراني مثل المرآة
فان المعقولة ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهي في ذاتها
على احسن حال لا نقص فيها ولا شين اه هذا والاظهر ان الناظم رحمه الله تمنى ان يرى
النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة في دار الدنيا وقد ذكر الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم
يشاهدون في يقظتهم الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد
ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق نطاق النطق عنها اه
فبها وقد تواترت الاخبار عن الاولياء بذلك وقد حكي عن مولانا ابي الحسن الشاذلي انه قال لو حجب
عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وفي ذلك ايماء تلميذه
ابي العباس المرسي والناظم تلميذه فيغلب على الظن انه نال هذه الرؤية الخاصة ولا يخفى
ان هذه الرؤية كان شرطها الوقوع في الحياة المتعارفة والبقاء في قوله رؤية باء الاختصاص
والغالب دخولها على المقصور كما هنا الا كن على معنى ليتني خصني من جملة من خص
بالرؤية وقصرت عليه فمتعلق الاخراج في ملك من خصه كم العناية فصار من جملة من
الحصر بالرؤية التي هو منتهى كل نهاية ولذا قال زال اي تحول وذهب عن كل من راه المعوضات
جميع انواع الشفاء ومعنى الاختصاص راجع الى ما تشعره تلك الرؤية من العوارف واه
المعارف والامدادات ولا يبعد في ان يختص بشيء الى جبل لغيره لان الجانب رفيع والعطاء منيع
ويحتمل ان يكون من خول الباء مقصورا عليه والمقصور في ليتني خصني مقصورا على الرؤية
بحيث تستغرقني مشاهدته ولا تغيب عني طلعته وهذا انسب بالمعنى الذي قصد الناظم
انه قصره والخصوص ذلك كله ان يكون معناه ليتني جعلني من اهل الخصوصية بسبب رؤية

وبعد القبر الشريف فإن أكثر من الأسباب المعينة على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كثرة التعبد
إليه كما هو ابتغاء التقوى في حبه الوفير ودوام ذكره الشريف ومعاجزه ومعجزاته وخصائصه
وكثرة الصلاة والسلام عليه سرا وجهرا خالصا مخلصا وقد ذكر العلماء في
العجز المسيرات من صلى بهذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة رأى النبي
صلى الله عليه وسلم في منامه وهي اللهم صل على روح سيدنا محمد في الأرواح اللهم صل على جسد سيدنا
محمد في الأجساد اللهم صل على قبر سيدنا محمد في القبور وذكر اليافعي أن من قام ليلة
الخميس نصف الليل أو نحوها وصلى ثلاث عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة وسورة
أرأيت الذي يكذب بالدين عشر مرات ويستغفر الله بين كل ركعتين ثلاثين مرة ويصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فإنه ما دعا الله بشيء في عقب ذلك إلا استجيب له وقال أبو بكر
ابن العربي في قانون التأويل ذهب الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس وتزكية
القلب وقطع العلائق وحسم أسباب مواد الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والإقبال
على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم
واطلع على أرواح الأنبياء وسمع كلامهم ومن المعلوم أن الأنبياء بعد ما قبضوا
ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم وقد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج جماعة
منهم وأخبر أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل
لحوم الأنبياء وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء وأنه صلى الله عليه وسلم حي بجسده
وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان
عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم
أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو
عليها ولا مانع من ذلك ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال وقد ضبط بعضهم كيف
يراه الراؤون المتعددون في أقطار الأرض وانتشار كالشمس في أفق السماء وضوءها
يقطع البلاد مشارقا ومغاربا وقد رأى جماعة من الأولياء أنهم رأوا
النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فمن ذلك ما ذكروه عن الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا
الله به أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الظهر فقال لي يا بني لم لا تتكلم
فقلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا
وقال تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي فرأيت عليا قائما بإزائي في المجلس
فقال

ثم لا تتكلم
فقال لي يا بني لم لا تتكلم فقلت يا أبتاه قد ارتج علي فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا
فقلت لم لا تكملها سبعا فقال أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عني فقلت
غواص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادى
عليها سمسار ترجمان اللسان فتشترى بنفائس حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع وورد
أن بعض العارفين رأى النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه أن يقول اللهم إن حسناتي من عطائك و
سيئاتي من قضائك فجد بما أنعمت على ما قضيت وامح ذلك بذلك جل أن تطاع الإبادة نكرا أو
تعصى الإبعاد اللهم ما عليك حين عصيتك استغنوا بعفوك والاستعانة بعزائك لا الكل لها
بقية سببها عليك والتوبة إليك والمغفرة لربك وقد شاع عن بعض أهل الورع أنه لما حج ثم
وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد
في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها
ورآها كل من حضر هناك وقال شيخ شيوخنا الزكي رحمه الله في همزيته
نظرة منه تجذب القلب والرو
ح فيشفو لأمره الأعضاء
نظرة منه تكشف النور والغيب
وفيها السرور والإسراء
مسفر يلتقي الكتيبة بسام إذا أسهم الوجوه اللقاء
هذه صفة ثانية لوجهه أي مشرق نوره الذي يكاد يخطف الأبصار يلتقي ذلك الوجه أيضا
الكتيبة أي الجيش من تكتب أي اجتمع حال كونه بساما أي متبسما يفترّ عن مثل حب
البرد أو حب الغمام أن تبسم يلمع النور من فيه أو افتر تنجلي الظلماء
وذلك إذا أسهم الوجوه اللقاء من شدته وحيلته إذا احمر وتغير أي غير اللقاء
للعدو الوجوه فإن وجهه صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة التي تتغير فيها الوجوه
وتضطرب يزداد نورا وإشراقا وابتساما لما رزقه الله تعالى من عظيم الشجاعة
المطلقة لغاية الطمأنينة والثبات والسكينة لعلمه بأن الله تعالى ناصره وحافظه
وقوة يقينه بمولاه وشجاعته صلى الله عليه وسلم وثباته في المواطن الهائلة
أمر معروف مشهور وفي كتب السير بعضه مسطور
جعلت مسجده الأرض فاعترى بها الصلاة فيها حراء
الضمير له للوجه المكرم وأمته تبع له والمسجد موضع السجود والأرض للعموم أي
جميعها صالح للسجود فيه مباح له أو المسجد على بابه مجاز لأنه لما جازت الصلاة

في جزء منها صار جميعها كأنه مسجد وفي البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة اهـ وفي حديث آخر وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم وقيل أن الصلاة لم تكن تباح لهم إلا في موضع يتيقنون طهارته وخصت هذه الأمة بأنها تصلي في كل الأرض إلا ما يتيقنون نجاسته والأول أولى فتبصر هذا الجبل المذكور اهتز لأبي بكر وعمر وأصحابه صلى الله عليه وسلم لأجل الصلاة في الأرض الجبل الذي اهتز فيه أنه برثبير الأرض إذ تحرك وهو حراء يمد ويقصر ويذكر ويؤنث ويذكر باعتبار البقعة والمكان فيمنع من الصرف ويصرف وهو جبل يقرب مكة على يسار الخارج منها إلى منى كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوءة واقتصار الناظم على أنه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال عليه الصلاة والسلام اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ورواه البخاري في أحد بلفظ أنه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله الشريفة وقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل بقبالة حراء وكان معه عليه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض أي في أسفله فركضه برجله وقال اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان وهذا محمول على تعدد القصة بدليل اختلاف المحال والحال فيه وفي قول الناظم اهتز إشارة إلى أن اهتزازه للفرح والطرب لا للسخط والغضب وذلك كأن الله تعالى خلق في الجمادات إدراكا أدركت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما حل على تلك الجبال حصل لها من ذلك الحال ما أوجب تحركها اهتزازا ثم ذكر لها النبي صلى الله عليه وسلم قرار المقام بمقتضى الفرح مع ملازمة الأدب ويحتمل أن يكون تحركها رعبة وجلالا فيعطيان من حل عليها بقلب في جانبه مخافة هذه ما ينتج حاله من غاية الأدب ولا ينافي الفرح والطرب والأولى هو الجمع بالوجهين والله أعلم

«فكيف ضحية الجيش على النزع» «كما اقشعر الجلال الذي أراد» فكيف ذلك الوجه الشريف شجة أي جرح الجبين وهو المنفرد عن الجبهة فوق الصدغ والمراد هنا الجبهة فهو مجاز

وقيل المراد جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا لأن عيسى صلى الله عليه وسلم كان يسيح فيها ويصلي حيث أدركته الصلاة

قوله والأول أولى وهو أنها لم تبح لمن قبلنا إلا في أماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم وبوالحكم رواية لم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ويتعلق بهذا الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة حيث ما ذكره فيها الدلالة هذا على خلافه وبعض قصته فيه لانتباه في خصوصية لأنها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم واختصه بخلاف عيسى

قوله لا للسخط والغضب نقله شارح البخاري في أحد فقال قيل الحكمة في ذلك أنه لما أرجف أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبال بقوم موسى لما حرفوا الكلم وأن تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوءة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك واستقر اهـ وقوله اثبت الخ يقتضي أن تحركه غير السرور وفي قوله وهي من الأحاديث الصحيحة التي منها أحد جبل يحبنا ونحبه أن أحدا ودع على أنه صلى الله عليه وسلم ومحبة له وميلا إليه فإذا اهتز لذلك دل على نوع تعظيم ومناسب أن يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وأن يذكره مقام النبوءة والصديقية والشهادة لأن كلا منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك والاهتزاز والأدب

مجاز المجاورة وعلى التسمية أي فيه أو معه وما يقربه والمراد أو العيلة أو يوم من العشر أو في آخرها أو في آخره واقتصار الناظم على ما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقد روى الطبراني وغيره أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشج وجهه وكسرت رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله أي صغرك وأذلك فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن النحاس عن حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون وعن ابن عائذ عن الأوزاعي بلغنا أنه لما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيئا فجعل ينشف دمه وقال لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها وراجع المواهب وغيرها من كتب السير تطلع على تمام الخبر واقتصاره بقوله كيف اكتسى الخ الوان وجهه الكريم الظاهر إشارة لتلك الشجة مع بروزها ظهورا وإنما عبر فيه أدنى تغيير بل فيه غاية الكمال والجمال لظهور الجلال المراد استجلاله لكثير كالرواة والراوين عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وحكم الصبر عليها فيقتدوا به في ذلك وليعلموا أن تلك الشجة لم تنقصه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لأنها طارئة بعد البرء كالطلاء في وجهه الذي هو أحسن من الطلاء وكذا قال

«فستر الحسن منه بالحسن فاعجب» «لجمال له الجمال وقاء»

أي ستر ذلك الوجه الحسن الأصلي منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال أصلي له الجمال العارض وقاء وذلك لأن الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التي لم يعطها المخلوق في باطنه وظاهره فجعله كله نورا ولذا لم يكن له ظل وكان جلده سابرا لجماله الباطن فلما أزال الشجة ظهر من أنوار الباطنة ما يصير كالطلاء في جلده وصار حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فيها جمالان ظاهر وباطن وقاية لظاهره بها وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بعضهم بوضع ذلك ويشبهه فقال

«فهو كالزهر لاح من سجف الأكمام والعود شق عنه اللحاء»

قوله الحسن بالحسن وجمال الجمال في هذا الكلام من الجناس التام المستوفي تاما أو ناقصا على ما في الشرح عن تعلمه البيت وأما جزم الشارح بأنه من ذلك مع اختلاف موضعه باعتباره الأصلي والعارض يحتمل تغاير لأنه من حيث الوضع فيحتمل ولو حصل تمام التجنيس بين اللفظين مع اتحاد الوضع واختلاف المراد فيه وأشهد الحديث قال نعم الناظر أن التمام أي التعبير بالتجنيس الخ نعم يمكن أن يقال فيه بتقدير اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة تميز إلا هنا اختلاف في الآيات وأن قرينة التغاير فيهما ظاهرة لتجمع التجنيس فلو عبر الشارح بالجنس أو نحوه لكان من الجزم بما كلاما ولا التصريح في دال بوضع

وهو اي ما الهجر المنجية من باطن بدنه الشريف في الزهراء بنور النبات اذا لاح اي ظهر من
الصبح بفتح الصاد وكسرها وسكون الجيم وفتحه ضرورة اي بسنى والاكمام جمع كم
بكسر الكاف غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو ايضا مثل العود
الذي يتطيب به اذا اشتعل عنه اللحاء هو قشرة الاعلى من عود الشجر العود اذا قشرته
فظاهر الجلد في اللحاء وباطنه في العود وفي هذا التشبيه ما يعلمك ان جمال باطنه وراء
جمال الظاهر ومن ثم قال **كادت تغشي العيون سنا منه لسر فيه حكته ذكاء**
واعل كاد يعود على ما ظهر من البحة او على وجهه الكريم وبخشي بالغين المعجمة
وبالمهملة اي يغطي العيون سنى اي الضياء ضوء عظيم خارج منه لسر عظيم حكته
اي شابهته في ذلك الباطن الذي لم يظهر ذكاء اي شمس اي شابهته الطلع وفي قوله كادت اشارة
الى ان هذا الامر وان افضى الى الحال الذي يقع ليتمكن الناس من الاخذ منه وينتفعوا بما يشاهدونه
منه **صانه الحسن والسكينة ان تظهر فيه اثار هاتيك البأساء**
لما تقرر ان من اسباب عدم تشبيه بتلك البحة ما اوتيه من الحسن الذي لم يوتيه غيره قال
صانه ذلك الحسن اي حفظه لو انفرد وحده وقد انضم اليه السكينة اي وقار الظاهر مع كمال
تمنعه الباطن عدم تركه بما يعتريه من العوذ بات التي لا يتمكن عنده غيره فصحت اصابة
ان تظهر فيه اثار هاتيك البأساء اي الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية
اللطافة وغاية الجمال كما من صلى الله عليه وسلم على غاية الجمال وغاية الكمال في حالتي الضراء
والسراء **وتخال الوجوه ان قابلته البسته الوانها الحرباء**
اي تظن انت الوجوه اذا قابلته اي عاينت وجهه الكريم فوقعت عليها انواره جواب ان
محذوف اي تخيلت من فرط جماله وتلونت بالوان مختلفة كما يشاهد ممن قوي خجله
حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون البسته الحرباء الوانها وهو دويبة تستقبل
الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة
فاذا شمت بشره ونداه اذهلتك الانوار والانواء
اي بسبب هذا الجمال الباهر اذا شمت اي نظرت من شام البرق اذا نظر الى سحابه اين
يتوجه بمائه والبشر بكسر الموحدة طلاقة الوجه والندا جوده العام في العام
اذا تطلعت الى مخايله بطرف منتظر الميراد ذهلتك اي اذهشتك ما كنت بصدده الانوار
اي انواره الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رؤيته وجوده والانواء جمع نوء واصله النجم
التي تضيف العرب المطر اليه فيقولون مطرنا بنجم كذا وهذا كناية عن فضائله وعوارفه
بنوء

وخيراته الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وامله وفيه لف ونشر مرتب
وجناس لاحق وتشابه الاطراف وهو ختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى
نحو قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الاية فان اللطيف يناسب لا تدركه الابصار
والخبير يناسب وهو يدرك الابصار **او بتقبيل راحة كان لله**
وبالله اخذها والعطاء اي او ليتنه خصني بتقبيل اي لثم راحة اي كف
كان اخذها بالله واعطاؤها لله اي لاجل ابتغاء وجهه دون غرض اخر وبسبب شهود
اعانته وقدرته لمراداته عن كل غرض دنيا في الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منه في شيء منذ
اوجد الله عليه خوارق جودة الامم شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى
تتقي بأسها الملوك وتحظى بالغنا من نوالها الفقراء
تتقي بفتح التاء اي تخاف وتحذر باسها اي شدة نكايتها في الحرب الملوك كقيصر وكسرى
والمقوقس الى ان قهرها الله بمجيئهم وكانت تحظى اي تفوز بالغناء الحسي والمعنوي
من بعض نوالها اي عطاياها العظيم الفقراء جمع فقير اي لانه كان اجود الناس فيعطي
عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله و
كان جوده كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته ببذل الاموال تارة للفقراء والمحتاجين وتارة
ينفقه في سبيل الله وتارة بالاعطاء من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه نظراؤه وفي البيت
تجنيس التقابل في ثلاثة مواضع **لا تسل سيل جوده انما يكفيك**
من وكف سحبه الانداء اي لا تسل اطلب بالهمزة ثم خفف والسيل الماء
الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف والجود بفتح الجيم المطر الغزير اي لا تسل هذا الامر
المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شيء لا يقدر احد من البشر قدره بل اسال الذي
يليق بك ان تسأل ما يكفيك وهو ما يصل اليك من وكف اي قطر سحب اي سحائب الفيض
جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو البلل اي بلل قطرها على ان بلل هذا القطر فيه
الغنى الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سبيل لغناه في الدارين ورضي الله عن
سيدي حسان اذ يقول **له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر**
له راحة لو ان معشار جوده على البر كان البر اندى من البحر
درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء
اي من اوطأ تلك الراحة العالية ايضا انها درت الشاة اي ارسلت لبنها الغزير حين
مرت عليها فبسبب ذلك صار لها بعد الفقر في الكلية اذ لم يكن فيها محل فله ثروة

معاذ انكم ستأتون ان شاء الله تعالى غدا عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن
جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي فسبق رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من
ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما
وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه
الصلاة والسلام به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء كثير ثم
قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا قد ملئ جنانا اي بساتين وعمرانا
وفي الموطأ فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق تنبيه قال النووي في اول كتاب
الفضائل من شرح مسلم وفي كيفية هذا النبع يعني في القسم الاول قولان حكاهما القاضي
عياض وغيره احدهما انه كان يخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وينبع من ذاتها
وهذا قول اكثر العلماء والثاني ان الله تعالى كثر الماء في ذاته فصار يفور من بين اصابعه
ثم قال الخطاب في شرح المختصر وعلى القول الاول جمعوا اشرف مياه الدنيا والآخرة ومن
اوصافها ايضا انه اثمر النخل في عام اي في سنة غرسه بعد ان يجيء من تلك الراحة الكريمة
لذلك النخل وذلك في قصة سلمان الفارسي وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
اتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه
على غرس ثلاثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبر صلى الله عليه
وسلم بذلك فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده
فاثمرت كلها في عامها وجيء النبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب من
بعض المعادن فاعطاها له فقال واين تقع هذه مما علي فقال خذها فان الله سيؤدي بها
عنك فاوزن لهم منها اربعين اوقية ومن اوصافها ايضا انها سبحت بها اي فيها الحصباء
اي الحصا واحدها حصبة كقصبة وارض حصبة كفرحة ومحصبة كثيرتها وحصبه رماه
بها وروى البزار والطبراني والترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر
وعثمان وعلي فقبض حصيات فسبحن في كفه الشريف حتى سمع لهن حس كحس النحل فناول
ابا بكر فسبحن في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك فاخذها الحاضر وعلم
يسبحن مع احد منهم قال العسقلاني ليس بحديث تسبيح الحصا الا طريق واحدة مع ضعفها
لكنه مشهور عند الناس نعم اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبي
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم مر فاتاه جبريل
بطبق فيه رطب وعنب فاكل منه فسبح ·· اغنيت المرملين من قوت جهد ··
·· اعوز القوم فيه زاد ومساء ·· اي من اوصافها العالية انها احيت المرملين

اي كثيرة العشب بعد ان يبست تلك الراحة الكريمة ونماء اي زيادة في تلك الكثرة و
هذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم حين خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة
ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن اريقط فمروا
بقديد قرب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا منها لحما او لبنا
يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة تخلفت
عن الغنم لشدة الجهد فسألها هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله ما ضربها
بفحل قط فقال صلى الله عليه وسلم اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم ان رأيت بها
حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت
ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا وشرب
هو آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى وتركه عندها راجع ما تقدم ··
·· نبع الماء اثمر النخل في عام بها سبحت بها الحصباء ··
اي ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا انه نبع الماء بها اي بسببها ولم يقل منها لعله
انه نبع تارة منها وتارة من غيرها ببركتها اما الاول فقال القرطبي قصة نبع الماء
من بين اصابعه الكريمة قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد
عظيمة ورويت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر
المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء
من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب الشافعي ان هذا ابلغ من نبع
الماء من الحجر بضرب موسى لان الحجر مألوف منه خروج الماء ولا كذلك اللحم فمن جملة
تلك المواطن ما في الصحيحين عن انس رأيت الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الماء
فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فنبع الماء من بين
اصابعه حتى توضأوا كلهم زاد البخاري وكانوا ثلاثمائة وفي رواية اخرى فقلنا لانس كم
كنتم قال كنا ثلاثمائة وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة
فجاء وه يشكون العطش فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فتوضأوا وشربوا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل قال جابر ولو
كنا مائة الف لكفانا وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظيره في غزوة تبوك
لما شكوا اليه العطش فطلب فضلة ماء فاتي بها فصبها في جفنة ثم وضع راحته فيها
فتخللت عيون بين اصابعه فرووا وابلهم وتزودوا واما الثاني ففي مسلم عن
معاذ

جمع من الأبطال المجاهدين الذين فقدوا زادهم حتى أشرفوا على الموت فمستهم مؤنة حتى
وصفوا بالحياة مجازا كما أن إسناد الإحياء إلى الراحة مجاز أيضا فهو استعارة تبعية وقوله
من موت جهرا أي من موت شديد الحلول عليه الموت لما كان سببا له والإضافة بيانية مبالغة
بالإرعاء أن ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت الحلول عليه اسمه وقوله أعوز القوم
أي أعجزهم وضمير فيه يعود على الجهد والزاد أي الأصل طعام المسافر وعبر به لغلبته عندهم
فصاروا كالمسافرين الذين فنى زادهم فأشرفوا على الهلاك

فتغذى بالصاع الأجياع وتروى بالصاع الظماء

أي فبسبب إحيائه لهم كثر الله الطعام كرامة ومعجزة له والماء القليل جدا حتى تغذى بالجمة
من الغذاء بكسر الغين والذال المعجمتين وهو ما به نماء الجسم وقوامه وبفتح الغين والدال
المهملة الأكل وقت الغداة وهو ما قبل الزوال وجياع جمع جائع من الجوع وهو ضد الشبع
والظماء جمع ظامئ أي عطشان وخروجهم في غزاة الخندق في قصة شاة جابر وذلك كما في
الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه رأى وجه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجنة أي غير
سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وأخبره وطلب أن يأتي بنفر معه فصاح صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق إن جابرا صنع سورا
فحيهلا بكم ثم أمره أن لا ينزل البرمة وأن لا يخبز العجين حتى يجيء فلما جاء بصق في العجين
وفي البرمة وبارك ثم أمرها أن تدعو خابزة تخبز معها وأن تغرف من برمتها ولا تنزلها
فأكلوا وهم ألف حتى تركوه وإن عجينهم وبرمتهم كما هما وفي الصحيحين أيضا عن أنس أن أم
سليم أرسلته مع أنس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أقراصا من شعير ملفوفة بخمار فلما رآه
النبي صلى الله عليه وسلم قال له أأرسلك أبو طلحة فقلت نعم قال بطعام فقلت نعم فقال لمن معه
قوموا فانطلق معهم أنس فأخبر أبا طلحة فقال يا أم سليم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سليم هلمي ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر
به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فأدمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء
الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال ائذن لعشرة و
هكذا فأكلوا وشربوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا فضلة
وروى مسلم أنه في غزوة تبوك جاعوا فسألوا عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو
بعض

بفضل أزوادهم ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة فجعلوا فاجتمع شيء يسير فدعا
صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فما في العسكر وعاء إلا ملؤوه
فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال عليه الصلاة والسلام أشهد أن لا إله إلا الله
وأني رسول الله وفي الصحيحين عن أنس أيضا أن أمه أرسلته إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحيسة من تمر وسمن وأقط في تور وهو عوض من زينب فأمره أن يدعو من لقي
فدعا من لقي فكانوا زهاء ثلاثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده في تلك الحيسة
وتكلم بما شاء الله تعالى ودعا عشرة عشرة فأكلوا حتى شبعوا قال أنس فما أدري حين
وضعت كان أكثر أم حين رفعت وعن سمرة بن جندب أنه تداولوا قصعة من غدوة
إلى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة فقيل له مما كانت تمد فقال ما كانت تمد إلا من
ها هنا وأشار إلى السماء رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححه

ووفى قدر بيضة من نضار ... دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما ... أينعت من نخيله الأقناء
أفلا تعذرون سلمان لما ... أن عرته من ذكره العرواء

ووفى بتخفيف الفاء وتشديدها أي أكمل قدر بيضة أي بيضة الدجاجة والنضار بضم النون هو
الذهب وسلمان هو الفارسي رضي الله تعالى عنه والوفاء الموعد فقوله البيضة أربعون أو
قية من ذهب في كل أوقية أربعون درهما كما تعلم فالدين عظيم والبيضة صغيرة لكن
ببركة مس النبي صلى الله عليه وسلم لها براحته الكريمة وفت الدين المذكور حين حان
أي قرب الوفاء أي حلول الأجل وبين قنى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر
وبين دين وحين وحان الجناس اللاحق وسبب ترتب هذا الدين على سلمان أنه كان يدعى
قنا أي رقيقا بالباطل فأعتق بأدائه أي بنجوم الكتابة لما أينعت أي حضرت الأقناء حال
كونها من نخيله التي كوتب عليها والأقناء جمع قنو وهو العرجون وملخص قصته كما
حكاه هو عن نفسه أنه من أصبهان واجتهد في المجوسية حتى صار قطن النار ثم رأى كنيسة
النصارى فأعجبوه فذكر ذلك لأبيه فعيره وقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم
وكان سألهم عن أصل دينهم فقالوا بالشام فأرسل إليهم إذا جاءكم أحد من الشام فأخبر
وني فجعلوا في رجله القيد وتوجه إليهم وسأل عن أعلمهم فدل عليه فخدمه إلى أن مات ثم
خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال بمن توصيني قال بفلان بالموصل فجاءه فأخبره وخدمه
فلما احتضر ذكر له ذلك فقال بفلان قال له بمن توصيني قال بفلان بنصيبين فجاءه فأخبره

وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال ايت بلاد الروم فلما احتضر قال له بمن توصيني فقال
يا بني ما اعلم احدا على ما كنا عليه امرك ان تاتيه وانه اظل زمان نبي وهو مبعوث بدين
ابراهيم يخرج من ارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بي نفر من كلب
فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم ما عندي فحملوه فلما وصلوا وادي القرى ظلموه
فباعوه من يهودي فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها فوالله
وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما انا في
نخل لسيدي اذ جاءه ابن عم فقال قاتل الله بني قيلة وهم الاوس والخزرج انهم الآن ليجتمعون
على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة شديدة حتى
ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدي ماذا قال فلكمني لكمة شديدة
وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسيت اخذت شيئا جمعته وذهبت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بقباء فقلت هذه صدقة فامر اصحابه فاكلوا ولم ياكل فجمعت شيئا آخر
واتيته به وهو بالمدينة فقلت هذه هدية فاكل واكل اصحابه ثم جئته وهو بالبقيع وقد
تبع جنازة فجعلت انظر الى ظهره فعرف انه يريد مني ما اشتهي فوضع رداءه عن ظهره
فرايت خاتم النبوة فقبلته ثم اسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب
[illegible] الراهنة والاربعين جملة الاحرار وفي صحيح البخاري عن سلمان انه تداوله
بضعة عشر من رب الى رب ولهذا قال ▸ لا تنكروا الكرة عن حلوته ▸
▸ ان العوافر لم تزل متباينة ▸ كم نعمة لا تستقل بشكرها ▸
▸ لله في طي المكاره كامنة ▸ وقوله افلا تعذرون سلمان اي انظلمون
سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يومن به فلا تعذرون سلمان
اي تروون له عذرا بمنعكم من ايذايه ومنعه وفي وضوح الدليل عندكم على نبوته لما في حين
عرته اي غشيته من اجل ذكره اي ذكر اليهودي لغربيه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع
الناس به [illegible] العرواء اي قوة الحمى ومصطلاها اول اخذها للانسان بالشدة والرعدة وبين
عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق تنبيه تعلم ان القصيد لسلمان هو من اصبهان
ولا تعلق له بفارس الا ان العرب كانوا يسمون ما تحت ملوك العجم كله فارسا وكان رضي
الله عنه من ابناء الامراء ومع ذلك لم يعدل عن نسبه قال انا سلمان ابن الاسلام وفي الحديث
ان الله ليرضى لرضى سلمان ويغضب لغضبه وان الجنة لتشتاق الى سلمان اشد شوقا

سلمان الى الجنة قد عاش مايتين وخمسين سنة وهو الاصح وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة
وكان عطاؤه خمسة الاف فيفرقها وياكل من كسب يده بعمل الخوص وهو كما في القاموس الخوص
بالضم ورق النخل والخواص بايعه ▸ وازالت بلمسها كل داء ▸
▸ اكبرته الطبة زوجها ▸ اي ومن اوصافه تلك الراحة انها ازالت
بلمسها المرض كل داء اكبرته اي استعظمته وعجزت عن برئه الطبة جمع طبيب وهو
العالم بعلم الطب الذي حفظ صحة الانسان بدفع ما حصل من المرض ومنع ما لم يحصل وفي سراء
جمع ر بفتح اي مفتوحة في الطب وفي بعض النسخ والاساء بكسر الهمزة جمع اس كراع ورعاء
هو الطبيب والنسخة الاولى اولى لمزية العبارة وروى الدارمي ان امراة جاءت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند غدائنا وعشائنا
فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وروى البخاري ان
سلمة اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها
حتى الساعة ▸ وعيون مرت بها وهي رمد ▸ فارتها ما لم تر الزرقاء ▸
اي ومن اوصافها ايضا انها عيون جمع عين اي باصرة مرت بها تلك الراحة الكريمة
وهي رمد جمع رمداء من الرمد بفتح الراء والميم وهو هيجان العين ووجعها فارتها اي ارت
تلك الراحة تلك العيون اي جعلتها ترى ما اي الشي البعيد الذي لم تره الزرقاء اي زرقاء اليمامة
التي كانت ترى مسيرة ثلاثة ايام وروى البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال
اين علي فقالوا يشتكي عينيه فارسلوا اليه فاتي به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه
ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ
دفع النبي صلى الله عليه وسلم الي الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه
وسلم راسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى
الساعة وروى ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه
وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان
يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان
▸ واعادت على قتادة عينا ▸ فهي حتى مماته النجلاء ▸
اي ردت على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهي الى مماته النجلاء اي الواسعة حسنا وعتقا
وذلك ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان راتني تقذرني فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم

بيسره وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت
لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فقال له عمر من انت
فقال: ابونا الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاول امرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد
فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية اصيبت عيناه يوم احد فسقطتا على
وجنتيه فاتى بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان
قال واخرج الطبراني وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه الكريمتان فقال اللهم ق قتا
دة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا قال ابن حجر والجمع
بين رواية الواحدة والاثنتين ان من ذكر الواحدة لم ينف الاخرى او لعل ان الساقطة واحدة فا
خبر بها علم وغيره علم انهما اثنتان وزيادة الثقة مقبولة قلت وهذا الجمع متعذر
لقوله فاجعلها احسن عينيه الخ فانه صريح في ان الاخرى كانت بسالمة فتأمله

او يلثم الترب من قدم لانت له * احجار من تقبيلها القدم

اي او ليمسه خفيفا في اليقظة او في النوم على ما مر بلثمه اي تقبيله التراب المنفصل من قدم موطوء
فيها وطء جليلة مشهورة انها كانت اذا مشت على حجر لانت لاجل الحياء من اجل مشي تلك القدم
الكريمة الصعود اي الحجارة الصلبة قال السيوطي في خصائصه ومما اورده رزين في خصائصه
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وطئ على الصخر اثر فيه وقال الشيخ يوسف الحنبلي تلميذ ابن القيم
في خصائصه صلى الله عليه وسلم واما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان المحنة الحد
يد معروفة بالنار وقد الان الله تعالى الحجارة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يجرد لين الحجارة
بالنار ولا بغيرها وهذا ابلغ ثم قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لان تحت
اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة انظر المواهب ولله در القائل

هو الذي اختاره الباري وقال له * بزارة ووفا رحبا بالحصا كبير
ان تنازع الرمل الذي تخطر له اثرا * وان على الصخر عاد الصخر كالطين

مواطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا * مضجعا فقد وطئا

موطئ بالجر بدل من التراب وجمع الموطئ والاخمص المراد به الجنس اي الاخمصين لانه صلى الله عليه
وسلم كان اخمص الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل والاخمص من القدمين الموضع

الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والمبالغ فيه ولابد من ذلك لاسم روى
البيهقي عن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وابن عساكر عن ابي امامة كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدميه
كلها لان المراد ان اخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر
لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون وان استوى او ارتفع جدا
فهو مذموم وقوله الذي منه للقلب الخ هو نعت للمضاف الذي هو موطئ ومنه صفة للمبتدا
الذي هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا وللقلب خبر المبتدا والمضجع موضع الاضطجاع
يقال ضجع كمنع ضجعا وضع جنبه بالارض كانضجع واضطجع والمضجع كمقعد موضع و
افضى بالفاء والضاد المعجمة اي صار فيه الفضاء بالكسر وتعني المكان الفضاء والفضض
محرك التراب يعلو الفراش وطاء اي فراش ومهاد ومع ذلك التراب الذي هو موطئ القدمين
الشريفتين بانه لو حصل مضجعا اصابه شيء منه تسري بسرة ذلك التراب الى قلبه فا
ناله واراحه من الاعتبار وصيره على اكمل الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والاهوال
كما ان الفراش شانه ذلك ويحتمل ان يكون معناه انه تمنى ان يكون موطئ قدمه الشريفة
محل رقود لقلبه وسبك البيت موطئ الاخمص الذي تمنى ان يكون للقلب وطاء منه اذا
مضجع اي رقد جنبه افضى اي اصابه الفضض وهو التراب وذلك حالة الوضع في القبر وهذا
اظهر والله اعلم ثم

حتى غدا يحجز الحرام بمغناها * ولم يبق حكمه البطحاء

يعني بالمسجد الحرام جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في الاية وفي
مواضع كثيرة كما عزي قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وضمير مغناها يعود
على تلك القدم الكريمة اي بمغناها فيه اي فضل حرم مكة بسبب مشي النبي صلى الله
عليه وسلم فيه مع تربيته ونشاته فيه وايلاده كثيرا اي بيت المقدس اي لم ينقص حظه من
مغناها فيه ونصيبه ونصيبه عن مع النسيان له حيث يحكى ليلة الاسراء بمغناها فيه
وصلاته بالانبياء كما في الصحيح ثم المستفاد من كلام الناظم ان مكة حصل لها الفضل
والحظوة بمشي النبي صلى الله عليه وسلم فيها وليس فيه ما يستفاد منه انها افضل
من المدينة ولا الحكم على انه على الحظوة بالمشي فالمراد عليه لان تعليق الحكم المناسب
مشعر بالعلية وقد وجد ذلك في المدينة مع فضائل اخر وكذا كان المشهور من مذهب مالك
ان المدينة افضل وقال ابن وهب وابن حبيب مكة افضل وهو مذهب الشافعي واهل
الكوفة ويدل للمشهور من مذهب مالك ما رواه الدارقطني والطبراني من حديث رافع بن خديج

المراد بهذا التخيير ممكنة نقله في الجامع الصغير والخلاف في غير موضع فيه صلى الله عليه وسلم لانه اذا
افضل من كل بقعة بالاجماع وتنضم الروضة لموضع القبر اذ لم يثبت لبقعة انها من الجنة بخصو
صها الا هي وفي البخاري ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة

"ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء"

وسرا او صاحبه ايضا انها ورمت من الورم الذي هو النفخ وقت رمي بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية
بتشبيه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام القدم في طاعة الله تعالى اوجب
زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمي السهم في طاعة الله تعالى يزيل صورة العدو وطغيته و
صولته فتشبيه القدم بالسهم في ذلك استعارة بالكناية مبنيا على التشبيه المكنى في
النفس واثبات الرمي لها استعارة تخييلية وقوله الى الله خبر مقدم وما بعده مبتدأ اي خوفه
صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى وهو اشد خوفا لقوله انا اعلمكم بالله واخوفكم منه ورجاؤه كامل
سعة امله فيما عنده لا الى غرض اخر لان الله تعالى عصمه من الميل الى غير الله طرفة عين وهو
دائم الشكوى في خطرات الشهود الاقدس والتخلي بمعاني الغفران الاتعمر واشار الناظم بهذا
الى ما في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا قال ابن بطال
في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله
عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم فضلا عمن لم يامن انه استحق
النار هو وقال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليلة على قدميه الكريمتين الا قليلا
فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه فانزل الله عليه طه اي طا الارض بكل قدميك
واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ويؤيد هذا التفسير
ما اشار اليه القرطبي حيث قال ظن من ساله في حديث الصحيحين عن سبب تحمله المشقة في العبادة
انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى
ذلك فافادهم ان هناك طريقا اخرى للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة
فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ولكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال
العلماء انما الزم الانبياء انفسهم شدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتداهم
بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله تعالى اعظم
من ان يقوم بها العباد وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى
امته كما ذكره الله تعالى في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اواخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات
الخمس

الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعي ولاكن اكثر الصحابة على انه لم ينسخ عنه
لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي عبادة زائدة على فرائضك وهذا مشهور
مذهب مالك ايضا ولاكن قال ابو عمر بن عبد البر لا اعرف وجه الوجوب وليس في الاية
دليل عليه ولو اريد في الاية معناها زيادة خاصة لك لان التطوع غيره يكفر ذنبه وهو
عمل غالب الصالح لكونه لا ذنب عليه فصار متطوعا انه صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات
والقرب واما حديث اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من
النار وما قرب اليها من قول او عمل فهو تعليم لامته ويحتمل ان يكون ورمت بفتح الراء من
الرمي وظلم الليل مفعول لها وخوفه والرجاء فاعل رمى والى الله متعلق بخوفه والرجاء على وجه
التنازع

"ودميت في الوغى لتكسب طيبا ما الذي قد من الدم الشهداء"

دميت اي خرج دمها في الوغى وهو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلا
ط الاصوات وهو المراد هنا وما بمعنى الذي ومن الدم بيان لها والشهداء فاعل الرائف
جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه
او بمعنى مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك اي من حكم خروج الدم من جسد الشهيد
منه ان يجود طيب ذلك الدم وبركته على دم جميع الشهداء حتى تكون رائحة دمهم
كريح المسك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هذا من اوصاف يده الكريمة لان النبي في الجبل انه
صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقد يحمل كلام الناظم على ما وقع له صلى الله عليه وسلم لما خرج الى ثقيف يدعوهم الى الاسلام
فامتنعوا وسلطوا عليه سفهاءهم فرموه بالحجارة الى ان دميت رجلاه وهذا حرب له
لغة وعرفا لانه كان بسبب ما لقيهم ويحتمل مشقة اذا تبعهم وهم كانوا يقابلونه بشدة الاذاية
والغلظة

"وهي قطب المحراب والحرب كم دارت عليها في طاعة ارحاء"

اي نعم هي كونه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه في الصلاة حتى تورمت او دميت في الحرب
انفلاح قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة
لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى منه لله ولا اشجع منه لنفسه بالله
فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتزلزل ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها
قبائل العرب الذين اكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء به والجهاد معه كما قال كم
دارت اي مرات كثيرة دارت عليها ارحاء جمع رحى اي قبائل العرب حال كونها في
طاعة الله وهذا تذييل وقطب الرحى الذي تدور عليه ويستعار لامير الجيش فقطب رحى

الحرف لانها اذا انتور عليه والتشعيب من ذلك انها امر كز دائرة الوجود فهو نقطة الكو
ن المعلوم لاجله ابتداء والمنصور فيه انتهاء «واذا لو لم يكن يهاقبل
حراء ماجت بكل السماء اماد» اي معموله الاول ضمير القمر ولو مع
شرطها وجوابها صرف مضمر المعمول الثاني وهي هنا دالة على امتناع جوابها وهو
الموج لامتناع شرطها وهو عدم التمكين بوجوده ويعول الى قوله لاكنه بمكثه
عليه يعني اي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يمكن بها اي بقدمه الشريفة قبل اي عند
ابتداء تحركه حراء مقرون معمول يمكن ماجت اي تحركت واضطربت به اي بالقمر او بطل
حيها وفي نسخة بها الرأماء بالدال المهملة البحر تشبه الجبل بالبحر لتحركه تشبيها
مضمرا في النفس ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ثم اتى بقوله
ماجت ترشيحا لمناسبته للبحر لان الماء هو الذي يموج والثانية في ماجت تكرار للجبل الرأماء
لانه مؤنث لفظا واعتبر الناظم فيما قاله من ان الذي سكنه بقدمه هو حراء مع ان الذي في
الصحيح احد ما اخرجه الامام احمد من حديث بريدة بلفظ حراء واسناده صحيح فقوى احتمال
تعدد القصة كما قاله الحافظ ابن حجر وتقدم ذلك ويحتمل ان المراد لو لم يمكن حراء من
تعبده فيه قبل النبوءة لاستمر تموجه واضطرابه فرحا به لما صعد عليه بعدها هو
واعيان الصحابة ويحتمل ان يكون اراد بالرأماء الارض مجازا من باب تسمية الكل باسم المحل
وخص منها حراء لشرفه اي لو لم يمكن بقدمه الشريفة حراء لماجت الارض كلها فرحا و
طربا الى باقي الدهر تنبيهان الاول جبل احد هو مشهور في المدينة المنورة على
اقل من فرسخ منها سمي بذلك لتوحده وانقطاعه وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
احد جبل يحبنا ونحبه كما في الصحيح والصواب حمله على ظاهره كما اختاره البغوي وا
لنووي اذ لا ينكر وصف الجماد بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة كما حنت الاسطوا
نة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها وكما اخبر
ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزاء المدينة تحبه و
تحن الى لقائه حالة مفارقته اياها هو وفي حديث الصحراء هذا جبل احد يحبنا ونحبه على
باب من ابواب الجنة وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من ابواب النار وعير
جبل كبير على يسار ذي الحليفة الثاني قد اكثر الناس من الكلام على لو والحق فيها ما
حققه السعد في مطوله وتبعه الامام تقي الدين الصفدي والعجب [illegible] انها
كشف القناع في حكم ارادة لو الامتناع ونحصه بقوله «مثل لو لو ربما وجود تالي
باولى [illegible] الازمان» مع انتفاء ذا كالمقدم حققا بلا ريب ولا توهم

«اما الجواب ان يكن مناسبا وليس غير شرطه مطلقا ما حكم له بالنفي ايضا واعلم
بان كلا داخل في العموم او لم يكن مناسبا فواجبه من باب اولى داك حكم الاثر
وفي مناسب له اذ يعتبر مناسب سواه فهو لا يعتبر فهذا جوابه لو تقسيم حاصل
ممتنع وواجب ومحتمل ومعظم المقصود فيما يجب اثباته في كل حال يجلب
مثاله نعم الذي لو لم يخف لما عصى الاله ولا اقترف ومعظم المقصود في الممتنع
بيان نفي شرطه الذي ادعي كلو يكون فيهما شريك لفسدا فالواحد المليك
او ان ذاك النفي حقا انتفى في عدم الذي يلي بلا مرا كلو انتبني لكنت تكرم
كرامتي لم فلا تغدم» «عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء»
لما ذكر جملة وافرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي من شانها ان [illegible] وامر بها من فوره يبين
ان الكفار الذين شاهدوها لم تزدهم الا ضلالا حقيقيا وبيان [illegible] ما ذكر فقوله
عجبا هو منصوب على المفعول المطلق الذي لا من لفظه والعجب الامر المستغرب الخارج عن قياس
العقول وللكفار بمعنى منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالذي فيه اي بالمعجز كالقرآن وغيره الذي
في كل فرد من افراده للعقول السليمة الخالية عن الخذلان والعناد والحسد اهتداء اي ارشاد
الى الدين القيم الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والى [illegible] ما تقوى به ويصح ان يراد بال
عقول المطلقة حملا للاهتداء على ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء مطلقا لاكن
اذا قارنها عناد وخذلان لم ينتفع بها ووجه التعجب منهم واضح بانهم كانوا مع ما شاهدوه
من الآيات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون بما عندهم من الحسد والتلبيس
على الضعفاء منهم الا اباء وكبرا وطغيانا وتمردا كما قال الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر «والذين يسألون جنة كتاب منزل قد اتبعه وارتقاء»
الذين سألوا كتابا جنسه ومنزل صفته وقد اتبعه جملة حالية وارتقاء معطوف على الضمير اي صعود الى
السماء والمعنى ان الذين يسألون من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد كتابا
منزلا قد اتاهم به وارتقاء اي صعود الى السماء وقد وقع ذلك في الاسراء ويحتمل ان يكون
تعريضا بالسيف ويحتمل الذين يسألون منه على جهة التعنت وهو كثير منهم كتابا منزلا عليهم
معه عليهم من السماء فقد اتاهم به يقرؤونه وارتقاء منه الى السماء وغير ذلك وقد حكى
الله تعالى عنهم في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية
«اولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء»
اي ايقولون ذلك كله ويتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله ذكر كائن من الله واصل البيع

وغيره من الطبعة مطارت حالا وتصحيحه ذكره جماعة في الاية مراد ابتغاء الشفاء كما في قوله وانه لذ
كر لك ولقومك وفي اخرى مراد به انه مذكر بكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر وهذا الذكر فيه
للناس الانس والجن والملائكة تغليبا رحمة بالاهتداء المؤمنين به وتاخير عذاب الاستيصال
عن الكافرين ببركة كونه بين اظهرهم وشفاء وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وشفاء
من كل داء ظاهر او باطن حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات لانتفاعهم باتباعه وغيرهم بالعرض
التبع قال بعض الايمة ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرءان ولذا تراهم حريصون على استما
عه من غيرهم قال ولو لم ينزل الله من السماء شيئا فطاهر ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة
الداء من القرءان فهو للداء شفاء ولصداء القلب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرءان ما
هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الرازي وغيره من للبيان لا للتبعيض بل للجنس والمعنى و
ننزل من هذا الجنس الذي هو القرءان شفاء للامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة
في الالوهية والنبوة والمعاد وفي القرءان من النصوص القاطعة ما يبين فساد تلك الاعتقا
دات ما يكفي ويشفي ومن الاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها وحض على ا
جتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لا سيما مع الخلوص وفراغ القلب
من الاغيار وغيره واقباله على الله تعالى بكليته وعدم اكل الحرام وعدم دنس الذنوب و
عدم استيلاء الغفلة على القلوب وفي حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه و
قراءته مع ذلك حالفة على اي مرض كان مبرئة له وان اعيا الاطباء ومن ثم قيل متى
تخلف الشفاء فهو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل ولمانع قوي فيه
يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روي حديث من لم
يستشف بالقرءان لا شفاه الله وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء
القرءان فائدة ذكر ابن السبكي في الطبقات في ترجمة زين الاسلام الاستاذ ابي القاسم
عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة المشهورة المباركة التي قل ما تكون في
بيت فينكب ما قصه وبلغنا انه مرض للاستاذ ابي القاسم ولد مرضا شديدا بحيث ايس
منه فشق ذلك على الاستاذ فرأى الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكى اليه فقال له الحق
تعالى اجمع ايات الشفاء واقرأها عليه واكتبها في اناء واجعل فيه مشروبا واسقه اياه
ففعل ذلك فعوفي الولد وايات الشفاء في القرءان ست وهي ويشف صدور قوم مؤمنين
وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرءان
ما هو

ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفاء قال ا
التاج السبكي ورايت كثيرا من المشايخ يكتبون هذه الايات للمريض ويسقاها في الاناء طلبا
للعافية « اعجز الانس اية منه والجن فصلا باية من البلغا » بسعد «
قال في الشفاء ويكون القرءان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه
عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل
من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته
اه وقال ابن حجر قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن شاهد النبي صلى الله عليه
وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهر ان المعنى هو يحصل له العلم الضروري باعجازه وان لم
يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند الشك ربما يحصل
له قطعا العلم الضروري انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ما جاء به هو من عند الله
تعالى وانه معجز للخلق عن مثله لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه
ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما
وكل احد يدركه من غرابة نظمه ما بين القرءان وغيره عند سماعهما وعبر بقوله في اية تبعا
للقاضي في اية عياض وثم يأتيان الذي عليه الجمهور ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة
منه وهي ثلاث ايات لقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
مثله الاية لان في دليلهم نفيا اذ لا يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون
على اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا عن بعض اية لان في ازمنتها قصارا وطوالا
بعدها انواعا من بدائع الحكم قال الحق انهم عاجزون عن مثل كلمات في اية من اياته بدليل
انه لم يسمع عن احد منهم انه حكى شيئا منه سواء في ذلك الانس والجن والملائكة ايضا لكنه
لم يذكروا لعصمتهم عن المخالفة فلذا لم يستطع احد ان ياتي بمثل اية منه على نظمه البديع
وذلك المعنى المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث
والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا وفي قسم فصلا لئن فصلا في الاصل للتخفيف والمراد بها هنا التحقير والتوبيخ
لمن يزعم امكان المعارضة وضمير بها عائد على الاية والبلغاء جمع بليغ من البلاغة
وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته والبليغ من فيه ملكة يقتدر بها على

اسرار الكلام البليغ واعداد الناظم بعجز ان البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء
والخطباء البلغاء من قريش وغيرها والمتقدمون في الشعر والتبيان والرؤساء في فنون
من المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة
عن الفصحاء واعجزهم عن المعارضة وكلت عقولهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن
ذلك اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان
قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلى اربهم و
منتهى مطلبهم التعبير بافنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب الخطا
بة واساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته ومن
اكبر رسالته ومعجزاته حجة قاطعة ومحجة ساطعة فلما ان لبثوا ثلاثا وعشرين سنة سكو
تا عن معارضة اية منه المستلزمة لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال مكر شوكته وحيا
زة مرتبتهم مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد
الا نفرا عليهم فعجزهم حتى كشف عن نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم انه افتريته
لعلمي باخبار الامم فاتوا بعشر مثله فلم يبرز لذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه
مطلقا ولا فصيح ووجد من يستجيده ويجاري عليه فلذلك يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم
هجاه وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته قطع بعجزهم وانقطاعهم قال الخطابي وقد
كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع القول بان ما اتى به من عند الله وانهم لا
ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم
يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته والتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته ولم يستطع احد
منهم شيئا من ذلك وما احسن ما قيل الوجه فيما يلاقي لشغوف العقول السليمة بانه من
عند الله بكثير وقد جاء على يد اصدق الخلق وبعض اقوال العلماء من اعلا وجوه اعجاز القرآن
ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب فانهم اوتوا منها ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا ياتون
منها على البداهة بالامر العجيب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة عند شدائد
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويترسلون [illegible] او ويتعاطون [illegible] بالعمل الحا
ل ويتطوفون من دررها اجل من حجة الكتاب [illegible] فلا يشك عاقل انهم اطوع مراده وسلك
فلاديهم فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم احجم ما كانوا
في هذا الباب مقالا واشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا طارحا فيهم في كل حين معا
لعم

7966

لعمري وبين الملا اجمعين فاتوا بسورة من مثله والا فانتم المردودون الى [illegible]
ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويعيب في الهتهم ويشتم
اباءهم ويستبيح اموالهم وهم لا يزدادون الا نفورا عن المعارضة لم ياتوا بمقال صابرون على الجلاء
والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته ومحجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر و
سحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلو
بنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقد قالوا لو
نشاء لقلنا مثل هذا فقال الله تعالى لهم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ
لو قدروا على ادنى معارضة لبادروا اليها وافحموا الخصم الذي كانوا مجاهدين على اطفاء
نوره واخفاء امره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
وقطعوا فما نطقوا هذا كله والاتي به النبي مكث بين اظهرهم اربعين سنة اميا لا يحسن
نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم شعرا ولا انشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى
اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع من
قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد وحده فعرض عليه ا
المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال اسمع مني فقرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا الى ان بلغ السجدة فسجد ما ابصره فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انت وذاك فقام الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه
الذي ذهب به اليه فقالوا له ما وراءك فقال لهم سمعت قولا ما سمعت مثله قط
والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة اطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما
هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ صلى الله عليه وسلم فقال انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود امسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال شيئا لم يكذب
فخفت ان ينزل بكم العذاب وفي الخصائص الكبرى للاسيوطي اخرج الحاكم والبيهقي من
طريق عكرمة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرا
عليه القران فكانه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يرون ان
يجمعوا لك مالا قال لم قال ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتتعرض لما قبله قال قد علمت قريش
اني من اكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا اقول

وروى ابن اسحاق والبيهقي ان الوليد
وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرا
فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
فاستعاده فاعادها [illegible] فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان
اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى
بقول هذا بشر وما منكم اعلم مني بالشعر
جمعوا فيه الى ان قال [illegible] حضور وفود العرب
في الموسم لئلا يكذب بعضهم بعضا فقالوا نقول شاعر فقال
ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو
بخنقه ولا بوسوسته قالوا نقول شاعر قال قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
[illegible] قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم
بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعلم انه باطل [illegible]

هو الله ما فيكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه ومغدق اسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يوثر عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا الاية ٭ وقد اعترف جميع من سمع القرآن من فصحاء المشركين بانه خارج عن طوق البشر بينهم كما دل على ذلك ما وقع المذكور في الخطابي وغيرها والحق ما اشتهر به الاعراب ويجب هاهنا مراجعة الشفا والمواهب فان فيهما الشفاء والعجائب وهذه الوقائع انما تذكر لتبيين الاعجاز لمن لا يعرف وجهه لعدم معرفته بعلم البلاغة اما العارف بعلم البلاغة فانه يعرف وجه الاعجاز بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة والايجاز لانه اذا انظر في ايات القرآن وتامل فيها علم يقينا انه لا تمكن معارضته وان الاتيان بمثله ليس في طوق البشر لانه يرى كلاما جامعا للاحوال التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال لا يعبونه منه اشيء فيستخرج منها بعد رفعهم ما تحار فيه العقول ويشعر انه لا يحيط به غير العليم الخبير ثم اذا فرغ منه واستحضر قواعد البلاغة واعاد التامل استخرج اشياء اخر ادق واتم منه كلو اخر منها ما يجيء الا بعلم ثم اذا اعاد النظر فكذلك ثم يجيء من بعده فيستخرج ما لم يستخرج الاول وهكذا ويجد ذلك مكررا في جميع اياته غير متعارف مع انه ليس في من منصف في قواعد مخصوصة يرجع البلغاء في تعقيب العقول ماخوذة منه ومندرجة تحت اياته على احكم وجه واتم واصوب مطلوب جميع من جميع القوادح وكلام البشر لا يتاتى فيه ذلك ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والحاصل ان وجوه الاعجاز كثيرة لكنها ترجع الى اربعة احدها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ثانيها صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب ثالثها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد على الوجه الذي اخبر رابعها ما انبا عليه من اخبار القرون السالفة والامم الغابرة انظر بسطها في الشفا.

٭ وكل جزء منه فيه اي من صاحبه ٭

٭ معجزات من افضل القرآن ٭ اذ كل وقت تفعل الغراء من معاني القرآن الساطعة معجزات اي غرائب وعجائب وتكشف والطايف تشبه المعجزات المذكورة في الغرايب والعجائب المعجزية استعارة مكنية وتفعل استعارة تخييلية ترشيحية قال القاضي عياض في الشفا ومن وجه اعجازه كونه اية باقية لا تنعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل

الله تعلى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعلى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وايمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه بالعجز في يديه والنكوص على عقبيه ٭

٭ تلذذ السامع والقارئ فهو الغض والحلو ٭

تلذذ السامع ومن التلذذ التلذذ به اي يتلذذ به المستمع في الاذان وتتلذذ من الحلو بالعلاقة الا حوال فهو الحلو اي ما يتلذذ به راجح للاول والحلو اي ما يستحلي به راجح للثاني قال في الشفاء ومن وجوه اعجازه ان قارئه لا يمله وسامعه لا تمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد والقرآن يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث لها اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به وفي تنصيص لا يقال انا نجد احزاب المشايخ وقصائد المديح في الجناب العالي من كلام البشر وهي تكرر وتردد ولا تمل لانا نقول ذلك انما هو لكونها في خصوص التوحيد الخالص والادعية النافعة والثناء على الحبيب ومن ثم جاءها ذلك مع انضمام كونها تقرأ بلحون وطرق مخصوصة يستعان بها على النشاط عندها بخلاف القرآن فانه مشتمل على ذلك وغيره كذكر احوال اهل النار والرد على طوائف الكفار وبيان الاحكام الشرعية وغير ذلك وجميعه لا يمل منه مطلع في الخصوصية ثم اعلم ان التلذذ به ابهم حاصل حتى في الجنة ففي الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فيوخذ منه انه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من انواع المعارف اللائقة بتلك الدار

وتلك الزوات التي تم بها التشاهد وذلك امر لا ينتهي اليه احد اه

رُقّ المعاني في مغانٍ في خلاها وحليها الخنساء

ودان حسن لفظها من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقيد وان المصفى من شوائب النقص فلا يعيب على الناظر فيه من جهة معناه فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واضح الاحكام ووضوح المرام الغاية القصوى فيشبه كون صورة رقة وارتياح الخنساء بنت عمرو الشاعرة المفلقة كما يأتي حال كونها في خلاها اي صفاتها الجميلة وحليها اي زينتها تشبه صورة في صفاته العلية وتزينها بها ودعته من الاسرار البديعة بامرأة بلغت من الزينة والجمال والحسن ما لا يمكن التعبير عنه وخص الخنساء بالذكر لكونها اشعر نساء العرب ومن اجلهن وهذا انما هو على طريق التشبيه حيث تعجز العبارة عن الاتيان بمشبه به يصلح لذلك فيؤتى بادنى شيء تحصل منه التفهيم وان كان المشبه اعلى من المشبه به

وارتشاف غوامض فضل رقة من زلاله وصفاء

وارتشف اي اوضحت لنا وفي علم رقة الالفاظ غوامض فضل اي خفايا الكلام في العلوم والمعارف المشتمل منه التي لا حول لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير صورة والضحى لفعلت وعنه لو اذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضع على الفاتحة وقر سبعين بعيرا لفعلت والزلال الماء الصافي العذب البارد فتشبيه اي القرآن في محاسن انواعها وصفاء موارده الموجبة لمن حرف في خفاياها حرز يد نظره وصفى في غوره رفيق فكره بردة اليقين وصفاء القلب عن كل حشو حتى اطلع على سرائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب الرحمانية والعوارف الروحانية بماء في غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما شأنه ان يخفى وذلك انما يحصل لمن انصقلت مرءاة فكره كما اشار لذلك بكلام جامع بديع فقال

انما تجتلى الوجوه اذا ما ... جليت عن مرآتها الاصداء

اي انما تبصر الوجوه وتظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه ان قوبلت بالمرءاة اذا ما ازيلت عن مرءاتها بكسر الميم والمد اي آلة الابصار الاصداء جمع صدى وهو ما يعلو الحديد من الطبع والوسخ فكذلك مرءاة القلوب لا تنجلي لها العلوم والمعارف من القرءان الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار واذابت قواطعها بما هو بصدده اثناء الليل واطراف النهار فالحاصل في بغية السالك في اشرف المسالك

واعلم

واعلم ان سر القرءان ولبابه ومقصوده دعوة الخلق الى المعرفة بالله تعالى اذ كل ما اشتمل عليه القرءان من التعريفات كالتعريف بالله وصفاته وافعاله والتعريف بطريق السلوك اليه والتعريف بوعده ووعيده والتعريف باهل التخصيص كالانبياء والملائكة والاولياء والتعريف باهل المقت كابليس وجنوده من الجن والانس والتعريف بالاحكام التي طوقها عباده كل ذلك تعريفات تحرك النفس الى الانطواء بمعنى التوحيد الجاذب الى المعرفة الحقيقية وهي قيام معنى التوحيد في النفس حتى يكبر صفة لها لا تنفك عنه ولا تجد انسا بغيره فان تعلق بابتهاج النفس المطمئنة اللابة وهذه الحقيقة هي المطلوب من جميع العباد وللبعض في ذلك

مراد كتاب الله جذب قلوبنا ... الى حضرة الرحمن والزهد في الدنيا
فبلغ اخي القرءان منك مراده ... لترقى بفضل الله للجنة العليا

سور منه اشبهت صورا منا ... ومثل النظائر النظراء اه

السور بالسين جمع سورة وهي الطائفة من القرءان المخصوصة المسماة باسم خاص توقيفي ومنه ليتار الجنة لان ما لقاءه به لبعض خاصها بعض سورة بل يشتمل كلها شبهت لاشتمال كل منها على معادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه والصور جمع صورة وصورة الشيء شكله وانما اشبهت السور منه صورا منا لاشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركها فيه غيرها ولا يتوقف على ما في غيرها وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على المعتزلة في قولهم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرءان لا بكل سورة منه وهي مقالة مردودة لمنافاتها لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والنظائر النظراء جمع نظير وهو المثل والنظراء ايضا الاماثل والافاضل وهذا كالتذييل لما قبله ويحتمل ان يكون اشار بالنظائر الى السور المخصوصة التي كان يقتني بها النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري وانها سماها خاصة بها اي ومثل النظائر من السور النظراء اي الاماثل من الناس والافاضل منهم الذين بلغوا الذروة في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل

والاقاويل عندهم كالتماثيل ... فلا يوهمنك الخطباء

الاقاويل جمع قوال وهو هنا اللفظ المفيد عندهم اي الكفار المرود للمبتدا او بخبره وهو كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصورة يعني ان قولهم في القرءان وافتراءهم عليه بما يقدح في حقيقته امر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التي يخترعها المصورون كذلك لا حقيقة لها وكما ان هذه لا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر ذلك ان جميع ما قالوه في القرءان باطل قطعي البطلان فلا يوهمنك الخطباء اي فاحذر ان يوقع من خط

الكلمات بنفسه فهم وتعاطيه في ذهنك اذ تدبر به او تفكر او طالع القرآن الذي مر بيان
بعضها وتنبيه على بعضها الآخر بقوله لكم آيات في آياته من علوم
وعن حروف ابان عنها الهجا لكم خبر به اي مراتب كثيرة اي آيات اي او نكت
في آياته جمع آية وهي لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدإ و
مقطع مندرج في سورة قاله الجعبري قال ابن عمرو ويشكل عدهم نحو ثم نظر في المدثر اية اذ
ليس فيه جمل صريحا ولا تقديرا قال الاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة عما
قبلها وما بعدها وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدى
بها وقوله من علوم من زائدة في الاثبات على رأي جماعة اي او نكت في آياته علوما كثيرة لا
تنحصر كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
وروى الترمذي وغيره حديث ستكون فتن قيل فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب
الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور عن
ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقي
يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها
وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة في القرآن اي مع زيادات
لا تنحصر ومن ثم قال الشافعي جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقر
آن وقال ايضا جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال بعضهم
ما من شيء في العالم الا وهو في القرآن فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال في قوله تعالى ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهي الخانات وقال آخر ما
من شيء الا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى وقد استنبط عمره صلى الله
عليه وسلم من قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فانها رأس ثلاث وستين سورة
وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن بموته صلى الله عليه وسلم وانظر النوع الخامس والستين من الاتقان
للسيوطي وقوله وعن حروف ابان عنها الهجاء اي تولدت تلك العلوم ونشأت عن حروف ابان
عنها اي عن مسميات تلك الحروف الهجاء اي التهجي وهو تعداد الحروف بذكر اسمائها فالمراد
بالحروف مسمياتها وحروف التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات وفي الهمزة قول
سيبويه قال الخليل يوما لاصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في ذلك و
الباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال قولوا
كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجي من الثاني ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح
من

من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الالف
حرف واللام حرف والميم حرف فتسميته كل حرفا اما لغة او مجازا باعتبار مدلوله قال ابن
قال الامام سيدي عبد الرحمن الجادري في تذييل نظمه التي اختصر فيه الدرر اللوامع
لابي الحسن بن بري وهو نظم حسن من منهوك الرجز ما نصه وقال ايضا سعدا
زيد له وضعا وهاك ما للاسور في العد للمعتبر وسور القرآن
قيل الى الامان وقل في المفصل من القتال منجلي وفي آية ورد
في آخر وزيد ثلاثة للاول وبالفريقة جل وكلمه قال عطا
عدد ضر نعطا ومن حروف سعيد فيه وذاك المنتهى وقيل عن يحيى صنعا
ثلج حروفه حكا ونصفه اولى نكرا في الكهف نلطف اسرا ونصفه من الكلم
في الحج والجلود تم ونصفه الاي الغالبين وبعده او قوا بيين ونصفه من السور
ختم الحديد يختبر فنصفه عشر لسبب القرآن محصله وباعتبار ما كتب
ثوابه وما حسب اهـ وقد اشتملت الابيات المذكورة على عدد سور القرآن
وهي مائة واربع عشرة المشار اليها بقيصر لان اصطلاحهم ان الحرف الاخير احاد وما قبله
عشرات وما قبله مئون وهكذا وعلى عدد سور المفصل وانها ثمان وستون واولها
سورة القتال وهو احد الاقوال وعلى عدد آي القرآن وانها ستة آلاف ومائتان
واربعة عشر باعتبار عدد المدني الاخير واما على عدد المدني الاول فيزاد ثلاثة
وعلى عدد كلماته وهي سبعة وتسعون الفا بموحدة ثم مثناة واربع مائة
وتسعة وثمانون واليه اشار بقوله ضرنعطا والالف للاطلاق وعلى عدد حروفه وهي
ثلاثمائة الف وعشرون الفا وثلاثمائة وخمسة عشر وقيل عدد ما يزيد على هذا بالتثنية
وثمانية عشر وعلى ان نصف القرآن باعتبار الحروف نكرا الاول وهو قوله لقد جئت
شيئا نكرا او نصفه باعتبار الحروف الكلمات والجلود ولهم مقامع من حديد في سورة
الحج ونصفه باعتبار الآي ان اجري الا على رب العالمين او قوا الكيل ونصفه من السور
آخر سورة الحديد فما بعد الحديد نصف باعتبار عدد السور وعشر باعتبار الاحزاب
واما ما اعد الله لقارئه من الثواب فذلك مما يعلمه الملك الوهاب وفي الشفاء ما نصه
في القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف وعدد كلمات انا
اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزى القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد
من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق

نظمه فصارت كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه انظر تمامه و
قال بعضهم علوم القرآن خمسون علما واربعمائة علم وسبعة الاف علم وسبعون الف
علم على عدد كلم القرآن مضروبة في اربع اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومقطع ويقسم
ذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط لا كرر هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعالى ثم ام علومه
ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة ام الكتاب لاشتمالها على هذه الثلاثة
وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار و
الديانات وقال اخر اشتمل القرآن على كل شيء كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
اما العلوم فلا تجد مسئلة من اصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات
وملكوت السموات والارض وما في الافق الاعلى وما تحت الثرى وبدء الخلق واسماء مشاهير
الانبياء والملائكة وعيون اخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته واخبا
ره الى مماته ثم شأن امته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته واماراة الساعة وجميع
احوال البرزخ والمحشر والجنة والنار وقد قال العلماء ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد
مبني من كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله قد نطق به فمن ذلك ان من اول سورة الحج الى
قوله وان الله يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وكذا قوله ما اتى الله عن بشر
من شيء الاية وفيه اشارة الى علم الهندسة في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب الاية فيه خروج
من الشكل المثلث كما ذكره وقد جيء على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه

«فجيء كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنابل وزكاء»

يعني ان حروف القرآن وان عزت معانيها وكثرت احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت
قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقرب منها نوع قرب وهو الاشتمال مما
ينشأ اذ ما يراد له امر معلوم يغني فيه عن قريب وهذه مستثمرة النمو والزيادة على مر الا
عصار وتوالي الازمان في هذه الدار وفي دار القرار وذلك المثال هو ما اشار اليه بقوله
اسماء الاعداد فانها مع كونها في الظاهر محصورة لا ينتهي الوقوف الى المعدود بها واما انها
كالحب التي يلقيها الزراع والنوى التي يلقيها الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب
ومن الثاني من الثمر ما لا يحصى وفي هذه الحالة اعجب السنابل والزكاء اي النمو الكاثر ذاك
من تلك الزروع والاشجار الزراع اي والغراس لكثرته وخروجه عن حد العد والاحصاء و
هو متفرع من حب ونوى قليلة فكذلك حروف القرآن وان قلت يحصل منها من العلوم
والمعارف ما لا يحصى

«فاطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء»

«واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء»

قوله اعجب فاعله يأتي فقول الشارح ان فيه ضميرا الحب والنوى وان فاعله سنابل سهو منه لفساد المعنى... فجملة اعجب الزراع منها سنابل وزكاء اي النمو... الزراع للحب والغراس للنوى

«واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء»

اي ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات والايات البينات اصروا على ما هم عليه
من غاية الاعراض والانكار واطالوا التردد والريب اي الشك فقالوا كما حكاه الله عنهم
في كتابه انه سحر اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقالوا مرة اخرى
انه افتراء اي كذب واصل الخبر الاول والثاني وغير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتهم وتلبيسهم
وضلوا فقالوا بل هو كلام الله تعالى بانزاله وعوقب من حمله في اللوح مبعوث لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكان ذلك بلاء عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل
لهم ولا راي ولا استعداد ولا كان ذلك بكثير علي من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق الا
هو مقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة البي معنى انه اذا كانت البينات اي الحجج القاطعة
والبرهان الواضحة البيان لم تغن اي تنفعهم شيئا من الهدى فالتماس الهدى بغيرها لهم منها
بتلك الحجج عناء اي تعب لا يجدي شيئا وهذا مقتبس من قوله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يؤمنون واذا ضلت العقول عن طريق الحق على علم اي مع علم منها بتلك الطرق اي اضلها الله
فاي قول يقوله الانبياء النصحاء بل قولهم حينئذ لا يجدي وهذا مقتبس من قوله تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله افلا تذكرون وهذا ولا بد من اختصار قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله
في الحديث القدسي هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي واعتقاد ان التكليف
منوط بالطاعة التي يقع بالاختيار وبه يثاب من امتثل ويعاقب من خالف ولو افعال الاعمال
مجبور في قالب مختار والمسئلة طويلة الذيل محلها كتب الاصول فلتراجع

«قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم الحنفاء»

«صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا لبئس السواء»

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على حال المشركين وما اراد البيان عنهم شرع في الكلام
مع اهل الكتابين فقال يا قوم عيسى المعبر عنهم بالنصارى عاملتم قوم الكليم موسى وهم
اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة التي عاملتكم بتكذيبه وهو التصديق بكتابكم
الذي هو الانجيل الحنفاء اي المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى دين الله تعالى القويم
ثم بين ما ابهم بقوله صدقوا اي قوم عيسى كتبكم وهو التوراة وما بعدها كالزبور وكذبتم
ايها اليهود كتبهم اي الانجيل وجمعهم للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب متعددة باعتبار
اجزائه وفي هذا التعاقب الي ان قوم عيسى حين صدقوا اولا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم

٨٢

موسى بالعكس وبين موسى وعيسى في الجناس اللاحق كقابيل وهابيل وفي التصريع والتكر
يب الطباق وقوله اذ اني الذي فعلتموه معشر اليهود لبئس السواء اي القبيح الذي رجعتم به
الفعل مقتبس من قوله تعالى وباءو بغضب من الله ويحتمل ان يكون المراد بالسواء
الجواب كما في القاموس ويحتمل ان يكون ضميرهم عائدا على الخلفاء وضمير كتبكم
وكذبتم لليهود والنصارى وكتبهم الخلفاء ويكون ذلك تعبيرا بالعام على الخلفاء

«الو جئنا بافعال كانسبونا * ولو جئتم بالقلم انسيتم»

الجحود الانكار على اي لو انكرنا كتابكم مثل انكاركم كتابنا وكتاب عيسى لاستويتا
نحن وانتم ايكون ذلك منا ولبئس الحق وهو ما نحن عليه من التصريح بجميع كتب الله ورسله
منا وانتم بالقلال وهو ما هم عليه من التصريح بالبعض والكفر بالبعض

«مالكم اخوة الكتاب اناسا * لنعم خير الحق منكم اخاء
يحسد الاول الاخير وما زا * ل كذا المحدثون والقدماء»

اي اي شيء حصل لكم يا اخوة الكتاب من اليهود والنصارى حصلتم بذلك لانه جمع ما
بينهم من التكاليف والاحكام حاروا مصطحبين فيه كاصطحاب الاخوة في الانتساب الى اهل
واحد حال عونكم اناسا لبئس شانكم انه يرعى الحق منكم اخاء بكسر الهمزة نائب فاعل
يرعى ويجوز ان يكون اسم ليس ونائب الفاعل ضميره والاخاء مصدر اخاه اخاء وموا
خاة اي ليس يصدر منكم مراعاة الحق بالقيام بما يجب لكم من الحقوق التي منها الاقرار
بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته
لكم وفي اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبينهما جناس الاشتقاق ومن عدم رعايتكم
كذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى
عموا انهم قتلوه وصلبوه وما قتلوه يقينا وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله اليه
لينزل في اخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقبل جزية وانما الاسلام او
السيف وما زال هكذا اي هكذا الحسد يكون من حسد الاول الاخير المحدثون والقدماء من لدن
ادم الى اليوم كما اشار اليه بقوله «قد علمتم بظلم قابيل هابيل»

«ومظلوم الاخوة الاتقياء»

فابيل هابيل باضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد ادم وهم اربعون ولدتهم حواء
في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسلهم في حياته حتى بلغوا اربعين الفا
وكان من شرعهم ان اختلاف البطون بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور
كل

كل بطن لاناث الاخر وبالعكس وهابيل هو ثاني اولاد ادم عليه السلام وكان قتله اياه بشرخ
راسه بين حجرين حسدا له على الزوجة من اجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل
قربانه كما حكى الله تعالى ذلك في كتابه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كن خير ابني ادم
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وروي ان ادم لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل
امتنع فامرهما ان يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك في وقت نار من السماء
تاكله فيقرب كل منهما قربانه وقربان هابيل كبش وقربان قابيل زرع فتقبل قربان هابيل
فزاد حسده اياه فقتله تنبيه ما ذكرناه تبعا للشراح مع ان حواء ولدت في كل مرة
ذكرا وانثى ليس على اطلاقه لانها ولدت شيث الذي هو من عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم
وحده كما نبه عليه ابن الجوزي في كتابه جلوة الاحزان ونصه وولدت له اربعين ولدا في
عشرين بطنا ووضعت شيث وحده كرامة له لما اطلع الله عز وجل بالنبوءة له وقوله
ومظلوم الاخوة يصح ان يكون مظلوم جمع تصحيح حذفت منه النون للاضافة ثم الواو تخفيفا
كما قيل فيه قوله تعالى وصالح المومنين ويصح ان يراد به الجنس كما قيل به في الاية ايضا والا
تقياء جمع تقي اي المتصفون بالتقوى بدليل ظاهره بمعنى من اي لا يكون من الاخوة الا الاتقياء
بل الا التقي منهم لانه هو الذي يصبر على اذى اخوته ولا ينتقم لنفسه وهذا في معنى ارسال المثل
للاستدلال به على ما قبله كقوله فيما تقدم وما زال الخ فائدة قال ابن جزي في تفسيره
الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد اول معصية عصي الله بها في السماء وفي الارض اما
في السماء فحسد ابليس لادم واما في الارض فقتل قابيل لاخيه هابيل بسبب الحسد ثم ان الحسد
على درجات الاولى ان يحب الانسان زوال النعمة على اخيه المسلم وان كانت لا تنتقل اليه
بل يكره انعام الله على غيره ويتالم به الثانية ان يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها ورجاء
انتقالها اليه الثالثة ان يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير ان يحب زوالها عن غيره
وهذا جائز وليس بحسد وانما هو غبطة والحاصل في الحسد ثلاث مراتب اخرها اعظم
في الذنوب لان الحسد حرام الثانية سوء الادب مع الله تعالى بل حقيقة الحسد كراهة
انعام الله تعالى على غيره واعتراض على الله في فعله الثالثة تالم قلبه وكثرة همه وغمه
فنرغب الى الله تعالى ان يجعلنا محسودين لا حاسدين فان المحسود ذو نعمة والحاسد في
كربة ونقمة ولله در القائل في قوله

إذا رح حاسدي لعبرة ما * فيه صدور ما لي من الاغيار
لا تنكروا صنيع الله في جعلي نعم * في جنة وقلوبهم في نار
وقول الاخر

٨٥

سـ ان يحضروه فانه غير لا يحضرهم * فبلي من الناس اهل الحفل قد حضروا
جداي لي ولهم ماء وما بهم * وما انا اكثرنا عقلا مما يحتووا
ثم ان المحسود لا تزول عداوته ولا تنفع مودته وهو كما قيل يشتكي كانه مظلوم والفرحون
القايل: كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد
وفي قول الحكيم الشعراء: والحلم خلق الله من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

وصمعتهم بخبر انباء يعقوب * اخاهم وكلهم ظلماء
حسن الغوث في غيابات جب * ورموه بالافك وهو بريء

عبر عن قوله انبياء الى قوله ظلماء لانه الامر المتفق عليه بخلاف كونهم انبياء فانه
واخرج ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف نبئ ان يرتع ويلعب بالنون وهم انبياء
فقال لم يكونوا يومئذ انبياء وقد قيل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط انه نص على نبوتهم لان الاسباط
اولاد يعقوب باتفاق وهم اخوة يوسف وذهب الجمهور الى ان المراد من نبي من ابناء
الاسباط وقوله حسن الغوث ... لكيد والجب البير الكثيرة الماء او بعيدة القعر او
التي لم تطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه اصغرهم بما
انبات عنه رؤياه المذكورة في سورة يوسف اذ الاحد عشر كوكبا مثال اخوته والشمس والقمر
ابوه وخالته وحسدوه لفضله في دخولهم تحت امره وكما عقم جاء الامر كذلك فانهم لما
جاءوا اليه مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل الاية ومن كبيرهم انه لما
انهم رموه بالافك اي السرقة حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل في قصة الصواع ...
لم اي يوسف واصل الافك اسوء الكذب وبريء بالمد اي بريء منه وليس ما رموه به بسرقة
فقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قالوا ان يسرق
الاية قال سرق يوسف صنما لجده ابي امه من ذهب وفضة فكسره والقاه على الطريق
فعيره اخوته بذلك وانما اراد بذلك التغيير وفي رواية ان امه امرته بذلك لانها كانت
مسلمة فالذي وقع منه صورة سرقة فذكروها تعبيرا له فهم لم يكذبوا وانما الذي وقع
فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل ما فيه غاية الرفعة والمدحة له لا كما رموه سرقة
على طريق التعبير للناظم ان يقول رموه بالافك والذي يجب اعتقاده نزاهة اخوته
منه وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم لاحتمال ان ما ارتكبوه لعله فيه تاويل باعتبار شرعهم انكر
ابن حجر

فتناسوا بمقتضى اذ ظلموا * والتناسي للمغير فيه عزاء

فتناسوا اي تعمدوا اظهار النسيان التعمد من تناسيت الشيء تغافلت عنه ... حال على حاله
وفي التناسي تصبير النفس على الامر ... وتصبرها عليه والتعزي الحمل على الصبر بوعد
الاجر اي قد علمتم معشر المطلبين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها
... رضي الله ... فاصبروا انتم فيما بلغكم من الكمال في ذلك وقد ان طلعتم من الكمال بما رموكم به
من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال فانتم في التعازي لا سيما بالكمال ... المتعبر
اي تصبر وتصير ... على الاذى ... الاخلاق والاعراض عن ... اهل
النفاق والشقاق كما قالت الخنساء في اخيها صخر: وما يبكون مثل اخي ولاكن

اعزي النفس عنه بالتاسي

اترى الحق وهم حين خانوا * ام تراكم احسنتم اذ اسأتم
بل تمادت على التجاهل آبا * ء تقفت آثارها الابناء

العامل اهل الكتاب والمعطوف المطلبين
اي انظنكم اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله تعالى عليه فلما ظهر لكم الحق وحملتم على العمل
به حين خانوا ما عاهدوا الله عليه وكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم ام تظنكم اي اهل الكتاب
بايها الحنفاء احسنتم في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيئا فكيف وقد بدلوا
في حياته ولا بعد وفاته ... ولم يتبعوا ما شرع انبياؤهم بل بدلوا وغيروا
وكتموا ابتغاء الحظوظ الدنيوية على الدرجات الاخروية بل لا يبرون شيئا من ذلك وتمادت
واستمرت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل اي الجهل ... من زعم سعة مع
علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وتبعت الابناء
على آثار الآباء الباطلة كما قال الله تعالى حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون

بينتها توراتهم والانجيل * وهم في جحودهم شركاء

اي بينت التوراة والانجيل الحق الذي من جملته نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته
لنه والتوراة من اوريت الزند قد حقه لتخرج ناره والنار تستلزم النور والاناجيل جمع انجيل
من نجل الشيء اي اخرجه وجمعه باعتبار اجزائه ... الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف الاية وهذا من اعظم الدلالة
على صحة نبوته وعموم رسالته وانه على البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك على رؤوس
اهل الكتابين ولم ينكره احد منهم بقول البعض ذلك في كتابنا واذا صرح بذلك ولم يعترضوه دل انهم
عالمين به وكان لا تخلصهم عن الاتباع به الا محض العناد والفساد والحسد ولذا قال جل من قائل
يكتمون الحق وهم يعلمون ... يعرفونه كما يعرفون ابناءهم لكنهم ...

نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين واخرج ابن عساكر ان عبد الله بن سلام رضي الله
عنه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال انت ابن سلام عالم يثرب
قال نعم قال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اتجدني في التوراة قال انعت
ربك فجاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل قل هو الله احد الى اخرها فقراها فقال ابن
سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك
في كتاب الله اي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بمثلها
ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله تعالى حتى تستقيم به الملة العوجاء فيفتح الله به اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب مثله والبخاري عن عمرو
ابن العاص نحوه بزيادة قوله وهم في جحوده شركاء اي اليهود والنصارى شركاء في جحود الحق
الذي بينته التوراة والانجيل فلعنة الله على الكافرين «إن يقولوا ما بينته فما لهـ»
«م عنه بغير عين عشواء» «او يقولوا قد بينته فما للاذن»
«عنه تغوله صمم» اي ان يقل اهل الكتاب لم تبين ذلك الحق توراتهم
والاناجيل فعاز الذي يظهر بالتوراة والانجيل عن بصائرهم كظلمة مانعة لهم من ابصارهم
الحق والعشواء الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها على كل شيء ويقال ركب متن
عمياء وخبط خبط عشواء اي تناول الامر على غير بصيرة فاشار الى المثل وفيه استعارة
بالكناية لانه شبه العيون بالمحاجر والعشواء بالظلمة واثبات الظلمة للعيون تخييل وفي
قوله ما بينته ترشيح لانه يناسب المشبه به او يقولوا اي اليهود والنصارى قد بين الكتاب
الحق كما هو الحق فاي شيء حصل للاذن التي هي الة السمع حتى انصرفا عما تقوله التوراة و
الاناجيل صمما اي غير سامعة سماع قبول اي فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد و
الحسد واسناد القول الى الكتاب فيه مجاز واستعارة «عرفوه وانكروه وظلما»
«كتمته الشهادة الشهداء» معمول عرفوا وانكروا يحتمل الحق اوا
لنبي صلى الله عليه وسلم اي عرفوه معرفة يقينية بين الصنع وانكروه بظواهرهم كما قال الله
تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وظلما معمول لاجله وضمير كتمته يعود على الحق
المذكور والشهادة بدل اشتمال من كتمته اي كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم اهل
الكتابين لانهم عرفوا صحة النبي صلى الله عليه وسلم وصحة دينه وجميع امره معرفة قطعية
ثم

ثم انكروا ذلك حسدا وعنادا وبغيا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم لئلا يفوتهم ما
ينالونه منهم من الحطام الفاني ايثارا على الدين الموجب للسعادة الراجحة
«او نور الاله تطفئه الافواه» «وهو الذي به يستضاء»
اي او يكتمون ذلك ويطفئون الظلام ونور الله الذي هو النبوة والرسالة تطفيه اي تذهب
نوره الافواه لا يكون ذلك كما قال يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفا ذلك النور الالهي وهو الذي به يستضاء للخلائق او بالهدى اي
يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب «او لا ينكرون من كفرهم»
«برحا لها عن امره البغضاء» اي لا يستمرون على ظلمهم وادعائهم انهم محقون
وينكرون نبوته ولا ينكرون من كفرهم اي علم كفرهم حالها اي شملتهم عن امره البغضاء
اي حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لهم ذلك بل الذي ينبغي لهم الرجوع عن الظلال والاعتراف بل
لهم ان استمروا عليه كفعلهم صلى الله عليه وسلم بمن حربه كما فعل بابائهم واخوانهم واهلها
ليبيع بجلاء بني النضير الى ارض الشام وقتل بني قريظة «وكساهم ثوب الصغار وقد»
«طلت دماء منهم وصينت دماء» اي ولشدة باسه وظهور نصرته صلى الله
عليه وسلم كساهم ثوب الصغار اي الذل والهوان كضرب الجزية على غير العقلاء الذين من بني قريظة
استعار اللباس للصغار على حد قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بملائم
المشبه به وهو الكسوة وبملائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية
والثانية تجريدية اي والحال انه قد طلت اي ذهبت وهدرت دماء منهم قصرة ضرورة كبني
قريظة وصينت دماء منهم كبني النضير او المراد دماء المخلصين لان الله تعالى جعل لهم
الغلبة الزاجرة على اعدائهم «كيف يهدي الاله منهم قلوبا»
«حشوها من حبيبه البغضاء» اي اذا تقرر انصاف اهل الكتابين بتلك القبائح
الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم كيف يهدي اي يوصل الاله قلوبا منهم حشوها اي
ملؤها البغضاء اي شدة البغض لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فمن بمعنى اللام المعدية
تتعلق بالبغضاء ويصح ان تكون تعليلية اي من اجله او للبدل اي حشوها بغضه بدل حبه ولا يخفى
ما في كلامه من الاستعارة «خبرونا اهل الكتابين من ابـ»
«ـن اتاكم تثليثكم والبداء» اي اعلمونا يا اهل الكتابين اي التوراة والانجيل من اين استفدتم انكم اتاكم تثليثكم
اي ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن اين لكم معشر
اليهود البداء الذي هو ظهور مصلحة من بدا اي ظهر وهو عندهم ظهور مصلحة بعد خفائها

وبنوا على ذلك امتناع النسخ والاستعمال بمعنى النفي اي لم يأتكم واحد منذ بتلك الامرين
عن دليل صحيح بل عن محض جهل وسفه وعناد وفي القاموس من بدا له في الامر بدا وبدأ وبدء
اي نشأ له فيه رأي وهو في حق الله تعالى محال لانه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه وفي
بدا بمعنى اراد كما في حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا لله ان يبتليهم اي اراد لا ظهر له لانه
تعبير

ما أتى بالتعبير بين هذين واعتقاد لا نص فيه ادعاء

الاعتقاد هو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر فصحيح والا فباطل
والمراد بالنص البرهان القطعي في اثباته والادعاء الدعوى من غير دليل وهو باطل لانه اختر
اع في الدين بمجرد التشهي وعبر بالنص المراد به هنا ما لا يحتمل اللفظ غير معنى واحد
معين ان خلا عن الاحتمالات العشرة المقررة في محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الا
عتقادات لا يكفي فيها الدليل الظني والمراد بالتعبير بين التثليث والبداء

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها ادعياء

الدعاوى جمع دعوى اي ما تدعيه اليهود والنصارى وما مصدرية ظرفية وتقيموا اي لم
تنصبوا البينات الادلة القاطعة لان الكلام في الاعتقادات ولا يكفي فيها الظن والمراد
بالابناء النتائج والادعياء جمع دعي وهو من ينتسب الى غير ابيه او من يتبناه غير ابيه
شبه دعاويهم بوطء الزنى بجامع فساد كل منهما وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه كالذي
نشأ عن الوطء فاسد وهذه استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه
به الذي هو وطء الزنى وهم الابناء الذين هم نتيجته ورشحت بذكر الادعياء وبين الادعاء
والدعاوى والادعياء تجنيس الاشتقاق وفي النظم القياس الاقتراني المركب من مقدمتين
حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول ونظمه اعتقاد التثليث والبداء دعوى بلا نص و
كل دعوى بلا نص باطلة ينتج اعتقاد التثليث والبداء باطل واعلم ان فرق النصارى ثلاث
نسطورية ويعقوبية وملكانية ولكل فرقة اعتقاد قال الكلبي في التاريخ الملكانية
الله تعالى هو المسيح ابن مريم فيهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال النسطورية ان عيسى ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فنزل فيهم وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقال اليعقوبية الله تعالى اله وعيسى اله ومريم اله وفيهم نزل قوله
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد اقتصر الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم
اجمالا واكثر الكلام مع القائلين بالتثليث وهو ان الله تعالى واحد مركب من ثلاثة اقانيم الوجود
والعلم والحياة ويعبرون عنها بالاب والابن وروح القدس بقوله

ليت شعري ذكر الثلاثة والواحد نقص في عدكم او نماء

كيف

كيف وحدتم الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء
أإله مركب ما سمعنا بإله لذاته اجزاء
ألكل منهم نصيب من الملك فهلا تميز الانصباء
اتراهم لحاجة واضطرار خلطوها وما بغى الخلطاء

اي ليتني علمت ما تقولون ولا اعلم بطلانه او ليتني علمت ما اراد به عليكم اي بلغ دفع ما صدر
عنكم حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقلتم مرة اخرى هو واحد فذلك نقص في عددكم او نماء
اي زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم
الواحد زيادة التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل لانكم تارة تثبتون
تعدد الالهة وتارة تثبتون عدم تعدده ولا زالوا متحيرا منهم كيف وحدتم ايها القا
يلون بالتثليث الها نفى التوحيد عنه الاباء والابناء الذين اثبتوها في دعواكم التثليث
اي كيف ان يوحد اله مركب من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر لانا ما سمعنا باله لذاته اجزاء
او جوزوا اي بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما يحيل
تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض انه مركب من اجزاء او متعدد فيقال لهم الكل منهم نصيب
من الملك اي حظ من التصرف فهلا تميزت الانصباء فان قالوا نعم فيقال لهم فهلا وقع تميزها فلم لا تميز بالبناء
للفاعل والمفعول الانصباء اي نصيب كل من الالهة حتى يكون ذلك التمييز دليلا على ما زعمتموه
ولا تمييز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والنماء التقابل كالحاجة
والاضطرار والاماتة والاحياء الآتيات فان قالوا لكل نصيب او انصباء لا تمييز خلطوها قيل
لهم اتراهم اي تظنهم خلطوها لحاجة اي احتياج واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشيء بحيث لا
يجد منه محيصا عنه فان قالوا نعم قيل لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن
غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا
لاضطرار فلا يتصور وجود شركة داخلة بين شريكين فاكثر والحال انه ما بغى اي ظلم الخلطاء
اي الشركاء بعضهم بعضا لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد التمانع والتنازع
المستلزم كل منهما خراب هذا العالم لانحلال انتظامه بالقوة تمانعا وان لم يقع فعلا من احد
هما وان تعاونا وقع مراد الغالب فقط وتعطل مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم نظام هذا العالم
لان الغرض وقوع الشركة وعدم التمييز واحتمال تنازعهما دائما التي تجوز العقل الانظر
اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة الخطابية والخطابيات العرفية لا من شأن

النعيم الا توحيده اذ لا شريك معه ولذلك يمنع دوام الصواعق قطعا ونحن نشاهد هذا العالم
باقيا على اكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك
له مطلقا وان الاله لا شريك له مطلقا **اهو الراكب الحمار فيا عجـ**
ـز اله يمسه الاعياء **ام جميع على الحمار لقد جـ**
ـل حمار بجمعهم مشاء **ام سواهم هو الاله فما نسـ**
ـبة عيسى اليه والانباء هذا وجه ءاخر في بطلان التعدد وذلك ان عيسى
على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار قطعا وذلك بالتواتر عنه كما في نبينا
صلى الله عليه وسلم راكب الجمل وحينئذ فيقال لهم اهو اي عيسى الاله الراكب الحمار قبل فان قالوا انه هو
فركوبه يقتضي حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا فلذا
تعجب من دعواهم فنادى العجز والاعياء التعب وام متصلة لمعادلتها للهمزة اي اتقولون
الثلاثة الذين عبدتموهم الهة هم على الحمار فيقال لهم لقد جل حمار جميع الالهة اي يحملهم
عظم مشاء صيغة مبالغة من مشى ام يقولون سوى الثلاثة الذين على الحمار هو الاله فيجيب
ذلك فيقال لهم على سبيل الاستفهام ما نسبة عيسى اليه اي اخبروه عن انتساب عيسى واتصاله
به الى اللاهوت هل يوجب التثليث الذي زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه
ام ارادوا بها الصفات فلم خصـ **ـت ثلاث بوصفه وثناء**
ام هو ابن الاله ما شاركته **في معاني البنوة الانبياء**
قتلته اليهود فيما زعمتم **ولامواتكم به احياء**
اي ام اردتم بها اي بالثلاثة التي زعمتم انها الهة الصفات القائمة بذات الاله والصفة
ما دل على معنى زائد على الذات فلم خصت اي فلم افردت الثلاث بوصف الاله جل وعلا وثناء
اذ الصفة لا تنحصر في الاثنين ولا في الثلاثة والحكم على التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل
ام يقولون هو اي عيسى ابن الاله فيقال لهم لم اختص عيسى بذلك دون غيره من الانبياء وذا
على حد الصواب فكان عليكم ان تصفوا جميع الانبياء بما وصفتم به عيسى فادعاء
البنوة لعيسى تحكم باطل وقد قتلت عيسى اليهود حال كونه فيما ادعو
القول الذي زعمتم معشر النصارى والحال انه لامواتكم بعيسى احياء اي رد الروح للجسد
بعد مفارقته له لانه كان عيسى يحيي الموتى فكيف يكون من يحيي الموتى يتمكن منه من
يقتله فيتصرف فيه اليهود وذلك تناقض صريح على مقالتهم بقولكم لو فرضتم في التناقض
الصريح ولا تشعرون به **ان قولا اطلقتموه على الله** **تعالى ذكرا لقول هراء**

هذا

هذا من القول البديع الجامع اي ان القول الذي حكي عنكم واطلقتموه على الله تعالى عما
تقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا ذكرا اي تذكيرا وتعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة
او ذكرا تعبيرا اي تعالى ذكره والهراء بضم الهاء وفتح الراء العاري حيث قال في القاموس
هرا في منطقه كمنع اكثر الخطأ والخطل والهراء كغراب المنطق الكثير الكلام وفي نسخة
بالزاي من هزئ منه وبه كمنع هزءا وهزوءا ومهزاة سخر ورجل هزءة بضم فسكون يهزأ
منه وبضم ففتح يهزأ بالناس وفي نسخة بالذال المعجمة من الهذيان وهو الكلام الذي
لا معنى له ولا يصدر من عاقل **مثل ما قالت اليهود وكل** **لزمته مقالة شنعاء**
اي يجوز نصبه حالا اي يقول هراء حال كونه مثلا او
نعتا لمصدر محذوف ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف اي هو مثل ما قالت اليهود
في قولهم بالبداء والتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين وكل
من الفريقين تحقق بدعواه مقالة شنعاء اي قبيحة جدا **اذ هم استقرءوا البداء**
وكم ساق **وبالا اليهم استقراء** استقرءوه اي تتبعوه وتصححوا اما
خزوه فيه حتى قال العيساوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا نسخ ملة بملة لانه
يوجب البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها حتى ينسخ ما مضى من اجلها وقد اجمع بعض
غلاة الرافضة على ذلك ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المتكلمين
الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخا فهو ممنوع بل هو نسخ وفي الخلاف
لفظي وادعاء اليهود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الراعية للنسخ
ترجع اما للاحوال المكلفين او الازمنة ولا يقتضي ان الله خفي له شيء ثم ظهر وزعم
بعض الرافضة انه يجوز البداء عليه تعالى لوقوع النسخ منه عز وجل وهذا اغلظ من كفر
اليهود وقالت اليهود لعنهم الله تعالى الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه واما قبيح
فيستحيل الامر به والجواب ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان على تقدير تسليمهما
في العلم العادي فالقطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت واحد ومفسدة في وقت اخر ولا مانع
بان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهي بوقت كذا او فعل كذا قالوا والسمع يمنع
النسخ ايضا لان التعبد الدال على شرع موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اما ان يدل على
الدوام ام لا فان دل وضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم اليه ذلك كفى في العمل
به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم تواترا من قول التوراة تمسكوا
بالسبت ابدا والجواب انه في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر

بل قيل انه يوشع الا سنة الجبال على ان الابد كثيرا ما يطلق ويراد به الزمان الكثير
الطويل كما في مواضع من التورية فائدة ذكر الامام الرازي في المطالب العالية في
الحكمة في نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل في المعاش
والمعاد ويمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه
الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها ما
سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من الشرع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة
نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلق عن السلف صارت كالعادة وظن انها
مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من الاعمال التي معرفة الله تعالى و
تمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية
احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور
في الظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشيء
فوضع في كل عصر شريعة جديدة لينشطوا في ادائها ومن حكمه اظهار شرف
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته لا ناسخ
لها ومن حكمه ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب امر بدواء في يوم
ما وبغيره في يوم اخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الشارع اعلم واعلم ان شريعة
نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا في شريعة
عيسى هل هي ناسخة لشريعة موسى عليهما السلام او مخصصة وهو الاظهر لقوله
تعالى ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وقال الامام في تفسيره روي ان الرسل بعد
موسى عليهم السلام كلهم على شريعته الا عيسى عليه السلام

واراد لم يجعلوا الواحد القهار في الخلق فاعلا ما يشاء

اي اعلم انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ يلزمهم انهم لم يجعلوا الله يعتقدوا ان
الواحد القهار في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له يوجه ما القهار في الخلق اي
الخالق على نحو ما اراده فيه وبه تعلقوا في الخلق بما علاه يشاء لان امتناع النسخ
عليه يستلزم قهره وعجزه تعالى الله عن ذلك

جوزوا النسخ مثلما جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء

اي جوزوا النسخ جواب لو وما مصدرية اي لو
انهم فقهاء لجوزوا النسخ تجويزا مثل تجويزهم المسخ الذي وقع فيهم فانهم مسخوا
قردة وخنازير فبدلت صورتهم الى صورة اقبح منها هذا قول الجمهور وقال مجاهد مسخت
قلوبهم

قلوبهم فصاروا لا يفهمون بمنزلة قلوب القردة والخنازير

فهو الازالة برفع الحكم بالحكم وخلق فيه واثر سواء

اي ان النسخ الازالة برفع الحكم الشرعي بالحكم الشرعي والمراد بالمرفوع استمراره وتعلقه
لا ذاته لانه خطاب الله تعالى القديم المتعلق بفعل المكلف من حيث انه مكلف اقتضاء وتخيير
وما ثبت قدمه استحال عدمه قوله وخلق اي ايجاد فيه اي المسخ باذهاب الصورة الاولى وايجاد
الصورة الثانية وامرا يتصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني سواء اي مستويان المسخ فيه
رفع الصورة الاولى بالثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول بالثاني فاذا اجوزتم الاول فجوزوا
الثاني والا تبين سفهكم وعنادكم تنبيه قال ابن الحاجب في مختصره الاصلي النسخ رفع
الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر وقال في الجمع وشرحه اختلف في ان النسخ رفع للحكم
او بيان لانتهاء امده والمختار الاول لشموله النسخ قبل التمكن والصحيح جوازه والمراد
من الاول انه رفع الحكم الشرعي بخطاب والمراد رفعه من حيث تعلقه بالفعل وخرج بالشرعي
رفع الاباحة الاصلية وخرج بخطاب الرفع بالموت والجنون والغفلة هـ

والمسخ في الزمان ابتداء والحكم في الزمان انتهاء

قوله انتهاء اي غاية ينتهي عندها تعلقه وابتداء اي افتتاح فيجب امتثاله وقول الشارح
ان الناظم اشار الى تفسيرين في النسخ لا يصح لان حقيقة الرفع مستحيلة والمرتفع تعلقه
وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان ذلك في الاحكام وهذا في الذوات سواء
جعلنا النسخ رفعا او بيانا وسواء جعلنا المسخ في صورهم حتى صار اقاربهم المومنون لا
يعرفونهم وهم يعرفونهم فكان القرد يجيء الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول
له الم انهك عن المخالفة فيشير براسه اي نعم ام في قلوبهم فقط كما قال مجاهد وقد قالوا
قلوبنا غلف

وقلوبهم كالارض فيه مانع نفع للايات الله ام انشاء

في صدر البيت التفات عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اي جعلهم قردة وخنازير في الصورة
على المشهور او في قلوبهم فجعلها كقلوب البهائم لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم
على ما زعمه مجاهد او هو نسخ للايات الله تعالى وهي الصورة الاولى مع احكامها او الا
ذات الاول على قول مجاهد ام انشاء اي ايجاد لصورة مستقلة وحكم مستقل ينتقلون بها
اولا ذات كذلك فان قالوا بالاول فقد نقضوا انفسهم وهو المطلوب ولزمتهم الحجة او بالثاني
فهي مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة
للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للثانية الجديدة انشاء

او بداء في قوله يوم الاله على خلق ادم ام حكمة

اي وجهها ولا مانع نعم اذ لا ادلة في العقول مانع والنسخ
لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل
والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان
انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي وزيد
فيه متراخ ليخرج نحو الا استثناء ورد بان الكلام
لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج الى احتراز عن ذلك بهذا
القيد لو لوحظ انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما تكلم من حكم
لا يلزم عليه محذور البداء وزعم البداء باطل لا يعول عليه ومما
يدل على جوازه ووقوعه ما عليه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل
الصورة الى اقبح منها كثير من في زمن موسى لما ظهر العجل
فمسخهم الله قردة وخنازير كما قال تعالى في كتابه العزيز

أي ويسألونهم عن قولهم المروي عنهم ندم الله على خلق آدم أهو عن قصد منهم أو عن خطاء
فإن قالوا عن قصد كان غير البداء الذي أنكروه لانه يستلزم جهل الرب عز وجل بعواقب
الامور وح فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء فهذا تناقض وإن
قالوا إنه خطأ منهم فكيف يسعهم الاعتراف به على أنفسهم وأنهم في غاية الغباوة والسفاهة
وبداء مبتدأ وفي قولهم خبره وخطأ معطوف على بداء واصطه القصر

أم عند الله آية النيل ذكرا بعد سقوله يوجد الأفضال

أي ويسألونهم عن علامة النيل إذ جعلها الله تعالى ذكرا يبقى الدال أي علامة ذكرا أي علم وقصة
بعد سقوله يوجد الافضال أي الكلام بعد النهار أي فقولوا لهم هل هذا العضو أفضل أم لا
وبعد ح وقوعه فهل هو عن عهد بعد سهوا أو عن عمد ابتداء فإن قالوا بالأول التزموا
القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثاني من الترديد الأول فقد كبروا الحق من الترديد الثاني
لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ جهد رأسهم
ويبوذ كرا وسهو جناحي التطابق كرم والتطيل وعمدوا وأمنوا الاتيان

أم بذا الاله في ذبح إسحاق وقد كان الأمر فيه مضاء

أي ويسألونهم عن أمر الله بذبح إسحاق ثم نهيهم بعد أن كان الأمر فيه مضاء أي ماضيا نافذ
وفي نهيه قضاء بالفداء أي حتم برؤيا أبيه إبراهيم خليل الله تعالى عليه السلام في نومه
أمر الله تعالى بذبحه ورؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي تنبيه ما جرى عليه الناظم
رحمه الله من أن الذبيح هو إسحاق هو قول علي وابن مسعود وأهل الكتابين واحتج
له بأمرين أحدهما أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق لقوله تعالى
فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب والثاني ما روى أن كتب يعقوب
عليه السلام كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله واقتصر الناظم على
هذا القول لانه في مقام الرد على اليهود وهذا القول هو معتقدهم ومذهب أهل السنة
أن الذبيح هو إسماعيل واستدل له بثلاثة أوجه أحدها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال أنا ابن الذبيحين وأن بعض العرب قال له ذلك فأقره ويعني بهما إسماعيل وعبد
الله والد النبي صلى الله عليه وسلم حين نذر والده عبد المطلب أن يذبحه إن يسر الله له
أمر زمزم فغداه بمائة من الإبل والثاني أن الله تعالى قال بعد قصة الذبيح وبشرناه
بإسحاق فهذا يدل على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم أمر بالذبح
الذبح بمكة والذي كان بمكة هو إسماعيل وقد نص بعضهم
أن الذبيح هو إسماعيل بنص الكتاب وغيره والتنزيل

روى الحاكم في المستدرك أن الصنابحي قال حضرنا
مجلس معاوية فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق
ابني إبراهيم عليهم السلام فقال بعضهم الذبيح إسماعيل
وقال بعضهم الذبيح إسحاق فقال معاوية على الخبير
سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء
أعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة
والماء يابسا وضاع العيال فعد علي مما أفاء
الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا أمير المؤمنين وما
الذبيحان فقال إن عبد المطلب لما أمر بحفر
زمزم نذر لله إن سهل له أمرها أن ينحر بعض
ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم
لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم
فقالوا أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة
فهو الذبيح وإسماعيل الثاني وهكذا والله أعلم
والتشعيب في تعبيره اهـ

تشرف به خص الأكرم نبينا وإبانة التعبير والتأويل
أو إن المواهب جله هذا كلام حسن جدا أو ما حرم الآله نكاح الاخت
بعد التحليل فهو الزمان

هذا مما يرد عليهم أيضا إنكارهم النسخ وهو
أن نكاح الاخت كان حلالا في شريعة آدم كما تقدم ثم حرمه الله تعالى فإن اعترفوا بذلك
فهو عين النسخ وإن جحدوه فهو محض عناد لا تنكروا أن اليهود وغيرهم
عن الحق معشر لؤماء

أي قد بان لك فيهم جهلهم وتناقضهم وعنادهم فأعرض عن جهلهم وأعرض عنهم ولا تنكر أنهم قد زاغوا أي مالوا عن الحق من
جوه عديدة سمعها وحسروا معشرا أي قوم لؤماء جمع لئيم وهو الخسيس النفس

جحدوا المصطفى وآمن بالطاغوت قوم هم عندهم شرفاء

جحدوا بدل من زاغوا والمصطفى المختار من الصفوة أي المصطفى من كل نقص أي أنكروا
نبوته ورسالته بعد علمهم بها علما يقينا قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا والحال أنه قد آمن بالطاغوت أي الشيطان وكل من عبد من دون الله
أو صد عن عبادته فيطلق من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء فاعل آمن وهو كناية عن كعب
بيان العظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق إذ جحدوا الحق الأظهر من الشمس وأقروا وآمنوا
بالباطل وصدقوهم على ذلك بأعذوبهم مع ذلك من شرفائهم ثم كان النظم أرادوا
من بالطاغوت حرفه من اليهود لا كلهم وكبير كذا لك بل كلهم آمنوا لقوله تعالى ألم
تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ويصح أن يكون والذي
بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الاية حيث ويقولون أي اليهود للذين
كفروا أي كفار العرب الذين آمنوا بالجبت الخ ويدل على هذا أن حيي بن أخطب لما ذهب
إلى قريش وغيرهم ليحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أشراف من اليهود
سألوهم أخير حين دينا من محمد فقالوا نعم فعبر حوا وخرجوا للقتال

قتلوا الأنبياء واتخذوا العجل ألا إنهم هم السفهاء

قتلوا أي بعد عدوا الأنبياء كزكرياء ويحيى وغيرهما جاء أنهم قتلوا في يوم واحد
سبعين نبيا ثم أقاموا سوق معاشهم واتخذوا العجل إلها ومعبودا مع أن السامري هو
الذي صاغه لهم من الحلي الذي استعاروه من القبط فلم يغرهم والتي فيه قبضة
من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر لما
انفلق لهم لانه كان أحيى عن خوله فيعجب أن التي فيه تلك القبضة خوار فقال لهم هذا

الحكم والله موسى فرآه على قلوبهم الضعيفة كلامه فاعتقدوا الاهاً ومعبوداً كما قصه
الله تعالى علينا مبسوطاً في كتابه العزيز ومن ثم كان في كلامه اقتباس من قوله الا انهم
هم السفهاء والاحمق تنبيه لاستغراق وسع الطامع في الغاية سمعه لما بعد على مجعل
مركب والسفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى ... خفة وطيش وخفة
في رأي وانطماس بصيرة ومن ثم لم يتخلصوا التي كونه محدثاً بحضرتهم من جماد والاله لا
يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم بقوله مليحاً لما وقع

(وشيعته من سادة المن والسلوى ... وارضاه الثوم والقثاء)

سفيه خبر مقدم ومن سادة مبتدأ موخر اي اخرته والمن نوع من الحلواء كان ينزل عليهم
وهم في التيه في غاية الاضطرار والسلوى طير من اشهى الطيور لحماً وانفعها واللحم
غذاء كان يأتيهم الي ... فالبقر وا ايديهم اليه ويأخذوا منه ما شاءوا والفوم
الثوم والقثاء الخيار ونحوه وفي كلامه اقتباس من آية البقرة وبين سادة وارضاه
طباق وفي المن والسلوى والفوم والقثاء مراعاة النظير

(مليئة بالخبيث منهم تكون ... قلوب نار بجبا فقها الامعاء)

المراد بالخبيث ما حملوه من الفوم وما معه ويكون نائب مليئة ومنهم صفة لها تقدمت
عليها فصارت حالاً والامتلاء هنا كناية عن الكثرة ... عليه من الغل والحسد والغل
... والصفة هنا او المراد مليئة باجزاء الخبيث التي لا دواء له وهو الغل وما بعده والظاهر
ان المراد بالخبيث الحرام واكل السحت والربى وقوله فهو نار اي مشتعلة على ما يود
...البها وسماها ناراً باعتبار المال كما في انما ياكلون في بطونهم ناراً والطباق جمع طبق والطير
للنار والامعاء جمع معى بكسر الميم والقصر اي صارت طباق للنار اي ... ثم نار فوقه
ثم معى ثم نار فوقه وهكذا ويحتمل ان المراد ان بطونهم صارت ذات طباق بعضها

فوق بعض وطباقها امعاؤهم (لو اريد واقعاً السبت بخير)

(كان سبتاً لديهم الاربعاء) السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظموا السبت
بالسكون فيه عما عدا العبادة واصله القطع والباء في بخير قيل زائدة والاربعاء بتثليث
الباء وهذا من حيث ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو في غاية الا
شكال ووجهه ان حجر بان السبت من مادة القطع والاربعاء محل النور الحسي والمعنوي
فلو اريد بهم الخير لجعل قطعهم وطاوجعل محل عبادتهم زمان خلق الانوار التي هي ثمرة
العبادة لاكنهم لم يرد بهم خير فجعل محل عبادتهم يوم السبت المؤذن بالقطع وعلم

الاعتداد

٩٧

الاعتداد بعبادتهم وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق
الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء و
بث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق في
آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل وفيه اشارة الى ان الجميع مخلوق له
ولبنيه وهذا صريح في ان الله ابتدأ الخلق يوم السبت وبه قال كثير بل قال السهيلي
في روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير وانتصر لما قاله الفقهاء بان الخبر السابق
تفرد به مسلم وتكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه
منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً ولا يخفى ان من جعله الرفع حجة
على من نفاه ومما يؤيد انهم لم يرادوا بخير في حال السبت ان الله تعالى ادخر لهذه الامة
الجمعة المؤذنة بغاية الوصل اذ مقام الجمع هو مقام الوصل الذي هو اكمل المقامات وافضلها
وجعل لليهود السبت المؤذن بتقطيعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن ببعدهم وبعدهم
عن مواطن الخيرات والسعادات ففيه اشارة الى فضل الامة وفي الصحيح ان الله هدانا
ليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى لان اليهود لما اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد
كان الجمعة سادساً فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين
اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع يوم الجمعة
فيل ولا حجة في اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب
عنهم ولم يرد في القرآن الا الجمعة والسبت على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها
دليل لان العرب تسمي خامس العدد اربعاً وهكذا وكذا قال ابن عباس ان التاسع هو
عاشوراء ويحتمل ان يكون المعنى لو اريد بهم خير لكانت الايام كلها عندهم كيوم
السبت محلاً للعبادة وذكر الاربعاء تمثيل (فهو يوم مبارك قيل والتصريح)

(فيه من اليهود اعتداء) هذا كالاستدراك على ما عسى ان يتوهم
من ان يوم السبت مذموم لذاته فهو يعود على السبت يوم مبارك لان الله تعالى ابتدأ
فيه الخلق في قول تقدم وزعم اليهود انه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح
يوم السبت فقالوا نحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه وهذا من جملة غباوتهم
وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما

بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي من تعب تعالى عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يلحق التعب
الاحاد ذا مخلوقا لا واجبا قديما انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي من
غير كاف ولا نون وانما اذا اردنا ان نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة فهو كناية
عن ذلك قبل قوله قيل للتصريح فيه بناء للمجهول لضيق النظم لا الضعف والتصريح
التصرف فيه ببيع وغيره من اليهود اعتداء اي ظلم وعدوان كان سبب المنع كثير
منهم قردة وخنازير بصيد الحوت فيه بقرية ايلة في زمن داود عليه السلام كما
قال الله تعالى وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الاية
قال المفسرون وذلك ان الله ابتلاهم بان النهي عن الصيد يوم السبت انه يرجع خرطومه من
البحر حتى يكون مثل الشاة واذا مضى يوم السبت تفرق وتغير فاجتمع راي جماعة
منهم على حيلة بان حفروا اجوابا بقرب البحر فصارت تدخلها يوم السبت حوتا وهم
يغلقون عليه ثم ياخذونه يوم الاحد فلما علم بنو الاخبار انتهى اعتزلوا ثلاثا ثلث صادوا
منهم وثلث نهوهم وثلث امسكوا عن الصيد والنهي اما الثلث التي صادوا فيهم قال الله
تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي طرد غريبين فكانوا وما
خصاء في نجاة الثلث الناهي قال ابن عباس ما ادري ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة
لم تهلك لانها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس انه رجع
اليه واعجبه اي لان كراهتها بقلبها للمنكر تغيير له في الجملة مع قيام الفرقة الناهية
بذلك وهو من وجه الكفاية التي اذا قام بها البعض وقصر البارة فيما منع به واحرى ان لا تحقق
ذلك سقط عنهم قال مالك يوخذ من القضية المذكورة تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع
وكذا قيل ... ان الصلاة مرسلين وجاز نعلها ان الانعام على حال فهو ادبيها

فبظلم منهم وتعذر عدة حرمنا عليهم طيبات احلت لهم

الظلم وضع الشيء في غير محله كحيلتهم في السبت واكلهم الربوا واخذهم اموال الناس
بالباطل وهو متعلق بغرتهم وكثير من تعلق الاخص لزيادة الاهتمام وعد تقديم
ما تقدم وجاوزتهم طيبات من الى زواج منها الله تعالى عليهم وهذا مقتبس من
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية وتقديم قوله فبظلم
للحصر والتنكير للتعظيم او التكثير والذي حرم عليهم هو المذكور في قوله سبحانه وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبوه
وهو المذكور فيها بعد الاية وبصدهم عن الايمان خلقا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم

الربوا

الربوا وقد نهوا عنه لان الربى كان مما حرم عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه وا
كلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ومن نقصان الطيبات انه يوجد
في تركهم التي تخص الامر به ابتلاء اي اختبار ومحنة للعبد تكون في تحصيل الفلاح او هلاكه
كما في قضية الحوت المتقدمة **خدعوا اي المنافقين وهل يتبعوا**
الا على الشيعة الشقاء اي خدع بحود المرتبة وما في منعها وهو
بقرامي زاغوا الا كي ذلك عام وهذا خاص لتقييده بالمنافقين من الا ومن والخروج الى
بين الاسلام ... للكفر كما قال الله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم الاية قوله وهل يتبعو اي وما يتبعو
الشقاء الا على الصعفاء يقال تبع المتبع اذا راح اي لم يحمد ولم يبر فيه ارسال المثل واستعار
بالكناية حيث شبه الشقاء بالماطر ... في تصرف والتخييل باثبات الانفاق لها

واكانوا يقول للاحزاب اخوانهم انا معكم اولياء

المنافقين ... وجحدوا والاحزاب جمع حزب اي طوائف العرب من قريش وغيرهم من الذين
تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق وكان سبب ذلك تحريض حيي بن اخطب
وغيره من اليهود لعنهم الله تعالى اياهم على حربه صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم اي
في الكفر انا معكم اولياء اي متولون ومتفقون على حرب محمد حتى نستاصلوه فتفرقت اليهود
ذلك ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله
قويا عزيزا وملخص ما اشار اليه الناظم من غزوة الخندق وهي الاحزاب وكانت سنة
اربع في شوال على قول موسى بن عقبة او خمس على قول ابن اسحاق وغيره ان نفرا من
اليهود قدموا على قريش بمكة وقالوا انا سنكون معكم حتى نستاصله فقالوا
فعلوا معهم لذلك وذهبوا الى غطفان كذلك فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان
ابن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري في فزارة والحارث بن عوف
المري في مرة وكان عددهم عشرة الاف والمسلمون ثلاثة الاف ولما سمع النبي صلى
الله عليه وسلم بالاحزاب حفر الخندق باشارة سلمان اذ لم تكن العرب تعرفه وعمل صلى
الله عليه وسلم معهم فيه بيده ولباره اطابهم من التعب قال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة
فاغفر للانصار والمهاجرة فاجابوه نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا
وفي رواية انه كان ينقل التراب ويقول اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا

من دبابرهم تشبيه وكونه معطلا بعض من ... وزوال الشوكة ... المشبهة بالموت بانسلاخ ... تمييز الاليغرو بيعم وهو ...
استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم يتكلم على ... العطة مع ما علمته ... من الاستعارة ...
بقول المشبهة بالموت ...

لان النعي الا اخبار بالموت وفيه استعارة بالكناية اذ شبه خروجهم وكونه معطلا بعضهم وزوال الشوكة المشبه بالموت بانسلاخ مخبر بالموت وخيل بذكر النعي الملائم للمشبه به

ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الاراء

يعني ان بني قريظة منهم خدعوا واعانوا يوم الاحزاب وهو غزوة الخندق اذ جاءت قريش وغطفان وغيرهم بعشرة الاف ونزلوا على المدينة من اعلاها واسفلها اذ زاغت الابصار فيه وضلت الاراء وكان المسلمون ثلاثة الاف وجاء حيي بن اخطب الى بني قريظة وراء بيسهم كعب وقال جئتكم بعز الدهر وان العرب عاهدوني لا يبرحون حتى يستاصلوا محمدا واصحابه فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ المسلمين ذلك وعظم البلاء واشتد الخوف واتاهم العدو من كل جهة حتى ظن المسلمون كل الظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال ... قال الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله الاية

وتعدوا الى النبي حدودا كان فيها عليهم العدواء

يعني ان اليهود تعدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حدها الله تعالى لهم ومنعهم من تجاوزها فلم يقفوا عندها واذوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان عليهم في مجاوزتها العدواء اي العصيان بوقوعهم في الهلاك وبعدهم عن النجاة او المراد بالمتعدين مطلق الكفرة فيشمل المنافقين وغيرهم من اهل الكتاب والمشركين واحد الكفرين من قوله كان فيها عليهم العدواء خبره الاخر حال ويتعدوا او العدواء جناس الاشتقاق وكذا بين نهتهم وانتهت والبذى والبذاء والخيل والخيلاء واكرى وكراء وعفا ومعفوا وسوى وسواء والجحف والجحون والحلم والحلوم الا ...

ونهتهم وما انتهت عنه قوم فابيد الامار والنهاء

اي نهتهم اقوام منهم المعتبرون عن الاضرار على اذاية النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفته وما انتهت عنه اي عن مخالفته وايذائه قوم بتنازع ... وانتهت فبسبب ذلك ابيد اي اهلك الامار جمع امر منهم باذايته والنهاء جمع ناه اي عن انتزاعه لبغاء كل من العرب يقع على ... الامار والنهاء جناس ... وما انتهت وكذا الغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والسلام والاقراء والتنابير والوجاء الانتباه

وتعاطوا في احمد منكر القول ونطق الاراذل العوراء

يعني ان الكفار لعنهم الله تعالى تداولوا في النبي صلى الله عليه وسلم ما ينكر من القول

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم على الاحزاب قوله اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وروى احمد عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وروى انه صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه وتعالى يرسل عليهم الريح رجالا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا ارجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها

اذ حال القوم وخال العوم وانه ادرهم ذاتغالهم العلقاء

اي حال العوال اليهود ... على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وخال القوم ... عنهم واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم كما ذكره ابن حجر ويحتمل ان يراد حال قوم المنافقين ويشعر له ما بعده وقوله ولم ادر لماذا تغالهم العلقاء فيه تجاهل العارف وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق المجهول اعطاء للاصلاح على النكتة سببه ذلك كالانكار والتوبيخ عليه وان كان كذا وهو هنا ان الله تعالى اراد خذلانهم بتحيرهم كلهم واستئصال دابرهم

اسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء

اي اسلم المنافقون كعبد الله بن ابي واصحابه وتركوا اليهود وهم بنو النضير لاول الحشر لا ميعادهم اي المنافقين لليهود انهم ينصرونهم صادق ولا الايلاء اي ولا حلفهم صادق قال تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر الاية اي في اول حشرهم واخراجهم من جزيرة العرب الى الشام وانما كان اولا لانهم لم يصبهم مثله قبلهم وكان حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر منهم ومن اطلعها الى الشام او في اول الحشر الناس كلهم للشام لانها فيها تحت يعد ذلك بقليل وفصلها الناس لا فاتتها وعليه فيكون حشرهم بها عند قيام الساعة لا لانهم اول العشر

سكن الرعب والخراب قلوبا وبيوتا منهم نعاها الجلاء

المراد بالرعب هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخوف انتقامه منهم والخراب ... خراب العمران ... البيت له ونشره ... ونعاها الجلاء نعت لبيوتا اي اخبر بها الجلاء وهو خروج اهلها منها لخرابها الذي هو موت معنوي

شرعا العبادة وحلع عليه حضرتهم وعزا وتعم له عليه الصلاة والسلام وكانت اليهود لعنهم الله تعالى تعرض للنبي براعنا ونحوه حتى نهى الله تعالى عن ذلك وقال المنافقون يوم الخندق يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وان احدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب الى الغايط ورماه المشركون بالسحر الى غير ذلك مما تكرر ذكره فظلما وتكلم اي منطوق الاخصاء الكلمة الفصيحة اي شان نجم العصفين

ارجي خير بريقهم الخلق السوء شقها والبلة العوجاء

الرجى الغدر اي كل غدر وعيب فانهم يتهم بزيدهم ما جبلوا عليه وهو الخلق السوء يقبح السير ومتحها اي الفيح شقها يفتح السين من شعب بالفم شعابها وشقاقة وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وضعفه ويزيده ايضا شقاقة ويعدا عن الخير الملة اي الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب العوجاء اي الباطلة بتقطاعد جسعهم بسوء خلقهم وفساد معتقدهم فيهم به نهاية البعد عن الخير شبهها بطريق عوجاء لا يهدي سالكها الى مطلوبه بل يتيهم ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية واثبات العوج تخييل

فانظروا كيف كان عاقبة القوم

وما ساق للبغي البذاء

اي تاملوا ايها العقلاء الحنفاء كيف وقع عاقبة اي مال ومصير القوم الذين تعدوا الحدود وخالفوا ما امرهم به المعبود وكفروا وتعاطوا في نبيهم صلى الله عليه وسلم تشبيع القول من مثالبهم التي خزي في الدنيا ومصيرهم الى عذاب الاخرة وانظروا ايضا ما ساق للبغي البذاء الفصاحة اي ما حشر النطق بذاء وبما في جعفه والمصوق له لم يتخلص عن سطوة المراريس وفيه تشبيه البذي بدابة مسوقة والبذاء بما يفعل على سبيل الاستعارة المكنية واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعلا وللبذي على جهة كونه واقعا عليه تخييل

وجد السب فيه سما ولم يدر اذ العيم في مواضع صاء

فاعل وجد يعود على البذي والسب الشتم وضمير فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالعم القاتل المعروف وبينه وبين السب الجناس المضارع ولم يدر ذلك البذي ان السم هو غير السم القاتل لو فتحه لعطاء العيم بانه في مواضع من كلام العرب جاد تعليلية والعيم مبتدا وباء خبره اي يتفارضان ويتعاقبان وفي مواضع حال من الخبر وذلك كقولهم في بعد فيه وفي بكر مكرو في ما اصحك باصحك وهي لغة مازن بن ربيعة وقد سال الواثق رجلا منهم بقوله باصحك فقال بكر فعطس لذلك وانه نجيب فعفته لاتفقاد العقاد ذلك والمعنى

ان سبع اهلكهم كما يهلك السم بل اكثر وابلغ لان هلاك السم في الدنيا وله اد وية تزيله وهلاك السب في الدنيا والاخرة ولا دواء له الشم

كان من فيه قتله بيديه فقوه سوء فعله الزباء

كان نافصة واسمها قتله وبيديه الخبر ومن فيه اي فم البذي هو حال من الضمير المستتر في الخبر ومن تعليلية اي من اجل ما صدر من فيه كان قتله بيديه وقتل الانسان نفسه اشد من قتل غيره له فسبب ذلك هو اي البذي القاتل لنفسه في سوء فعله بنفسه الزباء اي شبيهها وهي المراة المشهورة في العرب كان جذيمة الابرش الملك قتل اباها ثم احتالت عليه حتى قتلته ثم احتال عليها ابن اخته عمرو بن عدي حتى تطبع بها ولم يتمكن منها قتلها ولكن خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدي لا بيد عمرو وحق ما من تعذيبه اياها وقصتها مشهورة وفي غيرها دبوان مذكورة

ام هو الفيل فرصها علية الحتف وللشقاء والدائكات

هذا تشبيه اخر للبذي في عقوبة سوء فعله كالفيل تبعد الغير بالوجب الحتف اي الموت اليها عن اصعدها والحال ان لصعدها البحر ثم انكفاء اي جرح ولا قتل ولا تاثير فوق الملمسوع وكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سبب الهلاك لهما

صرعت قومه حبائل بغي مدها المكر منهم والدهاء

صرعت فعل اي الفت وفاعله حبائل جمع حبالة وهي التي يصاد بها ونا صبها يسمى الحابل وقومه مفعوله والبغي الظلم والمكر ايطال السوء مع اضمار خلافه ومنهم حال من المكر والدهاء بالمد وهو العقل المكر وجودة الراي والمعنى الفت قوم النبي صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم ولم يومنوا به فقتلى بين يديه تشباك ظلم مد تلك الشباك اليه المكر الصادر منهم والدهاء اي رايهم العايد وفي كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صلى الله عليه وسلم صرعى بين يديه بصيود مطروحة بين يدي الصايد ومن حيث تشبيه البغي بشبكة الصايد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصايد كما يقتضيه نسبة المد اليهما اوحبال الشبكة التي يمد بها الصايد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وتجريدية بذكر الصرع اللايق بالمشبه وبه تعلم ان في كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء تعم وترشح لها او خيل بذكر الحبايل والمد والثانية تشبيه البغي بالشبكة وخيل لها باثبات الحبايل

له ورشح بذكر العدو وجرد بذكر الفرع الملائم للبغو والثالثة تشبيه العكر والعدا
هلاء في الصائد علو ما مر وخيل بإثبات الصيد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الفرع في
هلاذ لا مانع من اشتراك مكنيتين أو أكثر في شيء من الشيء الواحد تخييلا أو ترشيحا
أو تجريدا للكل اعتبارا عند الكل على حدته بها بيانا بسيطا

وانتحت خيل النبي الحرب تختال وللخيل في الوغى خيلاء

أي قصدت مكة ودهاتهم انتحى من قبله صلى الله عليه وسلم خيل تتبختر بها راكبوها
تيها وعجبا وللخيل التعاظم وعليها الشجعان في الوغى أي الحرب خيلاء أي كبر وتبختر
وترفع وهذا كناية عن نيل والكفاح الذي مع إعانتهم بنو الحرب صلى الله عليه وسلم وحالوا الخيلاء
أمره بعد الله جمعهم وقتل صناديدهم والضحى أمره عليهم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله
ولا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيد الأعداء وبالله عليهم وكيدهم وهو الذي أيده بنصره
وبالمؤمنين

فصدت فيهم القنا فقوافي الطعن منها ما شانها الإيطاء

أي قصدت في أبدانهم الفناجع فتاة أي الرماح وفي هذا الاستعارة المشهورة في قوله تعالى
جدارا يريد أن ينقض فأقامه ولا يبالي في ذلك عند كثير من أنواع المجاز باعتبار أن جهة
إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه وهي الإرادة التي هي من صفات الحيوان لأن ذلك مبني على
تشبيه ميله للوقوع بإرادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل جوز
المجاز التشبيه فتقول فيهما الاستعارة وهل هو مجاز لغوي أو عقلي خلاف والأصح الأول
لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأعم منهما فأسد في رأيت أسدا يرمي موضوع
للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجريء والقوافي جمع قافية والطعن الضرب والمراد الطعنات
المتواليات المشبهة بالقوافي في تتابعها حال كون ذلك الطعن منها أي
من تلك الرماح ما شانها أي عابها الإيطاء وهو تكرير القافية لفظا و
معنى قبل سبعة أبيات وهو معيب عندهم لأنه يدل على عي الشاعر وقصوره وكذلك
هذا في الطعن لأنه يدل على قصرها عن الشجاع وعدم تمكنه أي فلم يوجد في طعناتهم
ما يطعن فيها مما يشبه الإيطاء وفي بعض النسخ وقوافي الطعن منها من فطانة الإيطاء
فيكون قوي وصار ماض على لغة طي لأنهم يبدلون في كل فعل معتل الآخر على وزن فعل
بكسر العين كسرته فتحة والياء ألفا كعصى ورضى قال في الكافية

والكفر متجارة والنبل العلا لطي تخفي أرذ ذمه خفاء

السيم فاعل قوا ومنها بمعنى بها والمعنى قوافي الطعن بها من عادته الكرة على العدو
بعد الكرة

وأثارت بأرض مكة نقعا ظن أن الغدو فيها عشاء

جا على

بأن أثارت عائد على الخيل أي رفعت تلك الخيل الغبار كثير في معاملة الحرب بأرض مكة
نقعا أي غبارا أظلم الجو حتى ظن الغدو ومن أجل تلك الخيول التي أثارت ذلك النقع
وقت عشاء وفيه تلميح إلى قوله تعالى فأثرن به نقعا وفي البيت إشارة إلى غزوة
الفتح التي هي الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وجنوده
وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين
وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل
الناس في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه
وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية وإنه كان قد
وقع الشرط أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل
ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم
ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة
حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل
ابن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير
فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم
ولم يتركوا القتال وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية وخرج
عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت
إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من العرب
كأسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع فجمعهم من وافاه بالمدينة ومنهم
من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثني عشر ألفا
وجمع بأنه خرج بعشرة آلاف ثم تلاحق به الألفان واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم
واتفقوا على أنه في رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان العباس قد خرج قبل ذلك
بأهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان
قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم راض عنه وكان
ممن لقيه بالطريق أبو سفيان بن حارث بن عمه عليه الصلاة والسلام وكان معه
ولده جعفر فأسلما قبل دخول مكة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفطرا حتى بلغ قديدا
عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فأمر أصحابه

ولما أحس أبو سفيان بعجزهم جاء إلى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة فلم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم

فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره فهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم
فبعثوا أبا سفيان بن حرب وقالوا إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فخرج أبو سفيان بن
حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر أفزعهم
فمر بهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان رضي فلما سار قال للعباس احبس أبا
سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه
وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار
قال ما لي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى مرت قبيلة لم ير مثلها قال من هذه
قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم
يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار
بالمعجمة المكسورة فبئس معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه
وقال ابن إسحاق زعم بعض أهل العلم أن سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة
فسمعه رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما نأمن أن يكون لسعد في قريش صولة فقال
لعلي أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي
سفيان قال ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال فذكره له فقال كذب سعد هذا يوم
يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز
رايته بالحجون وفي حديث موسى بن عقبة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام
على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا
يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل
من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار
في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم واندفع
خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة و
ناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا
وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل إلى
باب المسجد حتى دخلوا الدور وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البارقة فقال ما هذا
وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم
فقال قضى الله خيرا وعند ابن إسحاق فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت
نفس

نفس العباس لأهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحدا فيعلم
أهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم
ابن حزام وبديل بن ورقاء فنادى أبا سفيان فأردفه خلفه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة وجمع بينه وبين ما تقدم بأن الحرس لما أخذوه
استنقذه العباس ويروى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان دعني أضرب عنقه فقال
العباس يا رسول الله إني أجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به إلى رحلك فإذا
أصبحت فأتني به فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي
أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني
شيئا ثم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما
أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي نفسي منها شيء فقال له العباس ويحك أسلم
واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة
الحق فقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا فقال نعم
وأمر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان
فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في
كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير ووضع صلى الله عليه
وسلم رأسه تواضعا لله لما أكرمه به من الفتح حتى إن رأسه لتكاد تمس رحله شكرا وخضوعا
لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لنبي قبله ولا لأحد بعده وقد ذهب مالك وهو
الذي تدل عليه أحاديث الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يومئذ غير محرم وفي هذا
اليوم اغتسل في بيت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب وصلى الضحى ثمان ركعات خفيفة
وكان دخوله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلاثمائة
وستون صنما فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل
كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن
طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه
وسلم يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان
لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ

وذلك قال ابن عمر ثم وعرفت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا الحنث يومئذ
ان الامير سيصير اليه ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فاتيته به فا
خذه ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله
استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني
فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قلت بلى اشهد انك رسول الله وصعد صلى الله
عليه وسلم على الصفا ورفع يديه للدعاء فقالت الانصار فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقيم ببلده فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم واقام
صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة او سبع عشرة او ثمان عشرة او تسع عشرة يقصر
الصلاة انظر المواهب **اذ جمعت عند الحجون وافترى عند اغتنابه العدا كداء**
الحجون بفتح الحاء المهملة جبل المكان على مقبرة مكة المعصمات بالمعلات وذلك هو
كداء بالفتح والمد ومن هناك دخل النبي صلى الله عليه وسلم وقال للزبير وقد قدمه قبله بين
معه من المهاجرين والانصار اركز الراية عند الحجون واجتمعت اي كعبة او نكشفت هيبته عند ذلك
البقع القفار والمراد بعض اجمع اهل الحجون من قريش الزبير بل هيبته فلم يقاتلوا بل
نكصوا عنه ولم يعز ضواله واكدى اي قطع وعند اختيار المقبل حال من كداء وبفتح الكاف
والمد بلغة ضعيفة اي وطلعوا اهل كداء قتال الاقبيلا ثم قطعوا وفروا وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر خالد بن الوليد سيف الله تعالى رضي الله عنه ان يدخل بالخيل من اسفل
مكة من كدا ويغرز رايته عند ادنى البيوت وان لا يقاتل احدا ان جنح بالقتال فقا
تلهم حتى اذا خلعهم البيوت بل والمسجد ثم كف وقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك لم قاتلت وقد نهيتك فقال كفت يدي ما استطعت فقال قضى الله تعالى خيرا
ووددت او جعلها وثبوتا من صنعا الاكفال والافواه
اي احاطت واهلكت تلك الخيل او جعلها من الناس بها قتلت او المراد ما هو اعم فيدخل
من قتل ممن اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين
متعلقين باستار الكعبة وهم ستة رجال واربع نسوة منهم ابن خطل ومقيس بن صبابة
والبيوت جمع بيت مثل العنكبوت ومراد تعبيرهم منها الاكفال وهو الخالقية بين عجاء
الافواه كلا ان يكون روي بجيعا ميما والاخرباء وتعل العكر المراد به هنا ميثا من قتل
من قريش واتباعهم وهم اثنان وعشرون للازهر ونحوهم عليها او ما نالته الخيل لهم
زهير من الكفار اذا ما ل او ماتل او انكفات تلك الوجوه على اقفا ربهم من الموصنين يجمعونهم

ويجبرونهم

٩٨

ويجبرونهم والافواه جمع فوه افوى الشاعر اذا قال قولا شعرا يرفع بيت وجرا من
افواه الزاد اذ خلف والمراد جمع اهلها التي مكان يامنون فيه على انفسهم اوخلف
بيوت من قتال منهم وتباعد ربه كلامه من قوله فصرت الى هنا يعلم انه استعار الافواه للشعر
الشنايع ورشح بذكر الانجاء ولم يذكر البيوت ترشيحا للبيوت الشعر الرشيح بها وبذكر
ما يختص بها من الاكفاء والافواه الى الاستعارة الاولى وجعلها تورية ولو نكتة مرتب لان
الاكفاء راجع للوجوه والافواه راجع للبيوت **قد عهدا عهد الخيم البرية والعفو**
جوار الحليم والاغفاء اي ناد واكثر الخلق حلما وهو الصفح عن الاساءة
وترك العقوبة للمسيء وهو النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه العفو والصفح عن ظلمهم وا
ساءة تنعم اليهم وابتدائه انه لا يشبه غيره والعفو اي الصفح وعدم المواخذة بالذنب
جواب الحليم اي العافل العفاة من الحلم وهو الاناة والعقل والاغفاء اي التغافل عن العورات
وعفونها واصلم ارخاء الجفون من الحياء وفي القاموس واغفى ادنى الجفون وعلى الشيء
سكت وفي ذكر الحليم والعفو والاغفاء مراعات النظير
اذ شرود الفرنس النعمير قرابة قطعتها التراث والشحناء
اذ شروده اي ساوى العفو بالقرابة الحسنة التي بينه وبين سائر بطون قريش
وهو ولد فهر بن مالك وهو قريش او ولد النضر بن كنانة ومن لم يكن من ذريته فهر او النضر
على القولين فليس بقرشي وقطعتها اي والتراث بفوقيتين جمع ترة وهو الطلب في الدم
وفي الصحاح والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك دمه تقول وتره يتره وترا وترة والشحناء
العداوة والبغضاء التي كانت منهم له صلى الله عليه وسلم **فعفا عفو قادر لم ينغصه**
عليهم بالمضي منه افتراء لا عفو عاجز الا عن قدرة وكله صلى الله عليه
وسلم قادرا على استيصالهم ولم ينغصه اي لم يكدر ذلك العفو عليهم افتراء اي تهديد منه
يستعبدهم على ذلك ابتداء من اغرى الكلب بالصيد اذا حمله عليه واغرى بينهم العداوة
القاها وفي القاموس واغرى الله تعالى عليه العيش ونغصه عليه كدره فتنغصت
معيشته تكدرت وبما مضى منهم صلة لاغراء تقدمت عليه فهار حالا والمعنى لم
يكدر عفوه عنهم اغراء يتعلق ببعض الواقع منهم فيما مضى او انه نسبه منهم حتى يلعوا
في اذاية مما لا يحمله غيره وخلاصة ما اشار اليه انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد
من يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ومجده بما هو اهله
عز وجل ثم قال ايها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام

بحرمة الله تعالى التي بيوم القيامة لا تحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما
أو يعضد بها شجرا فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا إن
الله تعالى أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أحلت لي ساعة من نهار يعني من الفجر إلى
العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب ثم قال
عليه الصلاة والسلام يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم
قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فأنتم الطلقاء من القتل والاسترقاق وفي رواية قال لكم
أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

وإذا كان القطع والوصل لله ٭ تساوى التقريب والإقصاء

إذ إذا كان قطعه ووصله صلى الله عليه وسلم لله عز وجل استوى لديه تقريب الأقارب والأباعد
وإقصاؤهما ولم يتميز بأحدهما قريب ولا بعيد لأن النظر لله تعالى ولامتثال أمره
لا لغيره ولا التفات لما سواه من مخلوق وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وهذا من القول البديع الجامع فقوله

وسواء عليه فيما أتاه ٭ من سواه الملام والإطراء

الجر وإن في البيت حالان من المبتدأ أو هو سواء أو الخبر وهو الملام بفتح الميم وهو
العتب والتعنيف والإطراء المدح بالمبالغة لأنه لا ينظر إلى نفعهم وإنما ينظر إلى
نصرة الحق في خلقه بما أراد منهم أي مستو عنده ما جاءه من غيره من الملام والإطراء
لما تقدم تنبيه ما تقدم للناظم هنا من العطف بعد سواء بالواو ودون همزة الاستفهام
لغة جرى عليها العلماء في كتبهم وذكرها صاحب الصحاح فقال تقول سواء علي قمت
أو قعدت وصاحب القاموس فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو أي ذوا استواء
واستويا ونقل ولا بأس ثالثا وذكرها سيبويه كما قال صاحب البديع عند إذا كان بعد
سواء همزة الاستفهام فلا بد من أم اسمين كانا أو فعلين وإذا كان بعدها فعلان
بغير ألف الاستفهام عطف الثاني بأو تقول سواء علي قمت أو قعدت وإن كان
بعدها اسمان بلا ألف عطف الثاني بالواو تقول سواء علي زيد وعمرو وإن كان بعدها
مصدر كان الثاني بالواو وبأو جميعا عليها أدى وقع ما عليه الفقهاء وانه مع قول ابن
هشام إن ذلك لحن وإن ما في الصحاح تصحيف وأن قراءة أو لم تنذرهم من الشذوذ يكان
فاستحضر ذلك وإنه مع قاله ابن حجر

ولو أن انتقامه لهوى النفس ٭ لدامت قطيعة وجفاء

أي لو كان ذلك لهوى النفس ومراد لا لله
تعالى

تعالى لدامت قطيعة لرحمه وجفاؤه لبعدهم ولكن لما كان انتقامه لله تعالى دون نظر
للهوى وصلهم ولم يعاملهم بما سبق منهم من محاربته في غير مرة وقتل الصحابة الكرام
والتمثيل ببعضهم في أحد وقتل عمه سيد الشهداء سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه وعمه
وشج وجهه الشريف وكسر رباعيته الكريمة وغير ذلك من أذايته ثم عفا وصفح لما
أمره الله تعالى وجبله عليه حيث أسلموا لأن الإسلام يجب ما قبله

قام لله في الأمور فأرضى ٭ الله منه تباين ووفاء

التباين التخالف وهو راجع لأعداء الله تعالى كالوفاء للأولياء وحاصل البيت أنه عليه
الصلاة والسلام لا يغضب له على غير ضربه

فعله كله جميل وهل ينضح ٭ إلا بما حواه الإناء

أطرب السامعين ذكر علاه ٭ يا لراح مالت به الندماء

النضح الرشح والطرب السامعين أبهجهم على
الطرب وهو خفة وأريحية تعتري الإنسان عند سماع ما يسره ذكر علاه أي كمالاته
ولام يا لراح للتعجب لأنها للاستغاثة وتسمية الخمر راحا لأن شاربها يرتاح ويبرتاح من هموم
الدنيا ما دام سكرانا بها ولا حاجة للاستشعار هنا بالمعنى في السكران أنشد الفاضل عبد
الوهاب

زعم المدامة شاربوها أنها ٭ تنفي الهموم وتصرف الغما
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا ٭ أن السرور لهم بها تما
سلبتهم أديانهم وعقولهم ٭ أرأيت عادم ذين مغتما

ومالت سكرت وتواجدت وذكر ضميره العائد على الراح لأنه مستعار لذكر علاه وهو
مذكر لفظا ومعنى وفي الخمر تعيينها لغة التذكير وإن كان الأشهر فيها التأنيث و
الندماء جمع نديم بمعنى نادم أي شاربوا الخمر ونادمه منادمة وندامة جالسه على
الخمر وفي هذا الاستعارة تصريحية وترشيحية لأنه شبه ذكر علاه في إطرابه السامعين
بالراح في إطرابها الشراب بجامع ثم فأن يذكر ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء

النبي الأمي أعلم من أسند ٭ عنه الرواة والحكماء

النبي خبر مبتدإ محذوف والأمي نعت نسبة للأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب على
أصل ولادة أمه أو مثله كان الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبة للحرم القرى وهي
مكة شرفها الله تعالى وقيل غير ذلك ومع ذلك فهو أعرف العارفين وأعلم من أسند
عنه الرواة والحكماء والرواة جمع راو والحكماء جمع حكيم وهم العلماء الذين يضعون
كل شيء في محله فهو من عطف الأخص على الأعم هنا وقد قال ابن الفاكهاني في الفجر المنير

كونه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب يظهر سره من ثلاثة أوجه الأول أن يتحقق الأئمة
العارفون بأنه عليه الصلاة والسلام لم يكتب كتابا قط ولا تعاطى ذلك ولا تعلمه وأن القرآن العظيم
والكتاب الكريم منزل بلا علاج ولا اكتساب فيقع وجه الصواب ويتبين اللبس والارتياب
الوجه الثاني أن الكتابة علاج ضروري لأجل حضور الأدلة على استيعاب حفظ ما
يتعين حفظه والكتابة تنفع في حصول هذا الغرض فأعطى الله نبيه من الحفظ
والذكر ما يستغني به عن الواسطة كان ذلك أشرف في حقه عليه الصلاة والسلام وأرفع قال الله تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى فكان
الضمان لحفظ القرآن والعصمة من النسيان والوعد بالقدرة على البيان أجل من التسبب
في ذلك بكتابة يخشى بها العلماء ونائلتها الأرضة وهي بعدُ كثيرة للأسباب كثيرة و

الوجه الثالث أن الكتابة تصوير وتشكيل وتخطيط ومقامه عليه الصلاة والسلام أعلى من أن
يتعاطى بنفسه ما يطلق عليه اسم التصوير وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن التصوير وشدد
فيه ثم هي وإن كانت فضيلة فإنما كانت فضيلة لحاجة من اتصف بها إليها فهي فضيلة
تستلزم نقيصة وغضاضة ثم يكون الأفضل لمن رفع الله تعالى قدره عن هذه الطبقة عدم تلك
الفضيلة الممتزجة بغضاضة الحاجة حتى تكون فيه فضيلة متمحضة متخلصة وأيضا فإن الكتا
بة صناعة ولهذا بعث وقد نزه الله تعالى نبيه عنها فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون فإن قلت فقد أطلق الله تعالى
علم الكتابة على ما قال ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب فجعل الكتابة علما وأثاره
وأضاف تعليمه إليه قلت المراد هنا أحكام العقود المكتوبة والعلم بشرائط الوثائق
في العرف لا نفس رسم الخط فإن قلت قوله تعالى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم
ما هو قلت المراد علمه المعلومات المكتوبة بالقلم لا نفس الكتابة هذا معنى كلام ابن
العنبري

وعدتني ازديارها العام وجناء ومن دون قصدها [illegible] الوجناء

ازديار افتعال بمعنى الزيارة أي زيارة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام الحاضر والو
جناء الناقة القوية من الوجين وهو ما غلظ من الأرض ومنه الوجناء للناقة الشديدة ومنه
[illegible] ووعدها هو عودها تلك الوجناء [illegible] وفيه إخبار عن الصادر حال من كونه
مجازا

[illegible] بطيه [illegible] الأفلاء

إن الطيبي [illegible] ترك الزيارة فلا نص الصادر لكونها اقتضائه أي طلبه إياها منها وفيه
ضرورة ارتكاب انفصال الضمير مع إمكان اتصاله لأن اقتضاء مصدر مضاف للفاعل وهو

فصور

وغرضة

البا والمفعول هو الفاء [illegible] الإضافة [illegible] لا يجتمع فيها أداتا تعريف وهو الإضافة الى
كل من الضميرين والإبقاء الى شيئين وإضافة المصدر محققة الاعلى قول ضعيف أن إضافة
المصدر الى [illegible] ومنصوب لفظية فيه ذلك ولا يجتمع أداتا تعريف بها وقوله تطوي
بالبناء للفاعل أو للمفعول والأول أولى إذ يلزم على الثاني الحكم [illegible] بزيادة ما خلافه
على الأول [illegible] المفعول والأفلاء خبر مبتدأ محذوف أي والذي بيننا هو الأفلاء وعلى الثاني
هو النائب عن الفاعل [illegible] بيننا أي بيني وبين من وعدتني الوجناء بازدياره وهو النبي
صلى الله عليه وسلم والأفلاء الصحارى أي تنقطع الناقة الموصوفة المفاوز التي بيننا و
الفلا موضع [illegible] الصحراء الواسعة الجمع [illegible] وفلوات [illegible] وجمع الجمع أفلاء [illegible]
البيدا وخلفها

[illegible] الألوف [illegible] البطحاء [illegible]

الألوف بفتح الهمزة مبالغة من ألف كعلم والبطحاء [illegible] مسيل متسع فيه دقاق الحصى
والباء متعلقة بتطوي أي تنقطع الأفلاء التي بيننا [illegible] كثيرة الألف لبطحاء مكة أو بطحاء
بلدنا [illegible] لأن [illegible] وهو [illegible] من الوجناء الذي هو الانتزاع من أمر فيه
صفة أمر أي مما ثلاثة فيها مبالغة لكثرة في ذلك الأمر [illegible] وبدا الموجود منكم
وقوله [illegible] البطحاء [illegible] مكة شرفها الله تعالى [illegible]
لها على الاحتمال الأول والشدة تشوقها الى التملي [illegible] والتمتع بتلك الآثار وقوله
[illegible] جمع [illegible] وهو جمع [illegible] بين الوردين والعشرين
والمراد أنها راضية بما أصابها في طريقها من شدة العطش والمشقة المؤدية الى التلف
في جنب ما طلبته في تلك الحضرة من مزايا الإنعام ولطائف التحف والإكرام

[illegible] العقيق أو خلاء

انكارها [illegible] البطحاء دون الأبنية [illegible] وكسرها أي بجزع وتنبا
عد ما [illegible] العقيق أو خلاء أي فضاء [illegible] الشارح الجوجري [illegible] وهو بعيد
لمقابلته البناء به

[illegible] البركة [illegible] الخضراء

[illegible] من [illegible] وهو الماء العذب أو المناهل على مباركها وهو جمع
مبرك وبركتها بكسر [illegible] موضع بقرب مصر والبركة في الأصل الحوض ومستنقع الماء
[illegible] على مبارك تلك الوجناء من الماء العذب [illegible] وغيرها [illegible]
ابن حجر البركة هي أول منزل بطريق الحجاز يجتمع فيه الحجاج للتأهب لسفرهم ولذلك
كان مجمعا عظيما يجتمع فيه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لأن [illegible]

فيها زمانا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها الشيخ الشبوكي رضي الله تعالى عنه من نحو
سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرءون القرءان فعادت بركته عليهم حتى
ذكر بعض طلبته مصرا وكان يوما في الجامع الازهر اذ اشتهى زيارة امه بالعجم وهو
ثم فاستاذن الشيخ في السفر لذلك فلم ياذن له فدخل الى خلوته والناس يقرءون القرءان
على بابها فرءا نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعد
ها بالايام والليالي ثم اشتاق للشيخ فرءا نفسه في خلوته فخرج فرءا القراء في القرءان
في تلك المرة نحو ربع القرءان وهذا من بعض كرامات اولياء الله تعالى فيكون ان الله
تعالى يطوي لهم الارض ويوسع لهم في الزمان ووقع لهم من نظاير ذلك ما لا يحصى وانكار
اتساع الزمان القليل دون طي الامكنة تحكم لان كليهما من حيز الكرامة فاذا جاز
احدهما جاز الاخر فتامله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنية وبساتين
ولا زالت تتسع ببركته حتى صارت الان قرية كبيرة قوله في البويب بالتصغير مو
ضع بحر البركة والخضراء بفتح الخاء المعجمة وهو قرية بالجبل المسمى الان بعجرود
قيل ما به معقود ولهم الملح فيه موجود وهو حصنان متقاربان مبنيان بالوثيق
بناء وفي احدهما بير كبيرة تسقى دايما بالبقر ويجري الماء من البقر الى ثلاث برك
خارجة وفي الحصن المذكور بير عسكر لا يجاز فيها ابدا وكذلك غيره من البنادر في كل
سنة بيات قوم فيه عند الذين كانوا ولهم جراية من بيت المال على ذلك وضمان هذا البنا
در ان يخزن فيها الطعام على الدوام ليحمله الركب في الذهاب والاياب

وعقاب البويب التي تليها فيها البيعة والخضراء كرز قد عجزنا عن زواره

ايضا جواز العقاب تصويرا لذلك لا كما ادرهاية بين من تعقة شعبت بالعقاب البيض الحمر
رعة والتي تليها يعود ضميرها المؤنث على الخضراء وبير العلا موضع فيه بركة
ماء تصلى من بيت المال وماؤها احسن من التي قبله وكذلك قال والركب قد ابلوا رواء
اي مستريحون عندها وقت القيلولة ورواء بكسر الراء جمع ريان وهذا هو البندر العر
وفي بيندر النخيل وهو قلعة حصينة فيها بير نظيفة شيعية ماؤها عذب بارد
قريب البنادر والوارد لا تنزح ابدا يستقى منها بالبقر الى برك خارج الحصن وهي
ثلاثة مثل التي في عجرود الا ان هذه اعظم منها وتقام الى جانب الحصن سوقا كبيرة
خيرا تنعا نامية وفيها كثير من الفواكه الشامية وعقبت ايلة وعقبتها وقت

ولقيت ايلة القصرة الدهي ايضا ابو عقبة عقبة ايلة وهو عقبة ذات

كئود

كئود صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين في قرية على شاطئ البحر في
سفح جبل وبها ابار كثيرة وسوق كبير يحضره اهل غزة بانواع الفواكه والنع
والاعراب بالتمر والعسل والنعم وقد ذكر المفسرون ان القرية التي كانت حاضرة
البحر هي ايلة ويقال ان وراء الجبل الكبير المشرف على العقبة الغربية بلدة فيها
نخل وماء الا انها خاوية وفي هذه العقبة قيل يطوي بها ايلة الجبل وعقاب لا يرتقي
فيها الشغال عقاب فكانما الماشي عليها مذنب وكانما تلك العقاب عقاب منها
جماعة من العلماء منهم عقيل بن خالد ويونس بن يزيد وفي القاموس هي بلد بين
ينبع ومصر وحقل محل بعدها وقد قال ابن حجر ليس هذا الاسم مشهورا اليوم عند
الناس اي عرفت هذه الاماكن خلف الناقة لكونها جاوزتها والمغارة الفيحاء اي
الواسعة هي المنسوبة لنبي الله شعيب عليه السلام وهي احساء كثيرة في مضيق
بين جبلين فيها نخيل وماؤها طيب عذب خفيف نافع وبين هذا الموضع ومدين
مسيرة نصف يوم وهي مدينة على ساحل البحر كثيرة الفواكه والعيال وعلى يسار هذا
المنزل مغارة يقال ان فيها كان شعيب عليه السلام يأوي بغنمه وبازائها بير كبيرة
معطلة وبجانبها بركة ويقال ان هناك كانت البير التي سقى منها موسى عليه السلام
غنم شعيب عليه السلام وفي هذا الوادي دوم طويل كانه نخل وعين بشر كثير وفيها جداول
بل الماء الغزير وفي هذا المحل وقد ينشد فقد وطئنا المغار شعيب

وقرانبا العيال كالانهار | فاستقينا من مائه واستقينا
ووضعنا بغاية الاوطار | وذكرنا بغاره غار ثور
مع حوى للصديق والمختار | خير من انزل الاله عليه
ثاني اثنين اذ هما في الغار | معيون الاقصاب يتبعها القصب
ويتلوا القافة العرجاء | سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب وفيه
يقول الشاعر | فقد وطئنا العيون القصب
والمنشراح القلب بعد النصب | وعيون الماء فيها قد جرت
كعيون الغيث بين السحب | مجلسنا في صفاء حولها
ووضعنا عندها بالارب | وتشوقنا الشادي مطرب
يتغنى بعيون القصب

والنبك بسكون الموحدة جمع نبكة قال ابن حجر وهذا ايضا غير مشهور وفي القاموس
النبكة محركة وتسكن اكمة محددة الراس وربما كانت حمراء او ارض فيها صعود و

وضبوك او النبل الصغير الجمع نبك ونبك ونباك ونبوك والنبك بلد بين حمص ودمشق

قوله ويتلوا اي يتبع النبك كعادة الحوجاء اي المعرفة عن جادة الطريق وبها قبر ولي على ساحل البحر يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح و

للحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارجا عن الحد

قولي ونعم الحوراء سبوقا فينبوع

لا فرق الينبوع والحوراء

اي جاوزت الناقة الحوراء فما هي بعدها

شوقا منها لما الناقة مشتاقة له وسابرة اليه واشتاق الشوق اليها ذات غير منكر لو

اخذنا هذا الغزوان على جبل الراي بنه خاشعا متصدعا من خشية الله تعلى وان من شيء الا

يسبح بحمده اي بلسان الحال لا الحال والابان فاسرة لقوله تعلى ولكن لا تفقهون تسبيحهم

واحد جبل يحبنا ونحبه والحوراء هي ذات حجارة على ساحل البحر يحيط بها ديم كثير

كالقلايد للنحر وفيها قيل

حنينا الى الحوراء وهي مسكنة

فيها الاراك نزاهة للمراء

تناديك خلافك بها متنا ملا

وانضر لما مغمر بالمساع

واغنم زمانا مقبلا بسعود

فيه اجتماع الشمل بالحوراء

قوله فينبوع اي جاوزتها ايضا وهو بلدة معروفة وفيها الينبوع والحوراء لسماعها ما يتعلق بالزيارة ومشاهرتها للزايرين

وينبع كينصر هو اول بلاد الحجاز في الذهاب واخرها في الاياب وقد ذكر اهل السير

ان النبي صلى الله عليه وسلم وصل اليها في احدى غزواته وذكر السيد السمهودي ان مسجد

القرية التي ينزل بها الحجاج من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم قلت

وقفت عليه ويسمى مسجد العشيرة بكسر ينبع وعندها عين جارية وهناك على التل

مزارة لاي الحسن النقاوة وفي ينبع ايضا قبر الحسن المثلث فوق القرية

قوله الدهنويين بعد الهاجر بخير وحنت الصفراء

الدهنويين بفتح الدال تثنية الدهناء قال في القاموس موضع امام ينبع وثناه الناظم

ضرورة او تكثيرا كقول الشاعر

بمطر المكتنيز لها عيح

وقول الاخر

تطليق براتنين سجما

واما هما مكة ورامة اي الصفراء فيها بدر وهو

البقعة المكرمة التي اعز الله تعلى فيها الاسلام مشهورة الى الان تزار ويتبرك بمن

دفن فيها من الشهداء وغيرهم وفيها الان قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل وعلى

ذلك البلاد الانوار تلوح ورياح النصر تغدوا وتروح وفيها مسجد يسمى مسجد الغما

مة وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر على الارجح وفيها يقول الشاعر

يا اهل بدر لقد طابت مآثركم

وقد علا قدركم في ارفع الدرج

مزنم

مزنم بغفران اوزار وحسن ثنا

على اخوانشد لمن الطيب الاوج

يكفيكم في علاكم قول قايدكم

هم اهل بدر فلا يخشون من حرج

وانظر ما يسمع هنا من صوت الطبل ابن جحوان مرزوق على البردة وغيرها وخبر

لنا عايد على الناقة وبعد بالبناء على الفتح اي بعد بدر حنين وفي تحفة فضل ويقال

انه جبل صغير قرب بدر لا حنين الذي لقي فيه النبي صلى الله عليه وسلم هوازن فقتلهم

وهو بين مكة والطايف والصفراء قرية معروفة منخفضة عن طريق اهل مصر لا يمرون

عليها الا عند ذهابهم للزيارة وحنت من الحنين وهو الشوق

قوله وحنت بزوة فرابغ ما لخفة عنقها حاكة الانضاء

بزوة بالزاي ثم الواو موضع يسمى بقاع البزوي ووجه تسميته بذلك ان هذه الارض في

هذه المرحلة كلها تسمى بزوى لما فيها من الضيق والاحد جاب وعدم الاستواء و

هذا الطرف منها لما اطمان واتسع وسهل وما ارتفع نسمي بالقاع لاجل الاتساع واضيف

الى البزوي لانه بعضها او مجاورها وتنفض خلعت واسناد الخلع اليها والرابغ مجاز

ورابغ هو واد منتج بين الحجر وبين الشر يجيء قرب الجحفة اليه السيل من بعيد وتزرع فيه

مغاة كثيرة ودخر ودرة وهو من اخصب اودية الحجاز ولذلك تسمى رابغا من قولهم

ربغ القوم في النعيم اي اقاموا فيه او من قولهم عيش رابغ اي ناعم او من قولهم ربيع رابغ اي

مخصب وفيه قرية فيها نخيل وابار كثيرة وهناك بركة كبيرة مبنية مملوءة ينتفع

الناس بها وهنا ينقضي يبدو لها ان وطلقي رابغ وليته للمولى كما حصل النزال

وقلت الا في عندك الفوز بالغنى

واي فقير قد اتيت محمد

والجحفة بضم الجيم وسكون الحاء المهملة قال في القاموس ميقات اهل الشام وكانت قرية

جامعة على اثنين وثلاثين ميلا من مكة وكانت تسمى مهيعة فنزل بها بنو عبيد وهم

اخوة عاد وكان اخرجهم العماليق من يثرب فجاءهم السيل الجحاف فاجتحفهم فسميت

الجحفة ولما هاجر الصحابة الى المدينة وجاءوها كثيرة الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انقل حماها الى الجحفة فكان اذا مر الطاير بها سقط و

ضمير عنقها يعود على الناقة اي خلعت تلك الاماكن عن الناقة ما حاكه الانضاء اي الثوب

الذي نسجه لها الهزال اي انحسرت لقطعها لتلك الاماكن فما معقولا نضف يقال نضاه

من ثوبه جرده وانضاه هزله شبه الهزال بالحايك النوب والنوب باثر الهزال من حيث

ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر قوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل

باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو السياقة ورشح له بذكر الخلع

«وأرتنا الخلاخ بين علي ومغاب الصويبي فالخلطا»

بين علي هو بالعلا زنها والخلاخ مفعول ثان اي من التعب وعقاب الصويبي موضع بعده بقليل والخلطا، قال ابن حجر هو الموضع المحل المشهور الان بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة وفي القاموس الخلطاء موضع بالرهناء وخليص كزبير حصن بين عسفان وقديد اي ارتنا الناقة هذه الاماكن التي الزمن التعب

«فمقى من ماء بير عسفان اومن بطن مر قرية جمات خمطا»

اي جاء الناقة من عسفان اي عطشانة خمطاء اي جوعانة من اجل وطولها ما، بير عسفان ويكون بير المشهورة الان العادة ان الحجيج اذا وصلوا نحو عسفان اشتد شوقهم ولا شتغلوا عن سفر دوابهم والصعاصها التي ان يطوا مكة شرفها الله تعالى وعسفان قرية فيها سوق وفي ابار متعددة من جملتها البير التي يذكران النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وماؤها حلو وغاية شربنا منه تبركا

«قرب الزاهر المساجد منها بخطاها فالبكاء منها وحدا»

قال القاموس الزاهر مستقى بين مكة والتنعيم والمساجد جمع مسجد بكسر الجيم وفتح والمراد مسجد عايشة المعروف بالتنعيم وبينها وبين الزاهر نحو ميلين وسمي مسجد عايشة لانها لما احرمت بالتنعيم مع اخيها عبد الرحمن بامر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بني فيه مسجد ونسب اليها وهو ادنى الحل وفي تسمية الناس العمرة تسمية للشيء باسم ما يقع فيه وضمير منها عايد على الناقة والباء في بخطاها سببية اي لما احست بالوصول اسرعت فالبكاء منها قبل ذلك المكان وحداء اي سرعة في ذلك المكان وفي القاموس الوحاء العصر الاسراع وبمد وهو هنا يجوز ان ينقصر

«فالوا غدا ناتي ديار الحمى» «وينزل الركب بمغناهم»

«وكل من اصبح مشغوفا بهم» «اضحى مسرورا بلقياهم»

«فلت ولي ذنب فما حيلتي» «باي وجه اتلقاهم»

«فالوا اليس العفو من شانهم» «لا سيما عمن ترجاهم»

«فلو اعترى القصا الا مما عدا فيها السماك والعواء»

اي هذه الاماكن المذكورة هي عدة غالب المنازل بين مصر ومكة لا المنازل القمر الثمانية والعشرون المعروف فيها السماك والعواء والسماك بفتح السين وكسرها

المراد

المراد به الاعزل وهو الذي ينزل به القمر لا الرامح والعواء من منازل القمر خمسة انجم يعلو مة

«وبعالي بها الرحل من مكة شمسا سماء لها البيداء»

كان للتشبيه والضمير المتصل اي كان بتلك المنازل المذكورة ارحل من مكة اي البيت وهي البلدة المعروفة زادها الله تعالى تعظيما وشرفا والباء بمعنى علي والضمير للناقة وعليه اقتصر ابن حجر شمسا ومعنى الناقة سما وعلاء محل سيرها البيداء اي الفلاة قال ابن حجر تشبيه الناقة بالشمس في ارتفاعها وقوة سيرها المانع غيرها من غيم الشوق استعارة بالكناية وتشبيه البيداء التي هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة واثبات السماء لها تخييل وذكر الترحيل والبيداء ترشيح لما يحتمل الاشبه التي هو الناقة وفيه نظر

«موضع البيت مهبط الوحي ماوى الرسل حيث الانوار حيث البهاء»

موضع بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر عن مبتدا محذوف ومهبط الوحي بالكسر بدل بعد بدل او معطوف بحذف العاطف ضرورة وكذا ما يقال فيما بعده والمراد بالبيت الكعبة اي محل نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي المبعوث عن ربه على لسان الملك او بالالهام او في النوم او بالالقاء في الروع وسميت مكة شرفها الله ماوى الرسل لانه ما من نبي الا حج البيت كما جاء في حديث واستثناء هود وصالح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام لاشتغالهما بامر قومهما لم يحج وقوله حيث الانوار لان الله تعالى ينزلها على قلوب الطايفين ذايما والبهاء هنا الحسن المعنوي الحكمي به عن حصول ملابس النعم من الحكم والمعارف المفاضة على اهل تلك الحضرة المكرمة وحيث ظرف مكان فهو كالذي قبله بعده بدل مما قبله والانوار مبتدا والخبر محذوف اي منيرة وهكذا التكلم من اضافة حيث الى المفرد وفي ذكر الوحي والرسل والانوار والبهاء مراعاة النظير وكذا الطواف وما بعده في ما بانه

«حيث فرض الطواف والسعي والحلق»

«ورمي الجمار والاهداء»

فرض الطواف محله الحج كالعمرة ان احرم بها وهي للغرباء افضل من الصلاة النافلة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد في غيره واختلف فيه مع الوقوف بعرفات ايهما افضل وقيل الطواف لانه ملحق بالصلاة يشترط فيه شروطها دون الوقوف وقيل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفات اي معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما في الاحاديث الصحيحة ولانه يشترك وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

بخلاف بقية الاركان وهو الاصح والتسعى ركن عند الحواف والحلق ايضا ركن عند الشا
فعية ومنع التاخر وكذلك فالحيض فرضه واما رمي الجمار جمع جمرة فواجب لا ركن والا
هداء اي سوق الهدى وبعثه الى مكة ليذبح ويفرق على مساكين الحرم والغرباء وهو
سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله الى مكة من المدينة
وهو مقيم ويلزم ان يراد بالاهداء كل دم وجب بالنسك اثم بسببه كالحلق تعديا ام لا كا
لتمتع ‹‹ خيرا خير امعاهد منقلا ‹‹ ام تخيره ايا تعين البلاد ‹‹
خيرا افعل مدح بمعنى نعم ومحل شرحها كتب العربية وفي القاموس حبذا الامر اي هو
حبيب جعل حب وذا كشي واحد وهو اسم وما بعده مرفوع به وذا لازم حب وتجرى
كالمثل والمعاهد جمع معهد وهو الاكل المنزل الذي يعود اليه مفارقوه اذ ابدا و
هذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عازم اليها بالفعل تارة والعزم اخرى فهو
ان فارقها بجسمه مقيم فيها بقلبه ولبه وضمير منها عائد على مكة شرفها الله
تعالى اي حبذا معاهدها من مكة امتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة و
الصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وبالحرم كمنى ومزدلفة وخارجه كعرفات
وقوله لم يغيرها اثار دهره في نعمته اي لم تغير علاماتها الدالة على شرفها من تعظيم
الامة لها بالازدحام على التبرك بها وزيارتها والقيام بحقوقها والبلا يعني
البلى المراد به طول المدة الذي من شانه ان يغير الاشياء جار عليه وقد صانها الله تعالى
من التغيير فلم تغير منها عينه ولا فضلها ويستمر لهذه الامة التمتع بعبادتها الى اخر الدهر
ولما اشرف ابو الفضل الجوهري على العقبة انشد ‹‹ فقلت لقلبي اذا ترات العقيق ‹‹
‹‹ رشم دار الحي وهاج اشتياق ‹‹ هذه دار زينب وانت محب ‹‹
‹‹ ما احتباس الدموع في الاماق ‹‹ حل عقد الدموع واطلق رباطها ‹‹
‹‹ وارجع الغموم واقض حق العراق ‹‹ فالمغاني للصب فيها معان ‹‹
‹‹ فعسى ترتعي مصارع العشاق ‹‹ حرم امن وبيت حرام ‹‹
‹‹ ومقام فيه المقام تلالا ‹‹ اي مكة حرم بحرمة الله تعالى الى يوم القيا
مة من يوم خلق السموات والارض كما في الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم عليه السلام
حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحد
يثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جئت عن في ماريم بنا
على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم فاولوه ولم ينظروا الى انكار الجمهور له كما قال
ابن

ابن حجر والظاهر انه بدل من معاهد وقوله امن اي يامن من فيه من تشير الغارات والسبا
حة الى ما ثبت بل كان الانسان يرى قاتل ابيه في الجاهلية فيه فلا يعرض له وقاد خلم الكوفان
فلم تعد فيه دابة على دابة وكان فيه رجل من قوم ابرهة فلم يصبه من رمي الابابيل شيء
حتى خرج منه ولذا قيل ‹‹ يا جيرة حلوا بوادي منى ‹‹ اضر منكم في القلب منكم جار ‹‹
‹‹ انتم كرام يا غريب النسفار ‹‹ وجاركم من كل جور يجار ‹‹
قوله وبيت حرام اي ذو حرمة قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والمقام
بفتح الميم وهو مقام ابراهيم وهو الحجر الذي انزله تعالى لابراهيم عليه السلام من الجنة
ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الهواء فيضع الحجر في موضعه ثم
يقصر به الى ان يتناول الحجر من اسماعيل عليهما السلام وفيه اثر قدمي ابراهيم عليه السلام
وهو الذي نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة يا ايها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا
اليه فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فما جابوه في اصلاب ابائهم وار
حام امهاتهم لبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى
مرتين واختلف هل موضعه الموجود فيه هو الذي كان فيه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو الاصح اولا وانما كان عند باب الكعبة وحوله عمر الى موضعه الذي هو فيه الان قولان
ومن الغريب قيل المراد بالحجر الذي وضع الخليل عليه رجله لما جاء يعرف هاجر ليزور
اسماعيل فوجد غائبا فسال زوجته عن حاله فشكت اليه فقال مري زوجك فليغير عتبة
بابه فجاء فاخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج اخرى فوجده غائبا فسال زوجته ايضا
فاثنت خيرا ثم امرته بالنزول ليطعم فابى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه
الشريف واطال راسه فغسلت فرقه ثم حولته فغسلت فيه الاخرى ثم قال لها
مري زوجك فليلزم عتبة بابه وضمير فيه عائد على الحرم او البيت لا المقام وهو
نظير ومن دخله كان امنا لان المفسرين صرحوا بان ضمير دخله عائد على حرم مكة
وهو معطوف على مقام ابراهيم الذي هو عطف بيان من ايات بينات كانه قيل فيه ايات
بينات مقام ابراهيم وامن من دخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز ان يذكر هذان الاثنان
ويطوى غيرهما دلالة على تكاثر الايات فيه ومعنى ومن دخله كان امنا اي من النار
لقوله عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا من النار وعنه عليه
السلام الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي

٢١٠

نسئ والمقام بضم الميم ويجوز الفتح اي الاقامة او موضع القيام وثلاء بفتح المثناة الفوقية اي خمسة وجوار وكلها اخبرنا من ان اهل مكة شرفها الله تعالى يصمون جيران الله تعالى لتيسر الرحلة واقالة العثرات وبين حرم وحرام جنا من الاشتغال وكذا بين مقام ومقام وما بلي من قضينا والقضاء ورمينا ورماء وبين تشر وتشر وشعث و شعث وقباب وقباء ورحلنا والرحلاء وحططنا وبكة وقرانا والاقراء وصفنا وبصبع وذ هلنا واذ هل فقضينا بها مناسكنا لا تقوم الا بعليا القضاء

اي ادينا اذ القضاء يطلق لغة على الاداء كما في قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم وضمير بها عائد على مكة وما بليها من المشاعر وبات ومزدلفة ومنى والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة اي متعبدات الحج والعمرة من ركن وواجب ومندوب وقوله لا يجمر الا في فعلها القضاء اي لا يجمر الاداء حمرا مخصوصا بخروج ما عليه من الذنوب كيوم ولدته امه وتكفير تباعته على خلاف فيه وبكونه اشعث اغبر ممنوعا من الوقائع معترفا لاجله وطنه ولا يرجع فرما ولا يفعل الا كتب الله تعالى له من الثواب ما لا يحيط به غيره وفي قوله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه واختار القرطبي وابن حزم وغيرهما ان ذلك يكفر الكبائر والصغائر وقال عليه الصلاة والسلام العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال الطائر اي لا يقصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد ان يبلغ به ادخال الجنة وقال عليه الصلاة والسلام تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال عليه الصلاة والسلام من اراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ما اتاه عبد يسال الله دنيا الا اعطاه منها ولا آخرة الا ادخر له منها وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص انه عليه الصلاة والسلام قال له اما علمت بان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله وقال عليه السلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروا غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان تشفعوا شفعوا الى غير ذلك مرفوعا بل الحج المبرور العاملة على تجشم المشاق اليه مع الابتهاج والسرور قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من اين انت فقلت من خرسان قال كم بينكم وبين البيت فقلت مسيرة شهرين او ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقلت انت من اين جئت قال من مسيرة خمس سنوات خرجت وانا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي الطاعة الجميلة والمحبة

الصادقة

والمقام

انه لا يجمر الحج اي لا يجمر الاداء حمرا مخصوصا في فعل بادة الا في فعلها حيث وقع تجنيس تام بين الحج المكفر الجنة من عمل عمله آخر وبخروج ما عليه من الذنوب كيوم ولدته امه الخ وقوله مخصوصا بدفع ما يورد على الناظم ان غير الحج الا في... والصلاة ... او المعقول ... يجمر ... ايضا تنبيه ما قرر به قوله فقضينا او قضاء يتردد من الشراح هنا ومن جملته قوله يعني القضاء في البيت في فعلها ويتعين انه الواو ضد الاداء ويعني القضاء بما فيه معناه لغة لا شرعا وبما لا يتصور في الحج وهو قوله او ضد الاداء على ان ... القضاء بمعنى الاداء ... لغة وشرعا وقد حقق بعض الشراح بين ان القضاء لا يتصور في الحج لانه ما بعد خارج وقته والحج وقته العمر الخ تنبيه ... من كلامه ... من ... الجمهور ... نحو ... الكوفيين ... الا ... ما ... جواز ... عليه ... الاحتمال ... ابو حيان ... ومن ... والبغداديين وابن مالك وعليه فلا اعتراض على الناظم

الصادقة فحيث جفاك زرم هويت وان شطت بك الدار وحال من دونه حجب واستار لا يمنعك بعد من زيارته ان المحب لمن يهواه زوار

قال النفيسي واعلم ان العبادة شرعت اما بالابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم واما بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما معا مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والاخوان والخلان والتنبيه على ما يعتبر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء والعلاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على اعتداده ولا ياكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى به معاشه بمعاده ولا يونس وحشته الا ما كان يانس به من اوراده وغسل من يحرم وتاهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما هيات عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مكبيا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون اشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات داعين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو المسوق الى عطاء القضاء ومنى هو موقف المتمني للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الراس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الابتلاء والقتال انموذج لدار السلام التي من نزلها بقي فيها آمنا من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بالمكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التناد وتنبيه قال بعض محققي الشراح بين انه لا يتصور القضاء في الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضييقه بنحو خوف عطب او طرو موت لا يقتضي انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلاة يظن عليه فعلها في الوقت ثم بان خلاف ظنه انها تصير قضاء وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا لكثير انها اداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء ما فعل خارج الوقت المقدر له شرعا كذا لابن حجر وهو مبني على مذهبه ومذهب المالكية ما اشار اليه في المختصر بقوله وفي فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف ابن رشد وعلى فوريته في كونه بعد اول عام مستطيعا قضاء او اداء قولان ابن القصار وغيره

اي ومثابة العقد اي الراقصة والسير الى الكثار بالرملاء

ضمير بها يعود على الناقة التي هي الوقود البطحاء والمجاج جمع فج وهو الطريق الواسع

او الناقة

او الطريق

بين جبليه والمراد هنا الطريق مطلقا وطيبة هي المدينة المشرفة بساكنها عليه ازكى
الصلاة والسلام وعلى كل مومن بدا بعده سميت بذلك لان الله طيبها لرسوله وجعلها
دار هجرته ومحل نصرته ومكان تربته ولله در القائل طيبة عج بي بين قبابها
حبيب لداء القلوب طبيب ** اذا لم تطب وطيبة عند طيب
به طيبة طابت فاين تطيب ** وقول الاخ وهو العلامة سيدي عبد الجبار رحمه الله
قرب الحبيب ووصله محيانا ** وبه ننال مرامنا ومنانا
ذا الانام على العدى فهو الذي ** عرفت به عين جاءتنا ومنانا وقوله
ابضاع قطيبة الطويلة وطيبة طابت قلوب ذوي النظر ** والطيبون الطيبة كم زاروا
من ثم يكتب في طيبة فهو الذي ** في خيبة ذهبت له الاعمار
والمطايا جمع مطية وهي الراحلة تطلق لحمير في اي تخد وتسرع وزها بكسر الراء مصدر
زاهبة اي ترقبه سير الصبح اذا رمى به فهو كالقوس «ما صبنا غرض موسعا عن القرب»
«ونزع الشيعة الكوماء» الفرج بفتح المعجمة والراء فرطاس القرب
وهدفه والمراد بالقرب من المدينة المشرفة التي هي محل الحبيب المشبهة بالغرض كو
نها المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة بالصبح استعارة بالكناية واثبات الرمي
استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح وقوله ونزع الشيعة اي الضخمة الكوماء
وهي الناقة العظيمة السنام اي لانتقال الحجب التي حجبته والغاصب التي مقصوده فالتعلق
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها
حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقد انشد بعضهم لما اشرف على مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم ** رفع الحجاب لنا فلاح لناظر
قمر تقطع دونه الاوهام ** واذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام ** قربننا من خير من وطئ الثرا
فلها علينا حرمة وذمام ** «قد تبدا ارض الحبيب بغـ»
«ـرق منها الضياء والالاء»
اي ابصرنا ارض الحبيب اي حبيب الله تعالى
والمومنين وهي المدينة وما حولها واعلم ان مقام الاحبية اعلى واشرف من مقام الخلة
لان المحبة الكاملة تستدعي الخلة وزيادة وبعض الكرى اي بعض البصر من جلاله الخ
من جهة الضياء وهو النور المشرق عليها حسا ومعنى واللالاء وهو البرق اللامع على
جهاتها المنبئ عن مواهب الحق المعاضة على زائريها كذا في المنح المكية لابن حجر وفي
القاموس

وفي القاموس اللالاء الفرح التام وتلالا البرق لمع «فكأن البيداء من حيث»
«ما طاب العبير روضة غناء» كأن اداة تشبيه من اخوات ان تنصب الاسم
وترفع الخبر مركبة من كاف التشبيه وان المؤكدة قال بعضهم وانما تستعمل للتشبيه حيث يقوى
الشبه حتى يكاد الرائي يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت
بلقيس كأنه هو وقيل وترد للظن والشك كأن اذا كان خبرها مشتقا والبيداء الفلاة
مطلقا والمحل الغريب من الطيبة المشهور اليوم بالبيداء على ... ومن حيث يحرم من ان تكون
زايدة على مذهب الاخفش وهو الصواب او تعليلية او ابتدائية وما في حيثما زائدة والروضة
الغناء الكثيرة العشب والنبات والازهار ووصفها بغناء لان الذباب كثيرا ما يطلعها ويغني
فيها «وكأن البقاع زرت عليها» «طرتيها ملاءة حمراء»
البقاع جمع بقعة وهي الاماكن التي حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والا
ضواء المنزلة على قبره عليه الصلاة والسلام وزرت بتقديم الزاي على الراء شددت من زر القميص
اذا شده بازراره بان ادخلها في عراه وضمير عليها عائد على البقاع وطرتيها معمول زرت
والضمير لملاءة بعده وهو ما عليه والملاءة بالمد الربطة والجمع ملاء قال في القاموس والر
بطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة وفي الثعالبية يعني الازار وفي
الصحاح هي الملحفة وحمراء نعت تشبيه تلك الانوار والاضواء التي غشيت تلك البقاع وعمتها
من ظاهر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها اي ازرارها في عراها من ظاهر جوانبها
«وكأن الارجاء ينشر نشر المسك» «فيها الجنوب والجرباء»
الارجاء جمع رجى بالقصر يعني نواحي المدينة المكرمة وينشر اي يذيع ريح المسك فيها
والجنوب بفتح الجيم وهو الريح التي تقابل الشمال والجرباء كحمراء قال في القاموس الشمال
او بردها او الريح بين الجنوب والصبا وهي التي تثير السحاب
«فاذا شمت او شممت رباها» «لاح منها برق وفاح كباء»
اي اذا نظرت البرق سحاب تلك الاماكن وشممت بكسر الميم الاولى على الافصح وتفتح ربا
ها جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض لاح فيها برق اي راجع نظرت وفاح اي سطع كباء اي ريح طيب
راجع لشممت فيه لف ونشر مرتب وفي القاموس فاح المسك فوحا وفيوحا وفوحانا وفيحا
وفيحانا انتشرت رائحته والكباء ككساء عود البخور او ضرب منه الجمع الكبى وسيأتي
وفاح جناحي الضارع فائدة قال في الرحلة العياشية عن شيخه ابي بكر الحفناوي وانظر كلام
ما نصه الذي لا يختلف فيه انه نور النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة ما عاينه مرارا وغيره
عيانا

بالعربية المشروفة في الحرم الشريف فإنا نجلس احيانا نهارا حتى يستعيض من ناحية الحجرة
ما يغيب ضوء النهار فيغشى الحرم الشريف كله فيراه الناس

أنى نور وأي نور شهدنا ** يوم أبدت لنا القباب قباء

الاول بضم النون اي نور باهر والثاني بفتحها اي زهر نضير زاهي وشهدنا ابصرنا بابصارنا وبقا
برنا وبينها الجنادب العرق وفيه اللف كما حسنت خلفي في نص خلفي ويوم ظرف لشهد
نا وابدت اظهرت والقباب جمع قبة وبيعني التي هناك وقباء بضم القاف موضع بينه وبين المدينة نحو
ثلاثة اميال

فارفضاض الدموع من فرط شوق ** قد دعى عبرتي وصبري جفاء

اي انبث انهمال دمعي وكثرته من رؤية القباب فرحا بالوصول او خوفا من التقصير في واجب
ادب ذلك الجناب العالي او ندما على ما فات من اقتراف او اعم من ذلك وفي ابيض ب وشرد
صبر ودموع تسيل اي قطر جارية قال في القاموس وماء سيل اي ساير وضعوا المصدر موضع
الاسم والصبيب الماء الكثير السايل والجفاء بضم الجيم وهو الزبد قال في القاموس جفا الوادي و
القدر رميا بالجفاء اي الزبد كاجفا اه ويصح ان يكون بفتح الجيم من جفاه يجفوه اذا باعده
ولم يواصله والجفاء ضد الصلة قال في المنح المكية كما ان السيل يذهب بالزبد كذلك دموعي ذهبت
بصبري فلم تبق منه شيئا وهذا من جناس التذييل كقوله الانا وكم اد بعاصيا الخ وفيه لف ونشر مرتب

فترى الركب طائرين من الشوق ** الى طيبة لهم ضوضاء

اي فترى ايها المخاطب وقد تراه يري وفي القاموس الركب ركاب الابل اسم جمع او جمع وهم
العشرة فما فوق والطائرين اي جادين في السير سراعا كالطائر من الشوق

وارى ما يكون الشوق يوما ** اذا دنت الديار من الديار

وضوضاء اصوات عالية بذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي القاموس الضوضا مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة في الضوضاء

فكأن الزوار ما مسّت البأساء ** منهم خلقا ولا الضراء

الزوار جمع زائر على غير قياس والمراد بالبأساء مشقة السير والضراء تأكيد لما قبله
وفي القاموس الضراء الزمانة والشدة والنقص في الاموال والانفس كالضرة

كل نفس منها ابتهال وسؤل ** ودعاء ورغبة وابتغاء

الابتهال التضرع لله تعالى في نيل المراد والسؤل السؤال ورغبة اي مطلوب يرغب والكل الفاظ
مترادفة لان المقام مقام الاطناب وابتغاء طلب

وزفير تظن منه صدورا ** صادحات يعتادهن زقاء

الزفير تواتر النفس وصعوده لشدة ما
يعتري القلب من خشية المواخذة بما فرط منه وفي القاموس زفر يزفر زفرا وزفيرا
اخرج نفسه بعد مده اياه وصادحات اي طيور مصوتات قال في القاموس صدح الرجل
والطائر كمنع يصدح صدحا او صداحا رفع صوته بغناء وفي الحديث اي صوت صلى الله
عليه وسلم من شدة خوف الله تعالى كان يسمع له ازيز كازيز المرجل من البكاء والزقاء
بضم الزاي الصياح ويعتادهن من اعتاد الشيء اذا جعله من عادته ونسبة الاعتياد الى الزقاء
مجاز قال ابن حجر والحاصل ان ذلك الزفير من شدته كصوته في صدورهم صوت اشبه صوت
الطيور الصادحات التي يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت

وبكاء يغريه بالعين ** مد ونحيب يحثه استعلاء

يغريه يحمله على ملازمته لها ومد اي
سيل من الدموع نشأ عن حرقة القلب بالشوق الى المحبوب او فرحا بلقائه او خوفا من
القطيعة او هيبة منه عند المشول بحضرته او اعم من ذلك ونحيب بكاء شديد قال في القا
موس النحب اشد البكاء كالنحيب وقد نحب كمنع وانتحب ويحثه يحضه واستعلاء ارتفا
ع من الزيادة منه لعلو صوت

وجسوم كأنما رحضتها ** من عظيم المهابة الرحضاء

رحضتها غسلتها والمهابة بفتح الميم
اي هيبة الحبيب عليه الصلاة والسلام في تلك الحضرة الجليلة والرحضاء بضم الراء وفتح
الحاء العرق الكثير قال في القاموس رحضه كمنعه غسله كارحضه فهو رحيض ومرحوض
والمرحاض بالكسر خشبة يضرب بها الثوب والمغتسل وقد يكنى بها عن مطرح العذ
يرة قال والرحضاء العرق اثر الحمى او عرق يغسل الجلد لكثرته اي جسوم قام بها من عظيم
المهابة ما ازعجها ازعاجا يتولد عنه لكثرة عرقها حتى كانه غسلها

ووجوه كأنما ألبستها ** من حياء ألوانها الحمراء

الوجوه جمع وجه والحياء بالمد خلق غريزي باعتبار اصله ومكتسب باعتبار كماله
والالوان جمع لون هيئة كالبياض والسواد والحمرة فاعل البستها مؤخر عن المفعول وهو الوا
نها وهي ذو بيئة تشتغل القصد بواسطة وتتلون الوانا متعددة والحياء منه صلى الله عليه وسلم
عند القدوم عليه بوجه التقصير وعدم كمال الاتباع له

ودموع كأنما أرسلتها ** من جفون سحابة وطفاء

الدموع جمع دمع وهو ماء العين الجاري
من حزن او سرور والجفون جمع جفن وهو غطاء العين من اعلا واسفل وسحابة وطفاء
مسترخية الجوانب لكثرة مائها وهي الدانية المسترخية لثقل مطرها او مطر وفيه
وطفاء اي تدلت دموعها فشبه ما عندهم من الاسباب الباعثة لهم على غزارة الدمع وكثرة

تتابعه بسحابة مملوءة ماء، ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوكف وخيل باثبات الهطل به ففيه اربع استعارات كذا قال ابن حجر وفيه نظر اذ حيث شبهت الاسباب بالسحابة والحلو لعلة المشبه به على المشبه كانت استعارة تصريحية فكيف يقال بعد ذلك وخيل باثبات السحابة تامل وفي قوله كل تعسر الى هنا اشراعة التكثير والانسجام البديع الذي هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذي من شانه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة مالا يخفى على ذوي عقل بلاغة الناظم رحمه الله تعالى

«فحط عنا الرحال حيث يحط الوزر عنا وترفع الحوباء»

الرحال جمع رحل اي وضعنا الامتعة بفناء الحبيب الذي ينال فيه من الله تعالى السؤل مستكثرا من سحائب الانعام والقبول والوزر الذنب اي وضعنا ها حيث يحط الذنب عنا ببركة ذي الحبيب وشفاعته وترفع الحوباء عنا وهي الحاجة وبين الحط والرفع طباق

«وقرأنا السلام اكرم خلق الله من حيث يسمع الاقراء»

اي اشرفهم واعزهم عليه واصفحهم عن الاذى واجودهم نفسا وفعلا بان سلمنا عليه عند قبره وقلنا السلام عليك يا رسول الله كما هو شان الاطلاع من التسليم عند قبره تسليم الاقا كما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وغيره وقال المجد اللغوي السلام عليه عند قبره افضل من الصلاة عليه يعني لانه شعار اللقاء والتحية وفي الحديث ما من احد يسلم علي عند قبري الا رد الله تعالى علي روحي حتى ارد عليه السلام ولا يعارضه حديث ان الله تعالى يصلي هو وملائكته على المصلي علي في الصلاة الواحدة عشرا وفي رواية مائة وصلاة الله تعالى افضل من رده عليه الصلاة والسلام لان السلام شعار اللقاء والتحية كما تقدم ثم يصلي عليه بعد السلام كما هو الشان المعروف يبدا بالسلام ويختم بالصلاة وقوله في الحديث الا رد الله تعالى علي روحي معناه تحقق مجازا اذ هو حي على الدوام ولا يلزم من الحياة النطق فيرد الله عليه النطق عند سلام كل مسلم وعلاقة هذا المجاز ان النطق من لازمه وجود الروح كما ان الروح من لازمه وجود النطق بالفعل او القوة فعبر عليه السلام باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيد هذا قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فيوخذ من الآية ان عود الروح لا يكون الا مرتين وفي بعض روايات هذا الحديث الا وقد رد الله علي روحي والمراد الاخبار بان الله يرد عليه روحه بعد الموت فيصير حيا على الدوام وعلى هذا تحمل الرواية الاولى ولا يحتاج الى ارتكاب المجاز وقد صحت الاحاديث بان الانبياء احياء في قبورهم يصلون جمعها البيهقي في جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء

الانبياء احياء مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهداء المنصوص عليها في القرآن وقوله من حيث يسمع الاقراء اي من المكان الذي يسمع فيه النبي صلى الله عليه وسلم اقراء السلام عليه وذلك عند قبره المكرم المعظم وورد ان محمد بن عبد الله العتبي قال جاء اعرابي الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم سلاما حسنا ودعا كذلك ثم قال بابي انت وامي يا رسول الله ان الله قد خصك بوحيه وانزل عليك كتابا جمع لك فيه علم الاولين والآخرين وقال وقوله الحق ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مقرا بالذنوب مستشفعا بك الى ربك ثم قال

يا خير من دفنت في الارض اعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
انت الرسول الذي ترجى شفاعته
عند الصراط اذا ما زلت القدم
لولاك ما خلقت شمس ولا قمر
ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
صلى عليك اله الخلق اجمعه
فانت اكرم من دانت له الامم

ثم ركب راحلته وانصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتبي الحق الاعرابي وبشره فان الله قد غفر له

«وذهلنا عند اللقاء وكم اذهل صبا من الحبيب لقاء»

اي غبنا عند لقاء الحبيب عن غيره ونسينا كل ما استولى علينا من شوق قبل ذلك اللقاء ونسمات ذلك الجمال ولا بدع في ذلك وكم اي مرات كثيرة اذهل صبا اي محبا مسمى بذلك لكثرة ما يصب من الدموع وفي القاموس الصبابة الشوق او رقته او رقة الهوى صببت كقنعت صب فانت صب وهي صبة ولا اعظم من هذا الحبيب ولا اعز ولا ارجى نفع وقد جمع

«ووجمنا من المهابة حتى لا كلام منا ولا ايماء»

اي سكتنا سكوتا من المهابة اي هيبة الحبيب حتى لا كلام منا نرتجيه ولا ايماء منا لما نطلبه وذلك حال من قهرته الهيبة وكم زهقت نفس الشوق عند الغاية فلما التقينا ما كلفت ولو حرفا

«ورجعنا وللقلوب التفاتات اليه وللجسوم انثناء»

اي ثم رجعنا من عند الحبيب بعد كمال زيارته وللقلوب التفاتات اليه جمع التفاتة اي تلفت والتواء اليه وللجسوم جمع جسم بالكسر وهو جماعة البدن والاعضاء انثناء اي انعطاف اليه كراهة لفراقه وارادة للبقاء عنده ولا ينبغي التكثير العار وبالله التفهيم سبب ابي مدين شعيب بن الحسن الاشبيلي مما نظمه بعد ما جاء من الحجاز

يا قلب زدت وما انطوى ذاك الجوى
عجبا لقلب بالنعيم قد اكتوى
زاد الغرام وزاد كل تصبر
عاينته قبل الزيارة فانطوى

والابرقان اذا مثوا فالمراد غالبا ابرقا حجر اليمامة وهو منزل لحج زبيدة الاوّل بطريق البصرة الى مكة والابرقان ايضا ماء لبني جعفر ... وزومة بين العذيبة ورامة ... به هو منه

ولعيب وجي ببيته روضة ✤ مرحلها تخلف من القبر الغوى ✤
تالله ما شوقي لطيبة بحرها ✤ زرت الحبيب وقبله لا اشوى ✤
بل زاد شوقي للحبيب ورامة ✤ والابرقين وما بمنعرج اللوى ✤
ازعو احب الي العالي من العلا ✤ نزل الرسول بها وفيها قد ثوى ✤
بل تربة ما مثلها من تربة ✤ فيها الشفاء لكل عام والدوى ✤
بل روضة ما مثلها من روضة ✤ بل اسعد من في جنة المأوى اوى ✤
كم لي انوح على الوصال وعندما ✤ واطلقت اطليقتني نار الجوى ✤
فكانني الظمآن صادف فكرة ✤ فتضاعف الظما الشديد وما اتوى ✤
فسما بكم وبكم بالشبير الذي ✤ قد جاء في النجم العظيم اذا هوى ✤
وبقاب قوسين الذي هو قد دنا ✤ من ربه ذو مرة ثم استوى ✤
لا تجعلن نبا حقتي بسياحتي ✤ اسعى على ذاك الحمى وما حوى ✤
حتى اموت وان امت متحيرا ✤ فلكل عبد مسلم ما قد نوى ✤
يا رب اسألك الرضى والعفو عن ✤ ما قد مضى يا من على العرش استوى ✤
واعتق عبيدك من لظى نار غدا ✤ نزاعة يوم القيامة للشوى ✤
بمحمد المختار خاتم رسله ✤ لا تكن على فضل الجميع قد احتوى ✤
فعليه من رب العلا صلواته ✤ وسلامه ما غردت ورق اللوى ✤

وسمحنا بما نحب وقد يسمح ✤ عند الضرورة البخلاء ✤

اي سمحنا بالذي نحبه من مجاورة الحبيب وعدم مفارقته ولم يذكر في القاموس سمح متعديا وانما ذكره لازما فقال سمح ككرم سماحا وسماحة وسموحا وسموحة وسمحا و سماحا ككتاب جاد وكرم كاسمح وهو سمح ... ولاكن جعلنا من عند الحبيب مع من يد محبة المكث بحضرته للواجب الشرعي الضروري من القيام ... بجواب نترك في الله بل من الاهل والولد والمال و الضرورات تبيح المحظورات فيغفر في ذلك كبخيل يرضى بما مرج به قهرا و الضرورة الحاجة الملجئة والبخلاء جمع بخيل اي شحيح قال في القاموس والاضطرار الاحتياج الى الشيء واضطره اليه احوجه والجاه واضطر بضم الطاء والاسم الضرة والضرورة الحاجة وقال الشاعر وقد تخرج الحاجات يا ام مالك ✤ كرائم من رب بهن ضنين وبين السماح والبخل الطباق الصحيح قال العياشي في رحلته لما شاورت بعض شيوخنا في الجوار بالمدينة حكى علينا ما ورد في الحديث ان احب الوطن من الايمان و المدينة

وسمحنا اي حين لا ... لا يعود احد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية التي تحب ... وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود الى بلادنا لاجل العيال بحيث ... السلام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات فانه وان كنا بخلاء بفعل القول انه لا ... البخلاء في ذلك وقد وقع بجبلا انه يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها وبين السماح والبخل الطباق ... ح

المحذورات

والمدينة هو وطن كل مؤمن لانها وطن الايمان فلذلك يحبها كل مؤمن قال و يشهد له قوله عليه الصلاة والسلام ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها فاذا كانت وطن الايمان وهو اشرف اوصاف المؤمن بل هو في الحقيقة كليته التي بها صار معتبرا وجوده ولولا الايمان لكان العدم المحض اولى منه وافضل منه فاذا ثبت هذا ثبت ان وطن الايمان هو وطن المؤمن وفي هذا اشارة حسنة وهي انه لا ينبغي لساكن المدينة بل ولو مر بها ليلة او اقام بها لحظة ان يرى في حال اقامته بها انه غريب بل هو في وطنه الذي هو احب الاوطان ه

✤ يا ابا القاسم الذي ضمن اقسامي ✤ عليه مدح له وثناء ✤

هذه كنية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باكبر ولده مولانا القاسم بن خديجة رضي الله تعالى عنها تختص به عند الشافعية فلا يجوز لاحد التكني بها على الاصح عندهم في زمانه وبعده لمن اسمه محمد وغيره للحديث الصحيح تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي هو ان اليهود كانوا ينادون بذلك فيلتفت فيقولون لم نعنيك فنهى الناس عن ذلك هذا مذهب الشافعية واما مذهبنا فقال القاضي عياض في الاكمال فقهاء الامصار على جواز التسمية والتكنية باب القاسم والنهي عنه منسوخ ه وقيل المنع خاص بحياته عليه السلام على هذا قصره مالك وجماعة كما في الا ب وقيل خاص بمن اسمه محمد ووجه اختصاصه بهذه الكنية به عليه السلام انه هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى في كل الامور لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال في الحديث الصحيح انما انا قاسم والله تعالى يعطي ولهذا عدوا من خصائصه انه اعطي مفاتح الخزائن قال بعضهم وهو خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه النبي صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتح وكما اختص تعالى بمفاتح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص النبي صلى الله عليه وسلم باعطاء مفاتح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شيء الا على يديه ونحو هذا قوله ما ارسل الرحمن او يرسل ✤ وقوله الذي ضمن اقسامي اي الذي يحتوي اقسامي عليه بالاقسام الاتية مدح له وثناء وفي مرادفة الحمد للمدح ومباينته خلاف وعلى القول بالفرق فهو احدها ان الحمد انما يكون على الجميل الاختياري والمدح على ما لا اختيار فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون على علم وبصفة كمال والمدح يكون على ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء واكثر اطلاقا على الله تعالى وفوق الكشاف وانهما اخوان اي مترادفان لا مترادفان قاله الطيبي وقال السيد بل هما مترادفان واستدل له بكلام العلامة ... والاكثر على ان الحمد

يعني بالاختيار والمرح اي وافتتاح بالكسر وتشاه تاكيد والاقسام بها هنا التوسل وهو
مشعر بالاستشفاع ولذلك يتعدى بعلى فاذا استعمل في اليمين المطلق تعدى بالباء انظر حاشية العطار على الحزب الكبير

بالعلوم التي علتك من الله ٭٭ بلا كاتب لها املاء

اي اقسم عليك بالعلوم التي نزلت عليك من الله وبلا كاتب حال من العلوم واملاء القاء من مملي وهو جبريل عليه السلام وجعل اول الاقسام العلوم لان مرتبة العلم لا اعلا منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يومر صلى الله عليه وسلم بسؤال الزيادة الا في العلم فقال الخ وقل رب زدني علما وفيه اشارة الى انه عند التأمل هو الذي يفيض عليه في العلوم والادراكات والعلوم فهو البطل الخطام جعله بنور علمه ويفيض بكبرته وتنور صيرته

ومسير الصبا بنصرك شهرا ٭٭ فكأنك الصبا لدى الحرب خيلا

مسير عطف على العلوم والصبا الريح التي مهبها من مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهي مراد الحضرمي في قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا مقابلك وبها نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق على الاحزاب وقال في القاموس الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش قال والدبور ريح تقابل الصبا قال والشمال بالفتح ويكسر الريح التي تهب من قبل الحجر او ما استقبلك عن يمينك وانت مستقبل والصحيح انه ما مهبه من مطلع الشمس وبنات نعش او من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر قال والجنوب ريح تقابل الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا اه ثم الصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة وقوله بنصرك اي باعانتك على قهر عدوك شهرا في الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفيه اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر قال في الفتح وبه يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو الرعب اي الخوف والفزع لاعدائه مسيرة شهر من نواحي المدينة فلم يبرح احد منهم راسه الا اختطفته ثم يرى مع نصره وفواصل السنة فهو والتقييد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا تزيد مسافته على شهر فلا ينافي ان ملك امته يزيد على ذلك بكثير واحترز عن غيره من الانبياء فان عيسى وان وجد لا يحصل هذه المساحة وقيل انما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلاده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق ولو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته بعده فيه احتمال اه الشهرها كما تقتضيه المشابهة انتهى زدنا من ذلك هنا واشار بالرخاء الى الريح اللينة المعجزة لسليمان عليه السلام غدوها شهر ورواحها شهر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اعظم والمضي لان تلك سخرت

لذات سليمان عليه السلام وهذه سخرت له صحبة من صحابة نبينا عليه الصلاة والسلام وهو هيبته وايضا فتلك كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر الله تعالى من غير واسطة نبينا فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير كما صليت على ابراهيم عليه السلام

وعلي لما تفل بعينيه ٭٭ وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعيني عقاب ٭٭ في غزاة لها العقاب لواء

علي هو ابن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه معطوف على العلوم وغدا ذهب والعقاب بضم العين طائر معلوم من الصقور وفي الكامل هو سيد الطيور له بصر قوي ومن امثالهم ابصر من عقاب والغزاة هي غزوة خيبر وهو بلد كبير ذو حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام في سنة سبع وخيبر لها غائر على الغزاة والعقاب راية النبي صلى الله عليه وسلم قال في الفتح اراد بقوله لواء الراية اذ هو العلم الضخم لان الذي كان يومئذ راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الراية الا في خيبر وقبلها كانت الالوية وفيه نوع قال علي يا فرع مفارقة اللواء الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب اسود وكانت من برد لعائشة رضي الله تعالى عنها ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي وغيره ويسمى عقاب والعقاب الجنا من الشام نحو في الصحاح الالوية المطارد ونحو دون الاعلام والبنود وفي البخاري من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفيه ان علي بن ابي طالب تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمد به فلحق فلما كانت ليلة الفتح قال لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما اصبح استشرف الناس لها فقال اين علي بن ابي طالب فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله انقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث وروي انه لما ذهب بالراية هرول حتى ركزها في رضم من حجارة تحت الحصن فقال له يهودي من الحصن من انت قال انا علي بن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران عليه السلام فما رجع حتى فتح الله عليه وعنوة قاتله ضربه يهودي فطرح ترسه من يده فاخذ بابا

جنبه ضربه واستمر يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه
فلم يقدروا وحمل باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وانه جرّه بعد
ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا وفي رواية سبعون رجلا توفي رضي الله تعالى عنه شهيدا وهو
خارج لصلاة الصبح ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين على
ثلاث وستين سنة بجوار ان استخلفه صمرا وقال الحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم الليلة وشكا
اليه ما لقي فقال ادع عليهم فدعا عليهم ان يبدله خيرا منهم وان يبدلهم شرا منه واكثر في
تلك الليلة الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله تعالى ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة
التي وعدت وكان له اوز فلما خرج صحن في وجهه فطردن عنه فقال دعوهن نوائح وفي ليلة
الاحد واختلف في موضع قبره لانه اخفي خوفا من ان ينبشه الخوارج روي انه حمل ليدفن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل فلم يدر اين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه
في السحاب ۞ ومن غدا شبلاه سيدنا منك ابن البتول عنه الزهراء
يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية ان ابني هذا
ريحانتاي من الدنيا وقوله شبلاه اي ابناه ومعنى جاء منك لانهما بضعتان منك وشبيه
صلى الله عليه وسلم معروف بين الصحابة بفرب به المثل وان لم ينطبق بل كان ام انس نا ختم عرفه
لينطبق بالاب والتي نعت للريحانتين بنا وبلغها بالمذكور اي التي اوهي عنهما بالبناء للمفعول
الزهراء هي فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله تعالى عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشار بقوله اوهي عنها الى ما هو من خصائصه ان اولادها ينتسبون اليه في الكفاءة وغير
ها لانه جعلها مستودعة فهو صلى الله عليه وسلم النبي او دعها تلك الذرية لتخرج منها
منسوبة اليه وتسميته الزهراء لانها لم تحض كما في حديث رواه الغساني وروى الخطابي
ان ابنتي فاطمة حوراء في ادمية لم تحض ولم تطمث وتسميته فاطمة لان الله تعالى فطمها
ومحبيها عن النار رواه الغساني مرفوعا واخرج الحاكم ... مرفوعا انما سميت فاطمة
لان الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة وتسميته بتولا لانقطاعها عن
نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير كذا
في المواهب واخرج الطبراني والخطيب ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي
في صلب علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ۞ ولنت منا وريحانتا الذين كانا من
من الخلق نعتهم الثناء ۞ ان نظمهما المزيد محبتك اياهما وشغفك عليهما
وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت
حديثي

ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما
فاحبهما واحب من يحبهما وروى الترمذي من احب اهل بيتي الي الحسن والحسين وروى
احمد وابن ماجه والحاكم من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد
ابغضني وجاء من طرق في بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابو
هما خير منهما وفي قوله وابوهما خير منهما حجة لاهل السنة ان الائمة الاربعة افضل
من اهل البيت علما وعملا ومعرفة نعم هما من جهة انهما بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم
افضل واستشكل قوله سيدا شباب اهل الجنة بانهما ماتا غير شابين وان الجنة ليس
فيها الشباب والكهول والشيوخ ولا يكون ورد ان كل من يدخلها يكون على خلقة ابناء
ثلاث وثلاثين سنة والظاهر كما قال شيخ شيوخنا ان المراد انهما سيدا اهل الجنة مع كونهم
شبابا اي ان اهل الجنة مع كمال حسنهم وقوتهم ونضارتهم ورونقهم وتجتمع في الحسن و
الحسين سوادهم فلعله شباب ليس للتخصيص وتخصيص الفضل عليهم الى شباب وغيرهم بل البيان
كمال الفضل عليهم وذلك مستلزم لكمال التفضيل ومقتض لغاية شرف الفضل ويشهد
لذلك ما في بعض روايات الحديث سيدا اهل الجنة وهو مخصص بمن عدا الانبياء والمرسلين
لقيام الدليل القاطع وهنا وجه اخر وهو ان يراد بشباب اهل الجنة انضرهم واكملهم حسنا
واعلاهم جمالا واطلق عليهم اسم الشباب لان معناه لغة احسن من الكهول والشيوخ والصبيان
والبقاء فاعلى اوصف ابضت ومن لفظ حال منه وفي البخاري عن الحسن رضي الله تعالى عنه كان النبي
صلى الله عليه وسلم ياخذ بيده فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمهما ثم
يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما وصح عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال طرقت النبي
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو مشتمل على شيء فقلت ما هذا فكشفه فاذا هو حسن وحسين
على وركيه الشريفين فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم احبهما واحب من يحبهما
وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالبناء انها خاتمة الخير
كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ۞ من شعرهم بين البتيين ينتسبن الا
معاليها والاشرف تلاه ۞ من شرّ هو بيان للريحانتين فالتبريد فيهما
الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما اما الحسن فمولده النصف من شهر رمضان بالمدينة سنة
ثلاث من الهجرة وتوفي سنة خمسين عند الجمهور مسموما روي ان يزيد بن معاوية ارسل
لزوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم فجعلت فمرض اربعين

يوما وما تو بعثت ليزيد بما وعرهابه فابى وجهزته اخوة الحسين ان يخبره بمن سمه فابى وقال الله تعلى اشد نقمة وقد حضرت وفاتى وانا مفارقك وانا لاحق بى واجد كبدى تقطع وانى لعارف من اين دهيت فيصف عليك لا تكلمن فى ذلك بشئ ثم قال واقسم عليك الا تريق امرى محجمة دم وقال له لما حضره يا اخى ان ابيك استشرف لهذا الامر بعد المرء فصرفه الله تعلى عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما ارى ان يجمع الله تعلى فينا النبوءة والخلافة وربما يستخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلبها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان منعوك فلا تراجعهم فلما مات سال الحسين عائشة قالت نعم وكرامة فمنعهم مروان وكان والى المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح فرده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب امه وكان مروان يكثر من اذايته فلما مات بكى فى جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال انى كنت افعل ذلك الى احلم من هذا واشار الى الجبل بيده وكان مروان شديد البغض لاهل البيت وروى الحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون وروى ايضا عن عائشة رضى الله تعلى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان فى صلبه ومذهب مالك ان مروان غير صحابى فانه قال ولد مروان يوم احد قال ابو عمر فعلى قول مالك توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين او نحوها ولم يره لانه خرج الى الطائف طفلا لا يعقل مع ابيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر اليه على يوما فقال ويلك وويل امة محمد منك ومن بنيك اذا شاب دراعاك وصح ان الحسن حج خمسا وعشرين مرة ماشيا وان النجائب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعلى ثلاث مرات ومناقبه وكراماته كثيرة واما الحسين رضى الله تعلى عنه فولد لخمس خلون من شعبان سنة اربع قال الواقدى حملت به فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة واستشهد يوم الجمعة عاشر المحرم سنة احدى وستين وحز راسه الشريف وذهب به الى يزيد الخبيث بالشام مع نسائه ومن بقى من اله ووجد به احدى وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة وكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى اخيه الحسن ومن اولاد عقيل وجعفر تسعة عشر رجلا قال الحسن البصرى ما كان لهم على وجه الارض يومئذ شبيه واختلف

هل كان ذلك بامر يزيد ام لا وقد روى انه لما بلغه راس الحسين ضرب ثناياه بقضيب وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم على اعناق الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرءوس واقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى وقد قال الامام احمد بلعنه وكفره وناهيك به ورعا وعلما بغضيا بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه اطال فى تكثير ما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه ولعنه وكذلك ابن العربى بل قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اى بسبب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين باغ عليه وقد كانت سبقت بيعة يزيد ولا يجوز الخروج على من ثبتت بيعته ويرد هذا بانه انما يصح بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الجائر بعد تلك الاعصار بزمان واجتهاد الحسين اقتضى الخروج على يزيد لجوره بل لم تبايعه الحسين ولا كثير والعبادلة انما بايعوه مكرهين على بيعته ويمثل هذا يجاب عن خروج معاوية على على والحسن فانه كان متغلبا باغيا عليهما الا انه غير اثم لاجتهاده قتل الحسين كذلك وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة وذلك انه لما مات معاوية وبويع ليزيد بعث بشيرا ليعامله بالمدينة وهو الوليد بن عتبة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمنعهم مما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله ان ذهب فبكى ابن عباس وقال واحبيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله تعلى من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبق بمكة احد الا حزن لمسيره ولما بلغ ذلك اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستا بين يديه وكان مما بعثه على الخروج مخافة ان يستباح حرم مكة بسببه ولذلك لما نهاه ابن عباس قال له لان اقتل بمكان كذا وكذا احب الى من ان يستحل بى قال ابن عباس فذلك الذى سلا نفسى عنه وفى رواية انه قال لابن الزبير ان ابى حدثنى ان بمكة كبشا به تستحل حرمتها فما احب ان اكون ذلك الكبش ولان اقتل خارجها بشبر احب الى من ان اقتل خارجها بشبر واحد وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا ثم خذلوه وسار الحسين غير عالم بذلك فلقى الفرزدق فساله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وروى ان الحسين رضى الله عنه انشد الفرزدق

فان تكن الدنيا تعد نفيسة ... فان ثواب الله اعلى وافضل
وان تكن الابدان للموت انشئت ... فقتل امرئ فى الله بالسيف افضل

انتهت

وان تكن الارزاق قسما مقدرا ... فقلة حرص المرء في الكسب اجمل
وان تكن الاموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

ولما وصل القادسية تلقاه الخبر وامر بالرجوع فقال اخو مسلم لا نرجع حتى ناخذ بثارنا او نقتل فقتال قتالا ... عليهم اول خيل عبيد الله بن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه عبيد الله بن زياد عشرين الفا فقاتل فقالوا انزل على حكم ابن زياد فابى فقاتلوه فحمل عليهم وسيفه مصلت في يده وانشا يقول

انا ابن علي الخير من ال هاشم ... كفاني بهذا مفخرا حين افخر
وجدي رسول الله اكرم من مضى ... ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة امي سلالة احمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله انزل صادقا ... وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر

ولما بلغ العطش الى الحسين صاح فقال اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث فقاتل بين يديه حتى قتل وكان اكثر مقاتليه الذين كاتبوه ولولا انهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه وقاتل قتال البطل الشجعان وقتل رضي الله عنه عددا كثيرا من ابطالهم وشجعانهم حتى قتل ومن فضائله حديث حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق في الحاكم بعضها ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاها لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء وفي رواية فاشار جبريل بيده الى الطف من ارض العراق بناحية الكوفة ولا تناقض لان ذلك الموضع يسمى كربلاء وبالطف كذا قيل وقيل كربلاء قريب من الطف وروى الطبراني اما حسين فله هيبتي وسودده واما حسين فله جرءتي وجودي والبخو وغيره سمى هارون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان الدم لم تسم بحماد في الجاهلية وما اشتهر من الايات يوم قتله ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد سوادها وانكسفت الشمس حينئذ حتى ركبت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا وجد تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر

تاثير غضبه من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظم الجناية وقوله لبيس يتيقني بالقطار اي ابلاغ المقتل ضرورة كقوله لم تكن تعطيني عندي غير خمس دراهم وفي نسخة بنيفني الطف ومضاينها اي مطيبتها وفيعتها وزينتها والمراد احولها ونحو الحسين على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط واما الحسين فانه مات بالصرية وكربلاء تقدم انه موضع قريب من الطف او هو عينه وفي نظام العراق وقبره هنالك معروف يزار ويتبرك به قاله ابن حجر وقال الشيخ سيدي عبد الرحمن الوكلاب الشعراني في الكبغاق ان بعض عمال مصر اعطي على الراس الشريف نحو من ثلاثين الف درهم ونقله الى مصر وبنى عليه المشهد الحسيني وخرج هو وعسكره الى نحو الصالحية بطريق الشام مشاة حفاة يتلقون الراس فوضعه في برنس من حرير اخضر على كرسي ابنوس وفرشوا تحته الطيب والعنبر والمسك انظر الطبقات «ما رعى فيهما ذمة الرسول

عترة وشر ما وفاخرت عقدة الرؤساء» اي ما حافظ ولا راقب والذمام الحرمة وفي من تابع فجعوة في الحسين وابن زياد ومن تبعه في الحسين والرؤساء المتبوعون المقتفون دون المتردد دون في الطع كيزيد فجعلوا جزاء بمزية الشهادة العظمى والعتبى تاره وبخسارة الدنيا والاخرة «ابدلوا الود والحفيظة في القربى وابدت ضبابة الطعناء»

اي ان ابدلوا ابعود على المرء وسبيل والرؤساء والود المحبة التي اوجبها الله تعالى في القربى والحفيظة الحمية والغضب والمراد بالقربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابنيه يعني كونهما واخذوا بضديهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى الدال على وجوب مراعاتهم ومراقبتهم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى على القول بان المراد بالقربى القرابة روى الحسن بسند حسن انه خطب خطبة بليغة قال فيها انا الحسن ابن علي انا ابن البشير انا ابن النذير وانا من اهل البيت الذين افترض الله تعالى مودتهم وموالاتهم على كل مسلم فقال عز وجل فيما انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنة مودتنا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق انه لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى عن ابن عباس غير هذا واخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما جيء به اسيرا عقب مقتل ابيه واقيم على درج دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرات قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانت منهم قال نعم اما قرات

١٢

وفي خبر لابن الجوزي أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني لحب الله عز وجل وأحبوا أهل بيتي
لحبي وفيه أيضا ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب
رجل الإيمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم مني وفي حديث والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد
حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذريتي أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الأمر الذي
قرابته فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى وفي حديث إن الله كتب أن عظمة يتشفعون البتولا
أولاد فاطمة فإنا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقت من طينتي وبالركة بين العظم من أحبهم أحب
الله تعالى ومن أبغضهم أبغضه الله تعالى والذي نفسي بيده عز وجل لا يبغض أهل البيت أحد
إلا كبه الله تعالى في النار وضياء مزيد لهذا عند قوله نعم الناس بالتقى وروى أحمد والترمذي
من أحبني وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معي في الجنة زاد أبو داود ومات
متبعا لسنتي قوله وابدوا منتضبا بعد النافقاء الضباب جمع ضب وأراد يرابيعها جمع يربوع
لأن النافقاء لا تكون إلا لها والنافقاء هي إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر الآخر غيرها
حتى إذا أد منها ويجعل الحاجز بينها وبين النافقاء غبيا فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء
برأسه فانشق أي خرج من نافقائه وفي هذا تشبيه العكرة بالمختفين حتى جعلوا معها
باليرابيع وتكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفي ذكر النافقاء استعارة
تخييلية أو تشبيه ما عزا والأبك من التعلق بالنافقاء بجامع الاختفار بعد الابكال ومعنى
استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب والظاهر أن الضباب هنا جمع ضب وهو الغل والحقد
لا الحيوان المعروف لا نافقاء له «وقست منهم قلوب على من»

«بكت الأرض فقدهم والسماء» أي اشتدت وغلظت وهذا مقتبس من مفهوم
قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض أي قوم فرعون ومفهومه أن المؤمن تبكي
عليه السماء والأرض أما الأرض فمحل سجوده وعبادته وأما السماء فمحل صعود أعماله كما جاء
في الحديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وخيار المؤمنين والبكاء من الأرض والسماء
عليهما حقيقي إذ لا مانع منه وهذا أولى من تقدير المضاف

«فابكهم ما استطعت إن قليلا في عظيم من المصاب البكاء»
أي فابكهم أيها المخاطب مدة دوام استطاعتك تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبجبريل
عليه السلام وبعلي رضي الله عنه وكرم الله وجهه روى ابن سعد عن الشعبي قال مر علي
بكربلاء عند مسيره إلى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل له كربلاء فبكى حتى بل
الأرض من دموعه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال

كان عندي جبريل آنفا وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء فقبض
قبضة من تراب فشمنيه فلم أملك عيني أن فاضتا وأخرج الترمذي أن أم سلمة رضي الله عنها
رأت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام باكيا وبرأسه ولحيته المكرمتين التراب فسألته فقال قتل
الحسين آنفا وكذا رآه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة
فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه
قد قتل في ذلك اليوم ثم قال ابن حجر فإن قلت الأمر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فإذا وجبت
فلا تبكين باكية ومن ثم قال أئمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء
المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للحسين وأهله من انتهاك حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل أهل بيته ظلما وبغيا فإن قلت كيف نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن البكاء ويبكي كما في الحديث المذكور قلت المنهي عنه إنما هو البكاء بعد الموت لوقوع
الياس به من وجود المبكي حينئذ ودلالته على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء قبله
وأيضا المنهي عنه البكاء الاختياري والواقع منه محض رحمة ولعله اضطراري وفي الحديث
العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب عز وجل وليس بحرام البكاء بعد الموت بل
الحرام القول بما لا يرضي الرب وقوله إن قليلا في عظيم الخ يعني أن البكاء وإن كثر هو أقل جزاء
ما يقابل به المصاب العظيم أي الرزية الكبيرة الواقعة لأوليائه بقتلهم وكان العبارة حينئذ أطلب
وأي رزية أعظم من قتل الحسين رضي الله تعالى عنه وغير القليل هو قتل قاتلهم ودوام نصرتهم
بإشادة ذكرهم وإدامة الثناء عليهم وإذلال أعدائهم وغير ذلك

«كل يوم وكل أرض لكربي منهم كربلا وعاشوراء»
أي كل ذلك لأجل كربي وهو الغم الذي يأخذ بالنفس بحيث يخشى فوتها وقوله منهم أي بسببهم
وكربلا راجع لكل أرض وعاشوراء راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش أي كل يوم بسبب الألم الذي
حصل لي بقتلهم يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين وكل أرض بسبب ذلك كربلاء و
هو الأرض التي قتل فيها الحسين فكربي بسببهم فقتلهم عم جميع ما أتى فيه من الأزمنة والأمكنة
ولا يعارضه بالاختصاص من زمن لآخر ولا من أرض لأخرى وبين كرب وكربلا جناس شبه الاشتقاق

«آل بيت النبي إن فؤادي ليس يسليه عنكم التأساء»
آل بالنصب على النداء وهم مؤمنو بني هاشم عند المالكية والمطلب أيضا عند الشافعية وهو قول
للمالكية أيضا وهم المراد في قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا أكثر المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسنين رضي الله تعالى عنهم وقيل نزلت في

بنسائه رضي الله تعالى عنهن ونسب لابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكان عكرمة مولاه ينادي
به في السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ورجح بانهن
سبب النزول فيدخلن قطعا ويدخل غيرهن معهن روى الترمذي عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت قلت
يا رسول الله أنا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى وروى مسلم انه ادخل اولئك
الاربعة تحت كساء وقرا الاية وفي انه صلى الله عليه وسلم جعلهم تحت الكساء وقال اللهم
هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث حسن انه
اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال عليه الصلاة والسلام هذا عمي وصنو ابي و
هؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فقالت اسكفة الباب وحو
ائط البيت امين قوله ان هؤلاء ليس يحليه عنكم الناس اي الذين يتهمه محبتكم
ولا يذهب بها الناس فوقية اوله قال في المنح المكية اي ما يجعل لي من الشدايد والهم
وفي القاموس تاساه اذاه واستخف به بل محبتكم فيه مفيضة على الدوام لا تنزل لعلة محنة
ولا تنقطع لشدة فما هو ليس فعل جامد معناه نفي مضمون الجملة في الحال ونفي غيره
بالقرينة وقيل هي لنفي الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس
مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفي العام المستغرق والمراد به الجنس كلا تثريب
وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع

واعتزاز فوضت امري الى الله ... وسيقضي الامور من ساع بكم

غير النصب استثناء منقطع وموضع
امري ردت شاني اليه وسلمته وتعويض الامور اليه وهو مقدرها ومدبرها والتبري
الباري من حوله وقوته الى حوله وقوته وهذا متعين على كل عاقل فضلا عن فاضل كامل
وفي الحديث لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي هذا تسلية عما
جرى لهم رضي الله عنهم ويزاد في التسلية بان الله تعالى اختار لنبيه واهل بيته الاخرة على
الدنيا التي هي دار البلوى وبين عيوبها عندهم الغرب تنغيصها وسرعة تقلبها وانقراضها
وقد قال صلى الله عليه وسلم انا واهل بيتي اختار الله لنا الاخرة على الدنيا وقوله جزاء هو
لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل يقال انا جزاء منه ونحن براء منه بلفظ واحد لكل من المفرد و
المتعدد وبين موضع وتعويض بجناس الاشتقاق وجملة تعويض الخ تذييل

رب يوم بكربلاء مسيء خففت بعضوزره الزوراء

رب حرف تقليل ويوم مجرورها وموصوفها ... وصفه بما وقع فيه من قتل الحسين وذويه
وخففت بعض وزره اي ثقله على القلوب ان الغيرة لاهل البيت من ذلك المصاب الخ
والزوراء

والزوراء بغداد قاله في القاموس لان ابوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة يعني ما فعل بها
بانيها وهم ملوك بني العباس ببني امية بعد ان ملكهم الله تعالى ونصرهم لان بني امية عادوا
وجاروا وهم براء من الله تعالى ولا رسوله صورة غيرهم في البيت الطاهر من المكلفين الطاهرين
المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات
الباهرة والصفات الفاخرة فلما نصر الله بني العباس على بني امية اخذوا بثار الحسين وذويه
وقتلوهم شر قتلة وشردوهم على كل ناحية وقصدوا ديارهم واستاصلوا شافتهم وازالوا
من الارض جورهم وفسقهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

والاعادي كان كل ضريح من عظم البرق حاز عظمة الوغاء

والاعادي جمع عدو يعني قتلة بني امية كان كل ضريح اي مطروح منهم على الارض بالسيوف
والرماح العباسية والرمي بكسر الزاي جلد منفتح وفي القاموس الزق السقاء او جلد يجز ولا
ينتف للشراب وغيره والوكاء الرباط وهو خيط يشد به راسه وقصتهم مشهورة في التواريخ
ككتاب تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى وفي الطبقات الشعرانية ان اهل الحسين
روي ان الله عز وجل اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين وسبعين الفا ولا
قتلن بالحسين بن ابنتك قدر ذلك مرتين وكان ممن تولى قتله شمر بن ذي الجوشن الكلابي
قبحه الله ولعنه وسنان بن اوس النخعي لعنه الله فاما سنان فجاء الى ابن زياد مبشرا له بقوله

اوقر ركابي فضة وذهبا انا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس اما وابا وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقال الحسين
علمتم كذلك فلم قتلتم ثم قتله واما شمر فقتله المختار بن عبيد الثقفي شر قتلة
واوطأ الخيل صدره وظهره واخرج ابو الشيخ عن يعقوب بن عثمان قال كنت في ضيعتي
فصليت العتمة ثم جلسنا جماعة فذكروا الحسين فقال رجل ما اعان على قتله احد الا اصا
به قبل ان يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال انا ممن شهده وما اصابني امر اكرهه الى
ما عني هذه قال فطفى السراج فقام ليصلحه فاخذته النار فجعل يبادر النار النار و
الغى نفسه في الفرات ليطفئها فاخذته النار حتى مات ومن الغرائب والاغرابة
ان ابن زياد قتله ابن الاشتر عامل المختار يوم عاشوراء في العام المقبل وبعث براسه
ومن معه من اصحابه الى المختار فنصب راس ابن زياد في موضع راس سيدنا الحسين وروى
الترمذي عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جيء براس عبيد الله بن زياد واصحابه نضدت
في المسجد ثم في الرحبة فانتهيت والناس يقولون قد جاءت قد جاءت حية قد جاءت تتخلل

الرء ومن حتى د خلقه في مغنى عبيد الله بن زياد ثم خرجت فتغنيت ثم رجعت من بيتي اولاها
والمختار المذكور وان جعل ما جعل فليس بمختار لانه من الشيعة ومن اراد الاطلاع على
تمام الاخبار فعليه بكتب التاريخ للسيوطي وغيره هذا وعذاب الاخرة اشد وابقى
فقد قال سليمان بن يسار وجد حجر عليه مكتوب لا بد ان ترد القيامة فاطم
وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعاؤه خصماؤه
والصور في يوم القيامة ينفخ وقال السيد السمهودي وهو شاهد
لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة
ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم
بيني وبين قاتل ولدي فيحكم لابنتي ورب الكعبة وعن محمد بن عمير قال وجد حجر قبل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه
الى العربية فاذا هو أترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب
وروي ان الذين حملوا راسه نزلوا اول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد
فكتبت البيت المذكور بالدم ان يتق النبي فيكم فطاب الفرح فيكم وطاب الرثاء
يعني في الاعلى او اعم وتقدم القول فيه وذم الزبير نعم الله تعالى في كتابه على تطهيرهم
فقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اي من سائر
الاخلاق والافعال والاقوال المذمومة وفي الاحاديث بشرى بعصمتهم من النار وهو فائدة ذلك
التطهير وغايته اذ هو الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما
ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا
عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء لا يكون الا منهم وحكمة
ختم الاية بتطهيرا المبالغة في وصوله لاعلاه وفي دفع التجوز عنه وتنوينه للتعظيم
التكثير ايذانا بان ذلك التطهير ليس من جنس ما يتعارف ويالف ابن عمر وصح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث
خيركم خيركم لاهلي وقوله فيهم ابدا اطلا ونجوما وافواها وابعادا و طلاب العرج
لم اذكر وكم وان لم اصنعوا واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى اثنى عليكم ورسوله
صلى الله عليه وسلم وفي القاموس مدحه كمنعه مدحا ومدحة احسن الثناء عليه وطلاب
الرثاء ان يبكى عليكم بعد موتكم مع تعداد محاسنكم قال في القاموس ورثيت الميت
رثيا ورثاء ورثاية بكسرهما ومرثاة ومرثية مخففة بكيته وعددت محاسنه
ان تحسنا من حكم فاذا تعف علينا فالي الخنساء

اي اناكم هو وهو حسان بن ثابت بن حرام الانصاري الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشعر اهل المدر وكان رضي الله تعالى عنه يكافح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو
المشركين ويرد عليهم ما يقولون في جانب النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين رضي الله
تعالى عنهم وفي الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان ينافح او يدافع عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعا له النبي بقوله اللهم ايد حسانا بروح القدس يعني جبريل واراد ان يهجو
قريشا فقال له النبي وكيف بنسبي اذ انه صلى الله عليه وسلم في كل بطن منهم قرابة فقال له لاسلنك
منهم كما تسل الشعرة من العجين وتخف عليكم يكفيكم بعد موتكم وعدد محاسنكم
وقوله فالي الخنساء اي كهي في بكائها على اخيها صخر وتعداد محاسنه وهي الخنساء
بنت عمرو بن الشريد السلمية الصحابية رضي الله تعالى عنها قدمت مع قومها بني سليم
على النبي صلى الله عليه وسلم ورآه عليها ثوب رضي الله عنها ثوب خز فاخبر بها ابان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان
زوجها افتقر فسالت اخاها فقاسمها ماله فافتقر فسالته فقاسمها ماله ثم الثالثة
كذلك ثم الرابعة كذلك فعنفته زوجته فاجابها بانها كعينه عارها ولو ماتت مزقت خمارها
ولبست من شعر صدارها فالف مثل ذلك اتخذت هذا الثوب فبلغ خبر من اشعر الناس
فقال انا لولا هذه فبلغها ذلك فقالت بقولها ان الزمان وما تفنى عجائبه
ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس ابقى لنا كل مجهول وفجعنا
بالحالمين فهم هام واوصال ان الجديد تبليه طوارق اختلافهما
لا يبعدان ولا شيء يبعد الناس واجمع علماء الشعر انه لم تكن امراة قبلها
ولا بعدها اشعر منها ومن قولها في اخيها صخر الابا عين ان لا تبكيا عيني
فقد اضحكني دهر طويلا اذا قبح البكاء على قتيل
رايت بكاءك الحسن الجميلا ومنه ايضا يؤرقني التذكر حين امسي
فيردعني مع الاحزان نكسي على صخر واي فتى كصخر
ليوم كريهة وطعان خلس يذكرني طلوع الشمس صخرا
واذكره لكل غروب شمس ولولا كثرة الباكين حولي
على اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل اخي ولكن
اعزي النفس عنه بالتاسي وقال العصري المفضل عن اخبر بيت
قالته العرب فذكر له قول الخنساء في اخيها وان صخرا لتاتم الهداة به
كانه علم في راسه نار فاعطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكا

عليه دينا عشرة آلاف ورد انها عمر رضي الله تعالى عنه تكون باكية لا امه تضربها معلقة
نعلى ضربه خمارها فوق عنقها فقالت زينب جار بسالم بنت احد بمثله فقال ان في
الناس من هو اعظم ذرية منك وان الاسلام عنكم ما كان قبله فكيف وحضرت
حرب القادسية مع بنيها الاربعة فحضتهم على الثبات ابلغ حض ثم قالت واذا
رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على اوراقها فتيمموا وطيسها وجا
لدوا رئيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد فتقدموا واحدا فقتلوا فقالت
الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني الله تعالى بهم في مستقر الرحمة فكان
عمر رضي الله تعالى عنه يعطيها ارزاقهم لكل واحد مائتين حتى قبض رضي الله عنه

فضلتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضاء والصفراء

اي فضلتم الناس يا اهل البيت بالتقى بعد النسب العالي بالحذر من معصية الله تعالى بالاخذ
بما عنه قال في القاموس واتقيت الشيء وتقيته واتقيته تقى وتقية وتقاء ككساء
حذرته والاسم التقوى وقد علم حالهم في معرفة الله تعالى وخوفهم لله تعالى وهم اعلم الناس
واخوفهم وقد قالوا الحق كان بالله اعرف كان لله اخوف قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وتقدم ان جماعة يقولون ان القطب لا يكون الا من اهل البيت واخرج الطبراني في
حديث ان اهل البيت هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون
من كانوا حيث كانوا وقال الحسن بن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم لبعض الغلاة فيهم
ويحكم احبونا لله تعالى فان اطعنا الله تعالى فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم
لو كان الله تعالى نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته
لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا ابي كابي طالب والله اني لاخاف ان يضاعف للعاصي منا
العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا اجره مرتين ولا تغتروا بتسميتهم اشرافا فالانساب
قال تعالى في اية المباهلة فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل الاية قال بعض
المفسرين لا دليل اقوى من هذا على فضل علي وفاطمة وابنيهما لان الاية لما نزلت دعا
النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي
خلفهما فعلم انهم المراد من الاية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون
اليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والاخرة وصح انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر خطيبا
فما بال اقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه يوم القيامة
بلى

بلى والله ان رحمي موصولة في الاخرة والدنيا الحديث واخرج الطبراني حديثا ان الله تعالى
جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب زاد غيره
اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسماء امهاتهم سترا من الله تعالى عليهم الا هذا
وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم قال ذكر ابن الجوزي هذا في
العلل المتناهية وعورض بان كثرة طرق الحديث ترفعه الى درجة الحسن او الصحة
وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب
ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي وفي رواية بزيادة الصهر وذلك هو الذي حمل
عمر على ان تزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وصح الحاكم حديث
وعدني ربي في اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج احمد حديثا
والذي نفسي بيده لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم وورد في احاديث ضعيفة
ان فاطمة عليها السلام احصنت فرجها فحرمها الله تعالى وذريتها على النار نعم اخرج
الطبراني بسند رجاله ثقات ان الله تعالى غير معذبك ولا احد من ولدك وورد بان عباس ان
الله تعالى غير معذبك ولا احد من ولدك ولكن لا ينبغي الاغترار بنحو هذا فان كثيرا من
لا يقضي على ما ظهر القضية ويعني بقوله وسواكم الغير ممن بني امية واشباههم وسودته
اثبتت له السيادة عند اهل الدنيا امثاله والبيضاء الفضة والصفراء الذهب خاتمة
اعلم ان هذه الايات والاحاديث الواردة في فضائل ال البيت نص النبي حملت الامام ابن
العربي الحاتمي على ان ذكر جميع كلام في فتوحاته المكية واختصره الشيخ سيدي احمد
زروق والشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو ان يعتقد في اهل البيت ان الله تعالى تجاوز
عن سيئاتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم قال الله تعالى انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فعلق الحكم بالارادة التي
لا تتبدل احكامها فلا يجوز لمسلم ان يشنأهم تنقيصا ولا ان يتشاغل من شهد الله بتطهيرهم
وذهاب الرجس عنهم والعفو لا يخرج عن النسب ما لم يذهب اصل النسبة وهو الايمان
وما نعبر عليهم من الحقوق فلا يدينا فيه نائبة عن الشريعة وما لنا في ذلك الا كالعبد
يجب ابن سيده باذنه فيعفو بامر السيد ولا يعمل فضل الولد وقد قال الله تعالى قل لا
اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال ابن عباس في الا ان تودوا قرابتي وما نزل بنا
من قبلهم من الظلم ننزله منزلة القضاء الذي لا سبب لهم فيه قال عليه الصلاة والسلام فاطمة
بضعة مني يريبني ما يريبها والجزء من الجملة الكل وقد قال تعالى وكان ابوهما صالحا

فلا تنفع صلاح الاب فيما لحقك جنوبه اذ لكان هذا في اولاد الصالحين فما لحقك باولاد النبيين
فيما ذكر تعبيره في اولاد المرسلين فبان ان الحكم من الفضل ما لا يبعد وقد روي غير الذي خطه به في
قال الشيخ زروق ولما ذكر اول هذه الجملة لشيخنا ابي عبد الله القوري قال هذا في حقنا
فيما ذكر في حقهم فليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وتلويحا نساء النبي ومن يات منكن بفاحشة
مبينة الآية وكتب الامام النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار على قوله ويعتقد
في اهل البيت الخ ما نصه قول القائل ان اهل البيت يعتقد ان الله لا يعذبهم الخ ان اراد تغليب
الرجاء في حق من علم الله انه منهم على الخوف مع ان اراد بالاعتقاد الجزم المطابق بانهم
لا يعذبون فقد ابتدع وخالف اهل السنة فان قيل ورد به خبر ظاهر فيما ورد اكثره
منهما واوضح في حق ما عمل طاعات وادعى الاعداء لاهل البيت من بني هاشم ذلك بل يذكر
غير بضاعة لهما العذاب ضعيف وان كثيرا من تلك الاخبار فلا تخلص ممن اعتقد
ذلك منهم او من غيرهم فهو مبتدع بل مذهب اهل السنة انهم في المشيئة وكتب على هذا
الكلام العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي رحمه الله ما نصه فيه على قوله في حق من علم الله
تعالى انه منهم فانه تنبيه على انه لا يقطع به في معين ولا بد ان يحصل تعيينهم ولهذا الامر كون من
لهم الوجاهة على الاسلام وهو غيب وهكذا ينبغي ان يكون الاعتقاد في كل فضيلة وعد عليها
في الغيب فان شرط ذلك الايمان عند الله وهو غيب غير مقطوع به لاحد الا من عينه النص
على ان من تحقق فضله الحق لا يمكن ان يعذب به وبه تعلم قول سيدي عبد السلام الحنفي ينبغي
ان اليقين مشروط بالدين وهو غيب وكذا ما ورد في قبول الطاعات والدعاء وادخاره
وانما هو فيمن علم الله تعالى منه خاتمة الايمان وتعلقت بذلك ارادته ومشيئته وادخر
في خاصته فلا يقع منه الجزم والقطع في ذلك لمعين ولا لغيره وقد قال سيدي ابو الحسن
وقد بعث الامر علينا لنرجو ونخاف وذلك يقتضي العبودية وبذلك تنقطع الاطماع الا من
الله وتتحقق الرجاء والاعتماد عليه لا على الاسباب فاعرفه هـ فتبين من نصوص هؤلاء
الائمة رضي الله عنهم ان محل الاحاديث التبشير على غلبة الرجاء في حق من علم الله انه
منهم لاكن يشكل عليهم ان الآية صرحت بان الله تعالى اراد ذهاب الرجس بمعنى الاثم
كما قال المفسرون عنهم وما اراد الله مقطوع بوقوعه وهو معنى قول ابن العربي وعلق
الحكم بالارادة التي لا تتبدل احكامها والجواب من وجهين احدهما ان الشيخ ابا العباس
الشاطبي حمل الارادة في الآية على الامرية وهي انما تستلزم الرضى بالمراد لا وجوب
وقوعه لا يقال لا خصوصية لاهل البيت بذلك مع ان الآية جاءت لبيان مزيتهم وخصوصيتهم
لانا

لانا نقول لما امر امهات المؤمنين باوامر ونهاهن بنواه عقبه ذلك بقوله انما يريد الله الآية تحريكا
للهمم العالية وتذكيرا لما خصهم به من العزيمة التي لا يناسبها الا غاية النزاهة وكمال الطهارة
وهي معنى قوله اهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين اي فقوموا بحق هذه النعمة العظيمة
وصونها واجروا على ما يناسبها ولا يليق بالمنعم بها كانه يقول انما امرناكم بكذا ونهيناكم
عن كذا لاننا نريد لكم الا الكمال بان تكونوا طاهرين من كل شين وهذا كما يقول الناصح لمن هو
في المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا
والثاني بان المراد باهل البيت فاطمة وبعلها وابناءها او نساء النبي صلى الله عليه وسلم او هما
على اقوال الثلاثة للمفسرين خلافا لابن العربي في التعميم الذي ذكره في الفتوحات قال السيد السمهودي
فقد ذكر اهل السير ان زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وكان قد خرج على المامون
فظفر به فبعث به الى اخيه علي الرضى ابن موسى الكاظم فوبخه علي الرضى ومن جملة ما قال
له يا زيد ما انت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء واخفت السبل واخذت
المال من غير حقه غرك حمقاء اهل الكوفة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة
احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وهذا انما هو لمن خرج من بطنها مثل الحسين فقط لا لي ولك
والله ما نالوا ذلك الا بطاعة الله هـ وقال المناوي في حديث سالت ربي عز وجل ان لا يدخل احدا
من اهل بيتي النار وقد عين ابنها قال هم فاطمة وعلي وابناهما وزوجاته هـ فهذا ما لخصته من
شرح شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله على همزيته وفي الاحياء للغزالي لما تكلم على الاعجاب
بشرف النسب والاباء ان من خالف اباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه يلحق بهم فقد جهل ولا يتكل
على شفاعتهم فانه قد لا يعودي له جبه وانه بمنزلة من يتعاطى اكل السموم اتكالا على طب ابيه
وذلك جهل وخطر لانه يعني ذلك ما لا يحتاج فالجزم الحذر ولهذا وقد سئل العلامة الخبير
الفاضل الاشهر سيدي العربي بردلة عن معنى قول التنبيس الاولى هل يطلب شرعا الحث في هذه النسبة
النبوية لتتميز من انتفت له شرعا محصى لاكنه لم يكن ام الاولى نسبة على تعظيم الحكومية هل
يترك ذلك لعصر حتى يلحق من صفة دعوى لتلك النسبة من امتهانه وتكليفه المغارم
فاجاب عن الاولى بان ذلك الامر مطلوب شرعا في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم امر
حسانا ان يذهب الى ابي بكر ليخلص له نسبه اي حين اراد حسان وامر ان يناضل عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال له صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبي فقال حسان لاسلنك منهم وتعبير عليه تخليص نسبه
الشريف فكذلك ما بين الامة لما كلفوا في حق الاله بامور منها الصلاة عليهم الوارد بها النص
في البخاري وصح ان الصحابة قالوا يا رسول الله امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبما يجب لهم قال في المختصر مع أحبها والخمس والجزية
لأنه صلى الله عليه وسلم ثم للمصالح وبما يختص بهم عنه بالكفاية فمع منعهم أن بهذه الكلف
فيه أنها هي أوساخ الناس وإنما لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم
قال لا أحل لكم أهل البيت من الصدقات شيئا ولا غسالة الأيدي إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم
أو يغنيكم قال المواق تعلى قول المختصر وعدم محوه تعالى ثم قال ابن الحاجب حبيب ابن خلدة وآل
محمد الذين لا تحل لهم الصدقة من فوق بني هاشم من بني عبد مناف وبني قصي ويدخل في
ذلك من دون بني هاشم من بني عبد المطلب وبني ينبغي ما ننسا أصلوا التي اليوم وكذا
ينتزهون عن أن يكونوا عالا عليها قال في المختصر في الجائز غير معلاضي قال اللخمي
لا يستعمل عليها من كان من آل النبي صلى الله عليه وسلم لأن أخذ ما على وجه الاستعمال
عليها لا يخرجها عن أوساخ الناس قلنا كلفت الأمة بهذه الأحكام وغيرها في حق آله
عليه السلام نعين تمييز متعلق بهذه الأحكام التي هو الآل من غيرهم ولا يتميزون إلا بالبحث
البالغ والتحقيق والتفتيش المستقصى ولذلك نصبت النقباء قديما وحديثا في ممالك الإ
سلام وأنفع ما نصب له النقباء هو التمييز والتحقيق من ثبتت له هذه النسبة الشريفة
ممن لم تثبت له لأن الناس جبلوا على حب العلو لا سيما من أعانه الدهر بوفور مال أو
شهرة وجاهة لحسب من الأحساب أو نيل رياسة فكلهم يتطلع ويتحيل للتحلي بهذا
النسب الشريف فإذا لم يقع الذب عنه استوى الشريف والمشروف وتعطلت تلك الأ
حكام أو تعلقت بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك ثم هنالك أمر آخر نبه عليه الأمير
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو التوسل بهم عند الشدائد حين خرج للاستسقاء
وقال بسيدنا العباس وقال اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا اللهم إنا نستسقي
بعم نبيك فاسقنا وتذكر قصة الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي حيث أشار على الناس
بالاستسقاء بهم ففعلوا فسقوا ولهذا قال الشيخ العطار ينبغي أن يكون لأهل البيت
النبوي بل ولجميع الأمة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب إليه
أحد الأدعياء كما جرى عليه السلف الكرام لتعين توخيهم بالإجلال والإعظام وقال ابن حجر
الهيتمي وينبغي لكل أحد أن تكون له الغيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى
لا ينتسب إليه صلى الله عليه وسلم أحد إلا بحق وأجاب عن المسألة الثانية بأن تلك
المفسدة اللاحقة معلقة بالنسبة التي جعلها الآن فصار من سقطت دعواه
لتلك النسبة أن يرجع في الدنيا من عوام الناس يتوب مما ادعاه ويلزمه مثل ما يكلفون
به

أو سلخ

وعلى

مقابلتها

به لا ذكر فيه انقياد له من وضوح الأدلة حيث تمنى المغاربي ويظهر الأمر على خلاف ما يدعيه
ويظهر من ذلك الجناب الذي كان إليه ينتهي ثم إنه ورد الوعيد الشديد على من خرج عن
نسبه ينتطلب غيره في الخبر من انتسب إلى غير أبيه فالجنة عليه حرام ومن انتسب إلى
غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وعن مالك رضي الله عنه من انتسب إلى
بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته
لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم اه وما نقله عن مالك هو في أخير الشفا من
رواية ابن مصعب عن مالك لا كما رأيت في حاشية العطار وبالله تيسير عبد الرحمن الفاسي على الجلال
في أخر كتاب العتق عن الأبي على حديث من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة
عليه حرام ما نصه إن كان إنما يقول ذلك ليأمن على نفسه يعني على وجه التقية من ظلم أو
خوف على نفسه أو مال فذلك خفيف ولا كل ما يجوز أحسن أن قال العارف وهذا كله في دعوى
الشرف لا جاز ذلك أو الانتماء إلى صالح فإن كان للضرورة فذلك خفيف كما ذكر والتورية أحسن
وإن كان لغير ضرورة فحكمه الوعيد المذكور في الحديث بلا شك والحديث صادق في المدعي
للشرف بالكذب فيما والناس متلقفون على انخراطهم في دعوى غير الشرف حماية لجناب النبي
صلى الله عليه وسلم وقد ذكروا في باب الردة أنه يقتل [illegible] من انتمى إليه عليه السلام
بغير حق سواء كان ذلك الانتساب تصريحا واحتمالا ثم ذكر كلام الشفاء المتقدم والله
أعلم

وفي قرابة الذين هم بعدك في الصحابة والأوصياء

الأصحاب جمع صاحب كأشهاد وأشهاد وهو من اجتمع مؤمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ولو لحظة ولو أعمى ومات مؤمنا والصحابة جمع هاد أي الكاملون الأمة على الله تعالى بما يليق
بنو حيدرة وعلى نشر عن الذي شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والأوصياء جمع وصي من وصاه وأوصاه عهد إليه بالمعهود
إليه بالقيام بأمر الدين والدعاء إليه والذب عنه فقاموا بذلك أتم قيام كما هو معلوم
رضي الله تعالى عنهم ولا غيرة بمن قال أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بخلافة أبي بكر وعمر إذ وقع
الإجماع على أن ذلك لم يكن والأدلة قد ثبتت الأمة لو خالفوا نص الوصية لو وقع لذكر اشارة أنه
صلى الله عليه وسلم في غير حديث حلف على أن الخليفة بعده الذي رضيه الله تعالى ورسوله لخلافة
النبوة أبو بكر رضي الله تعالى عنه وجعلنا في جاه وسياسة بعضها في ذكر أبي بكر فما بركة جمهور
الأمة على أن أفضل الصحابة لا يعدله شيء وأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أمته بعده
على الإطلاق وذهب الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في جماعة إلى أنه يمكن أن يكون فيمن بعدهم من هو

وعلى

[illegible]

امضا من بعض للخبر الحسن وفيه جميع مثل امتي مثل المطر لا يدرى أوله خير ام اخره وللخبر

الحسن ايضا الترمذي المصبح اقواما انتم لمثلكم او خير ورواه ابو داود والترمذي بان للعامل

ايام فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا قال منكم انكم الموافيه واجاب الجمهور على الحديث

الاول بان معنى قوله لا يدرى اوله خير الخ بسعة الحال وكثرة الاموال واتساع الارزاق فان

الله تعالى فتح عليهم في الاول اقطار الارض وابا حهم اموال الامم ومصالحهم ونساءهم وملكهم

رقابهم وكذلك في اخر الامر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات كما ورد في الحديث عن نزول

عيسى عليه السلام قاله السيوطي في شرح العقيلة لشيخه الشاطبي ونحوه للجعبري الخ

أحسنوا بعد الخلافة في الدين وكلهم يقتدي به ويهتدى

اي اجادوا في تولي الامر واتقنوا ولم يبدلوا بعده قال في القاموس والخالف الذي يقعد بعده

قال الله تعالى واقعدوا مع الخالفين والخليفة بكسر الخاء واللام المشددة الخلافة قالوا

لخليفة السلطان الاعظم وقد نهروا الكفار وفتحوا الامصار وساسوا الامة ونشروا فيها

علوم الكتاب والسنة حتى ظهر دين الله واتضح لنا علي علي رضي الله تعالى عنه وكان الامر من

كذلك حياة ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ايام الحسن رضي الله تعالى عنهم وكل منهم لما

تولى بعده صلى الله عليه وسلم من الامراء اي بكسر الهمزة فيهم بما يصلح حسن قيام واتم تبيا

نسه اغنياء نزاهة فقراء علماء ايمة امراء

اغنياء جمع غني اي بالله تعالى مع نشره بوصفه سواء منهم ذو المال وغيره وفي الحديث ليس الغنى

عن كثرة العرض الا لمال وانما الغنى غنى النفس وقال الشاعر ان الغنى بالنفس يا هذا

ليس الغنى بالمال والزهد ونزاهة على حذف مضاف اي ذو نزاهة قال في القا

موس النزه التباعد والاسم النزهة قال ونزه كرم وضرب نزاهة ونزاهية اي تباعد

عن كل مكروه فهو نزيه اي اعفاء كما قال تعالى في اهل الصفة يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف

تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وفقراء جمع فقير وليس المراد به الفقر الحقيقي بل

المعنوي فان الكثير منهم كابن عوف وابن عفان رضي الله تعالى عنهما انما كانت في ايديهم

كالخزان لمال الله تعالى يفرقونه في مواضعه ومستحقه وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا

بين الزهد والخلافة والعلماء جمع عالم وايمة جمع امام اي علماء مقتدى بهم لانهم الذين

ورثوا العلم عنه صلى الله عليه وسلم وشهروا اهديه واستعملوا بحره قال في النظم وهذا بالنصب

للكثير منهم واللاحق جاء ان الحسن البصري كان يفتي الصحابة رضي الله تعالى عنهم في زمنه وفي الحديث

المتفق عليه في خطبة حجة الوداع رب مبلغ اوعى من سامع وامراء جمع امير اي ملوك على من

بعدهم

جوههم من تفضاله عليه او المراد من ولي منهم في زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء

الراشدين بعده زهدوا الدنيا فيما بعرف المثل السفاه فهم ولا الرغبة

اي لم يبروا شهوات الدنيا وهي بضم الدال وتكسر فعلى من الدنو اي القرب لسبقها الاخرة وقيل

لدنوها من الزوال وهي ما بين السماء والارض وفي القاموس الدنيا نقيض الاخرة وقد تنون

اليه دنيا بعني اذ انكرت واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة في الحديث واجاب

بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا كرجعى والمراد انهم كانوا

حكام الدنيا وتوابعهم من العز والخيلاء والجاه قال في العين ثم الصحابة رضي الله تعالى

عنهم في الزهد فيها وهو اخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على

قسمين والكثير منهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم وبالمعارف ونشرها

وبالعبادات حتى لم يبق لهم اوقات شيئا الا وهو مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم

حصلوها الا انهم كانوا فيها خزانا لله تعالى يفرقونها حيث امر الله تعالى ويمنعونها

حيث منع وهذا الايناقي زهدهم لانهم لم يتمسكوا بها لا نفعهم بل لما ذكر وقوله فيما او الميل

اي العدول والانحراف الينا ضعف ولا الرغبة اي الارادة والحرص على تحصيلها وفي القاموس

رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ورغبوتا ضم

ورغباء كحمراء ابتهل او هو الضراعة والمسألة التزود كراهى غبا بعد العيل الفلاح

وفيه من البديع ذكر التكبير والتدبير ولا يغامي في هذا اثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال

بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح وما ورد عن الانظار من الصحابة كابن عوف وانس والمقداد

وكثرت اموالهم جدا لان المال لهم حينئذ حبقة خير بصرفه في الطاعة والاعانة على قيام

امور العبادات وبالنظر اليها يثني عليها وجهة شر بصرفه في ضد ذلك وبالنظر

اليها يذم ويقبح راجع ما تقدم في قوله مستغفل دنياك فيه كفاية والله تعالى اعلم

احصوا الوغى نفوس ملوك حاربوها اسلابها اغلاء

الوغى الحرب والملوك جمع مليك اي صبروها وحبسوها بعد ان كانت غالبة بان قتلوهم وكانوا

تمنعوا في وسط جيوشهم وقصروا اليهم حتى وصلوا اليهم فكيف بغيرهم وحاربوها اي قاتلوها

لما يجد وصدق نيته لنصرة دين الله تعالى واسلابها جمع سلب بفتح اللام وهو ما يسلب من ثياب

القتيل ودرعه وسلاحه وغير ذلك مما يكون معه واغلاء بكسر الهمزة مصدر اغلى الشيء

اذا صيره غاليا اي ذات غلاء فكيف بالنفوس وفي القاموس غلا غلاء فهو غال وغلا ضد رخص

واغلاه الله تعالى وقوله ابن حجر الاغلاء بالكسر اسم مصدر لغلى السعر بمعنى اسم العاعل الابلغ

١٢

«كأنهم في أحكامهم ذوو اجتهاد وصواب وثالثهم الخطاء»

الأحكام جمع حكم وهو لغة القضاء وشرعا خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء أو التخيير وحكم الحاكم يطلق ويطلق أيضا عند الأصوليين على النصب التامة المشتقة تارة والفقهية أخرى كما في قولهم الفقه العلم بالأحكام الشرعية وهو المراد هنا وذو واجتهاد أي صاحب بذل وسع في تحصيل الحكم لتوفر شروط الاجتهاد فيه وكذلك لم يرو عن أحد منهم أنه قلد غيره في مسألة من المسائل وكان الناس يستفتون من رأوه منهم فيفتيهم باجتهاده ولا يقبض أحد منهم على أحد إلا إن كان هناك نص صريح وخولف فيذكره فيمتنع من يرجع إليه ومنهم من يقوله أو يعارضه بمثله وفي عذارد على من اعتقد أن فيهم ذا هوى أو تعسف أو حيف أو بغض حاشاهم من ذلك بل لم يختر الله لصحبة نبيه إلا وهم على أكمل الأوصاف وأجلها وقوله وصواب أي ذو صواب وهو ضد الخطاء قال ابن حجر وهذا إشارة على القول بأن كل مجتهد مصيب وأن حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد وهو ضعيف والأصح أن المصيب واحد وهو الذي وافق ما عند الله تعالى وله أجران وللمخطئ أجر واحد كما في الحديث ولو قال وثواب لكان أولى وعليه فعلي كرم الله وجهه هو المصيب فيما وقع بينه وبين معاوية رضي الله تعالى عنهما ومعاوية مخطئ في خروجه عنه وله أجر واحد ولعلي المصيب أجران وفي حديث للمصيب عشرة أجور والأكفاء جمع كفء أي مكافئون في أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وإبراز الأحكام لا لحظ ولا لهوى وإنما تفاوتوا في الزيادة في ذلك وحينئذ فلا ينافي في ذلك قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أبو بكر أعلمنا ولا قول عمر لعلي رضي الله تعالى عنهما فيجيبه فيقول لا أبقاني الله تعالى لأمة لست فيها يا أبا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على كبير من شيخة المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم لأنه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ما ليس عند غيره ولا قول معاوية لعلي بأن أرسل إليه في المشكلات فيجيبه عنها رضي الله تعالى عنهما وكذا قال أحمد بن حنبل لم نجيبا عدوك فقال أما يكفينا أنه احتاج إلينا وسألنا والجمهور على أن أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد

«رضي الله عنهم ورضوا عنه» «وأتى يخلفوا التبع خطاء»

رضي عنهم عز وجل بتعويض الأمور إليهم ورضوا عنه أي بثوابه وفي الفتح رضا الله تعالى عن العبد أي منه من تخطيه وإحلاله دار كرامته ورضا العبد عنه أي الانتهاج بفسرة أدنى جزائه من

من نوع قضاء من أقضية الله تعالى بل يجد في ذلك لقلبه برد اليقين وثلج الصدور وشهود الحكمة العظمى وزيادة الطمأنينة قال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه الآية وقوله وإني يخطئوا أي كيف يظن التبع خطاء بالمبالغة فليلغ الخطاء بالقصر وهو ضد الصواب وقد مر أنهم كلهم مجتهدون وأن المجتهد إذا أخطا له أجر وأن الله تعالى اختارهم على غيرهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا أي فرضا ولا نفلا وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله تعالى منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وفي حديث إذا أراد الله تعالى برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه وفي حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وفي حديث الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ومن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه وفي حديث لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفي حديث من لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض يوم

«جاء قوم من بعد قوم بحق» «وعلى المنهج الحنيفي جاءوا»

أي جاء قوم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعد قوم منهم في طبقات والسابقون أولئك المقربون لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية أو المعنى لم يزل الواحد بعد واحد وهو من علامات النبوة لأنه وقع في قضية هرقل وقوله وعلى المنهج المتبع أي الطريق الواضح المنسوب إلى الحنيفية وهو الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج أي جاءوا كلهم على ذلك وإن تفاضلوا كما سبق

«ما لموسى ولا لعيسى حواريون في فضلهم ولا نقباء»

الحواريون جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يقصرونها وفي القاموس الحواريون الناصرون أو ناصر الأنبياء والقصار والحميم وضمير فضلهم يرجع للصحابة بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية وحديث خير الناس وفي لفظ خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وحديث المناجاة أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام رأى الخيرية للأمة في اللوح أو صاحبا باهرة فقال يا رب اجعلني منهم رحمة والنقباء جمع نقيب وهو عريف القوم وضمينهم ونقب عليهم نقابة بالكسر فعل ذلك أي ما لموسى نقباء ولا لعيسى حواريون في فضلهم فيهم لف ونشر

معصومين اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى عليهما السلام كما تقدم والمراد بهم افضل
ممن لم يكن نبيا منهم تتمة قال الغزالي في الاحياء اعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحا
بة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه ورسوله عليهم وما جرى بين معاوية وعلي كان مبنيا
على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة
عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فرأى التاخير اصوب
وظن معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة وتعرض الدماء
للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى
تخطية علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا هو وقد حكى غير واحد اتفاق اهل الحق على ان عليا
اجتهد واصاب وله اجران وان معاوية اجتهد واخطا فله اجر واحد فان قلت ثبت في
الحديث الذي رواه جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال تقتل عمارا الفئة الباغية
وقد قتل بصفين مع علي والزبير قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة وفيه ايضا
قوله يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قلت اجيب عن ذلك بانهم كانوا ظانين انهم يدعونه
الى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء الى الجنة الدعاء الى
سببها وهو طاعة الامام فلذلك كان عمار يدعوهم الى طاعة علي وهو الامام الواجب
الطاعة اذ ذاك وهم كانوا يدعونه الى خلاف ذلك لكنهم معذورون لانه ان الامام الواجب الطاعة
عندهم معاوية ايضا كان ان كلا كان يدعو الى الحق بحسب ما اداه اليه اجتهاده لا على
الحديث اخبر بان الذي طاه وصوب الصواب على ومن معه والله تعالى اعلم بالصواب

﴿خاتمة في خلافة الافضل﴾

هو بدار من باب عطف بداخاص من عام ارادان
يقدمه بالعشرة تفصيلا بعد ان قدمهم بالصحابة اجمالا وهو رضي الله تعالى عنه اسمه عبد الله
ابن عثمان ولقبه عتيق وهو افضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين كما في
الحديث بلفظ ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر وحكمة
الافتراء به حصلت من طرق كثيرة بحيث اشتهر بالتواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله
الاشعري والمراد بالاقتداء في الصلاة بامره صلى الله عليه وسلم وهو اعظم اركان الدين ويجب
الاقتداء به في غيرها واحاديث الامر له ان يصلي بالناس معلومة صحيحة وفي حديث انه عليه
الصلاة والسلام امرهم بالصلاة وكان ابو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان جهيرا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اخرج راسه الشريف مغضبا يابى الله تعالى والمسلمون
الا ابا بكر ثلاثا وصح انه كشف ستر حجرته يوم الاثنين الذي مات فيه وابو بكر يؤم بهم في صلاة

الصبح فتبسم فنكص ابو بكر على عقبيه وظن انه يريد الخروج الى المسجد فاشار اليهم بيده
ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وتوفي لحينه قال العلماء في هذا اوضح دليل على
انه افضل الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك كان
تقديمه بحضرة الانصار والمهاجرين مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى اعلمهم
بالقرآن صريح في انه اعلمهم بالقرآن مطلقا وقد اتفقت الصحابة في جميعهم على انه
احق بالخلافة منهم علي رضي الله تعالى عنه قال هذا امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي
بالناس وانه لشاهد وما انا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم
لديننا وما احسن قول من قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحي ينزل فسكت الله تعالى وسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت المسلمون رضي الله تعالى عنهم واخرج مسلم انه صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة في مرض موته ادعي لي ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى
متمن او يقول قائل انا اولى ويابى الله تعالى والمؤمنون الا ابا بكر وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا
لا يختلف عليه ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في ابي بكر وصح ان قوما جاءوا النبي
ان يسئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمن يدفعون زكاتهم بعده فجاء له فقال الى ابي بكر واخرج الشيخان ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايت ان جئت
ولم اجدك كانها تعني الموت فقال ان لم تجديني فائتي ابا بكر واخرج الحاكم عن عدة طرق انه صلى الله عليه
وسلم راى انه على بير فنزع منها ما شاء الله تعالى ثم اخذها ابو بكر فنزع منها ذنوبا او ذنوبين
ثم اخذها عمر من يد ابي بكر فاستحالت في يده غربا الحديث اي دلوا كبيرا

﴿والقصة يوم السقيفة لما اجمع الناس انه اولى واحق﴾

القصة بفتح القاف وتشديد الصاد من القصد الذي هو البيان اي بيان الحق للناس في امر الخلافة
او من هذا الهمزاذ نكر ابي الحكم لاختلاف الناس في امر الخلافة ولا تحتمله باسقاط
همزته ضرورة ويجفي بالسقيفة سقيفة بني ساعدة حين اجتمع الانصار الى سعد بن عبادة
ليولوه عليهم وقوله لما اجمع الناس اي اضطربوا اضطرابا شديدا اي بعض الصحابة في امر الخلافة
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وتحيروا انه عاد على امر الخلافة والزلزال الكلام الذي لا ضوء له
ولا فرج منه قال في القاموس الزلزال الشديد او ليلة خمس او ست او سبع وعشرين او ثمان وتسع
وعشرين او ثلاث ليال من اخر الشهر او الذي يلي الدادي وليلة دادا ودادا وبعدها شديدة الظلمة
روي ان الانصار رضي الله تعالى عنهم تخلفوا في سقيفة بني ساعدة وقالوا للمهاجرين منا امير
ومنكم امير وتخلف سعد والزبير ومن معهما في بيت فاطمة ثم اتى ابو بكر وعمر ومن معهما

١٣٢

الانصار وبعزائم الله للاجتماع على ابي بكر ثم المهاجرون اجمعوا واهل الحديث في الصحيح وغيره
روي ان عمر احتج على الانصار بامامة ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا نعوذ بالله ان نتقدم
ابا بكر فرجعوا اعما كانوا فيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين ولما بايعوه صعد المنبر غدا
فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله تعالى واثنى على ابي بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس
بيعة العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان
اسات فقوموني اطيعوني ما اطعت الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصيت الله
تعالى ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم تكلم ... فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال الزبير
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدلوا على حقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديم النبي اياه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان
الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعوا على خلافة ابي بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم
من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الان ثم قال **وافضل الورى بعد ما كان الهدى**
على كل كربة باشفاء انفذ بالذال المعجمة اي خلص والهدى هو
الشرع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويقال هو وضع الالهي سابق لذوي العقول
باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات من بعد الثلاثة واشرافه على الزوال وقوله
ثم بعدما هو مكروه اي بعد الحقول للدين على كل كربة اي بقي باخذ النقص اشفاء اي
اشراف وقرب يتشوف منه الا يجتمع له شمل ابدا والمجروران متعلقان باشفاء وفيه وضع
الظاهر موضع المضمر ويجوز ان تكون كان ناقصة وللدين خبرها قال ابو هريرة رضي
الله تعالى عنه لولا ابو بكر ما عبد الله تعالى بعد محمد ابدا يعني انه ثبت الناس يوم موته اذ
كادت احلام الصحابة بموته صلى الله عليه وسلم فمنهم من خبل ومنهم من اخرس ومنهم من
لم تقم رجلاه من الارض ولم يحس فيهم يومئذ اثبت منه ومن العباس رضي الله تعالى عنه
وخطب خطبته المشهورة فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله تعالى فان الله تعالى حي لا يموت ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل الاية وبقوله واختلفوا في محل دفنه فروى الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي
فيه فرجعوا اليه واختلفوا في ارثه فروى الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا
صدقة فرجعوا اليه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا صيام
وانما فضلكم بشيء وقر في صدره وعنه عليه الصلاة والسلام من اراد ان ينظر الى ميت يمشي
على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر الصديق يعني لما حصل له من كشف الغطاء والمعاينة

بالكشف

بالكشف بحيث لا يكون للغيب الا بالعوف والعناء على البشرية والشواغل العادية عن اللقاء
والمعاينة وقالت عائشة رضي الله عنها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت
العرب واشرأب النفاق ونزل بابي ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها وقال ابو رجاء
العطاردي دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول انا فداؤك
والله لولا انت لهلكنا فقلت من المقبل والمقبل قالوا عمر يقبل رأس ابي بكر من اجل
قتاله اهل الردة **وانفق المال في رضاك ولا من وانت تفي جنى ولا اقتداء**
اي انفق جميع ماله في رضاك يا رسول الله كما جاء في القران الحكيم قال تعالى وسيجنبها
الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الاية قال ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر وفيه التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والافضل هو
الاكرم كما في حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس افضل من المذكور في سورة
يس اي حبيب النجار رضي الله تعالى عنه افضل من ابي بكر وفي حديث انه ليس احد من الناس امن علي
بنفسه وماله من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا من غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن خلة الاسلام
افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير خليفة يحتاج
الى ملازمة المسجد واخرج الترمذي حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر
فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال ابي بكر
واخرج الطبراني ما احد اعظم عندي يدا من ابي بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق
بلالا من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال ابي بكر وفي حديث سدوا عني كل خوخة
الا ... باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت
وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج احمد وغيره عن جماعة من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر
فقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال
نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون الف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخرج البغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها
في صدره بخلال فقال يا جبريل انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرأ عليك السلام
ويقول لك قل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر لا اسخط على ربي انا عن
ربي راض ثلاثا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بعباءة واخبر ان الله تعالى امر ملائكته
متخللا

ان يتخلو لهما كلاء بكر وقد تم عن عمر رضي الله تعالى عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر مع انه ما سبقته يوما فجئته
بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله واتى ابو بكر بكل
ما عنده فقال يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
فقلت لا اسبقه الى شيء ابدا وورد انه صلى الله عليه وسلم اشترى حائطا من بني النجار للمسجد
بعشرة دنانير وزنها من مال ابي بكر فقوله ولا من احد منه عليك فيما اعطاه وان كان [illegible]
انما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة
الافتخار على الممنون عليه او ذكرها لمن لا يجب اطلاعه عليها وهو حرام قال تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى واعطى جماعة كثيرة وجوه الخير العامة واشترى جماعة
اسلموا فكان اهل مكة يعذبونهم واعتقهم لله تعالى منهم بلال والاكداء انهم يقطع عطاء
ان استمر عليه الى وفاته وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام وفتح
في هذه المدة اليسيرة اليمامة والحيرة والعراق وبعض مدن الشام وتمارض نزل الله
النبي تعظيما لامر الله تعالى فقيل له الا ندعو لك الطبيب ينظر اليك قال نظر الي
قيل وما قال لك قال قال لي اني فعال لما اريد يقال ان سبب موته كمد ان حزنا مكتوما اصابه
به من اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال يذيب جسمه وتوفي رضي الله عنه ونعم
كقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودوا حجب الى الضغن الله بيد الذي قد دعوا الى قتاله

هو منكو وعلى ابي بكر وهو امير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي اظهر
الله تعالى به الدين بعد ان كان المسلمون يستخفون بصلاتهم واسلامهم اخرج ابو نعيم في
الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه بعد ان اسلم قال يا رسول
الله السنا على الحق قال بلى فلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين انا في احدهما وحمزة في
الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة وسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق وفرق الله تعالى به بين الحق والباطل وفي رواية
انه لما اظهر اسلامه ما زالوا يضربونه ويضربهم حتى اعز الله تعالى الاسلام وصح انه لما
اسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر اهل السماوات باسلام عمر وان المشركين قالوا قد
انتصف القوم اليوم منا ونزل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن
مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامارته
رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي الى البيت حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا

وان عريبة قال لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام
كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فلا عوا الرفقاء اي انزجر الاعداء من الكفار وتركوا ما
جد طبعهم وما كانوا عليه من الفساد وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كرها والرفقاء جمع رقيب

والذي تغرب الاباعد في الله به الي به وتبعد القرباء

والذي نعت بالواو وخبر مبتدا محذوف اي وهو الذي تغرب الاباعد جمع ابعد بمعنى بعيد عنه في
النسب في الله اليه وفي الحق والحكم نحو ابي رضي الله تعالى اليه وتبعد القرباء جمع قريب في النسب
في الله اليه وفي الحق والحكم نحو لا فرح على ولا بغيهم من العز والاكتفاء وهو حزن نفي ادل
عليه ما قبله كما في زناه ورد الحد على الفرق والارشاد وهو ان يتقدم على الورى ما يشعر به
نحو وما ظلمتهم الآية وكان رضي الله تعالى عنه اصلب الناس في دين الله تعالى لا يحابي في ذلك احدا
صديقا ولا يجد الا امتثال امر الله تعالى وطاعة الله تعالى مقربة منه ومحبة الله مبعدة
منه سواء في ذلك عنده الاقارب والاجانب عمر بن الخطاب من قوله الفصل

ومن حكمة السوي السواء عمر بدل من ابي حفص او خبر مبتدا محذوف ومن
موصولة والفصل الحق والسوي المستوي الذي لا اعوجاج فيه والسواء العدل نال كبره في جمع
الخلق قال صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من
غير ان يكونوا انبياء فان يكن من امتي منهم احد فعمر وروى البيهقي عن ابن عمر قال
وجه عمر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية وجعل ينادي يا سارية على المنبر
الجبل وكاد المسلمون ينهزمون فقعد عمر المنبر وجعل ينادي باعلا صوته يا سارية الجبل
ثلاثا واسمع الله عز وجل سارية وجيوشه اجمعين صوته وقالوا هذا صوت امير المؤمنين فا
انحازوا الى الجبل فهزم الله العدو وفتح على المسلمين

فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فملنار من نسائه انبراء

فر هرب والشيطان ابليس او الجنس اذ كان فاروقا اي مفرقا بين الحق والباطل فالنار التي هي
اصل الشيطان من سلالة بالفصل ضوية التي جرى به بين الحق والباطل انبراء اي انمحاء والا
عجب ان النار تنطفئ بالنور فقد جاء ان النار يوم القيامة تقول للمؤمن على الصراط جز
يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وفي الصحيح ايه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما رآك
الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وورد ان الله تعالى جعل الحق على لسان
عمر وقلبه وورد ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر
وورد انه لا انظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وورد اتاني جبريل فقال اقرئ عمر السلام

فقال له ان رضى الله حكم وغضبه عز ووردت الحق بعدي مع عمر حيث كان ووردت عمر معي و
انا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وفي حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر
وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا
وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نائم شربت لبنا حتى انظر الري
يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص
يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين وفي انه من الملهمين الذين ينطقون الحق على
المستقيم كما تقدم وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه عشرة اعوام ونصفه اشهر
وخمس ليال وقيل ستة اشهر الا خمس ليال طعنه ابو لؤلؤة العلج واسمه فيروز غلام المغيرة بن
شعبة وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ولما طعنه وهو في صلاة الصبح قال الحمد لله الذي لم يجعل
ميتتي على يد رجل يدعي الاسلام وذلك يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث
وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد هلال المحرم «وابي عمرو ذي الايادي التي كان لها
البر المصطفى بها الاسراء» ابي عمرو عثمان بالكسر عطف على ابي بكر
اي وافضل عليك يا ابا عمرو عثمان بن عفان ذي الايادي جمع يد بمعنى النعمة اي صاحب النعم
التي كان اي امتد البر المصطفى اي المختار على الخلق بها فتعلق بابعد الاسراء اي الاعطاء
«حفر البير جهز العسكر العسرة انفق ... ان ضرة الاعداء»
اي حفر بير رومة وكانت ليهودي وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء
يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بير رومة او اشتراها فله الجنة فاشترى
اها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها فهي موجودة الى الآن وثوابها مستمر الى قيام
وتعبير الناظم بحفر تبع فيه بعض الروايات ولم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض
وانما المعروف انه اشتراها اذ لا مانع من انه اشتراها وزاد في تحفيفها لكثير مائها و
يعني بالجيش جيش العسرة وهو من جيش غزوة تبوك اي اعطاهم جهازهم وهو ما
يحتاجون اليه اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال
عثمان علي يا رسول الله مائتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها في
سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه و
في رواية حمل عثمان جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وفي انه جاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره وجعل يقلبها بيده

المباركة

١٣٥

المباركة وهو يقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وفي رواية انه بعث بعشرة آلاف درهم
فصبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما
اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي عثمان ما فعل بعدها وفي انه لما حوصر اشرف
عليهم فقال انشدكم بالله تعالى ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بير رومة فله الجنة فصدقوه بما قال وعن ...
اشترى عثمان من النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين حين حفر بير رومة وحين
جهز جيش العسرة وفي انه استشهد اقواما من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة ولو اجره في الدنيا ما يقدر رجلان ثم اه
فاشتريته بعشرين الفا وزدته في المسجد فشهدوا له وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه
ابنتيه رقية ثم بعدها ام كلثوم ولما ماتت قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها و
بذلك سمي ذا النورين ولا يعلم رجل ارخى سترا على بنتي نبي سواه رضي الله تعالى عنه
وقيل سمي ذا النورين لانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين وقيل لانه كان يختم القرآن في الوتر
فالقرآن نور وقيام الليل نور وقال عبد الله بن عمر وعيسى في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل الآية
وطال ما ختم القرآن في ركعة وقوله اهدى الهدي اي ارسله الى مكة عام الحديبية سنة
ست حين توجه النبي صلى الله عليه وسلم يريد العمرة لعل ان صده الاعداء اي منعه كفار قريش
من دخول مكة وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف غيره لعل قوله اه
دون غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين نحروا هديهم بالحديبية
وانه وقت نحر النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة اذ ارسله الى قريش وهل جمع منهم اه
وحبر المسلمين قد نحروا لما يئسوا من ان يطاف بهديهم الى مكة فبعث هو هديه الى البيت والله تعالى
اعلم بمراده وفي اهدى الهدي كالهموي في الهواء وفي يبعد والاباعد ويقرب والقرباء
والادب والادباء جناس الاشتقاق او شبهه. «وابى ان يطوف بالبيت اذ لم
يطف به النبي فنال به عثمان بيعة رضوان
يد من نبيه بيسراه»
اي امتنع ان يطوف بالبيت لما ارسله النبي
النبي صلى الله عليه وسلم ان يبلغ كتاب الصلح الى قريش مع ... بن عمرو العاص وامسك ...
عنده فقال له ... اهله ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابى اذ لم يطف منه الى البيت النبي
قبله ... لما اشتد من جوانبه واحتبسه اهله وجابه وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
انه قتل قام بالبيعة بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعه الصحابة على الموت او على ان لا يفروا

ولما بايعه الناس وضع يمينه المباركة على شماله الشريفة وقال هذه عن عثمان وفي رواية
بها على يده اليسرى وفي رواية الترمذي ان عثمان في حاجة الله تعالى وفي حاجة رسوله ام
فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم
لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة العظيمة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة من
المسلمين والى بيعة النبي صلى الله عليه وسلم اشار الناظم بقوله مجزته اي اثابته عنها اي عن
معلقة وهي ذهابه الى مكة بكتاب الصلح والامتناع من الطواف قبل ان يطوف النبي صلى الله عليه
وسلم وقوله ببيعة رضوان اي بيعها يد من نعيم بيلقاء اي جعلها ومعنى اي غير سوداء وكريمة
كرم علما

اي ادب عنه تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادب

اي اباه من الطواف قبل ان يطوف النبي صلى الله عليه وسلم هو ادب عظيم عنه اي عند ذلك
الادب تضاعفت الاعمال اي تكاثرت لعثمان بالترك اي حبس نفسه عن الطواف قبل النبي
فكان الترك اعظم اجرا من الفعل لو وقع لما في الترك من عظيم الادب حبذا الادب اي نعم الجنس
جنسه وعثمان من افضلهم وقد قال العطار وابن البنا الترك في المباحث الاعلية

اي العبوم بالادب حتى اشار ذو اي صفة استحياء العبوم طالما استبعاد

وفي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحيا عليه السلام منه لما دخل عليه جمع
ثيابه الا استحي من رجل تستحي منه الملائكة وقد قال ايضا عليه الصلاة والسلام اشد امتي
حياء عثمان بن عفان عثمان احيى امتي واكرمها عثمان حيي مستحيي تستحيي منه
الملائكة ان الملائكة تستحيي من عثمان كما تستحيي من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انا
نشبه عثمان بابينا ابراهيم عثمان وليي في الدنيا ووليي في الاخرة وذكر النبي فتنة يقع فيها
فقال عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وقال له ان الله تعالى مقمصك قميصا اي مولية خلا
فة فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر عليه وقال لهم قاتليكم وهم كثير وارادوا نصرته
لما حصروه اغمد سيفه فهو حر وجاءه زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال له ان الانصار بالباب
يقولون ان شئت كنا انصار الله تعالى مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر اليه وفي انه اشرف من كوة فقال لعلي رضي الله عنه
عنه يا ابا الحسن ما هذا الذي ركب منتني فقال اصبر يا ابا عبد الله فوالله ما غبت عن قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على احد وبشرك فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي
او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك وليقتلن طلحة والزبير وقال فيهم انه

بيوم

بيوم يموت تصلي عليه ملائكة السماء وان ذا الظلم خالصة وروي انه ما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه
على فرجه منذ بايع بها النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ اسلم الا واعتق فيها رقبة
فجملة ما اعتقه الفان واربعمائة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وعظمت
الفتوحات في سنته وكان يولي اقاربه ويعمل بهم فتكلم بعض الرعية في ذلك وهموا بعزله حتى
حاصره اهل البصرة والكوفة ومصر اياما ودخلوا عليه داره وذبحوه والمصحف الكريم بين يديه
فوقع الدم على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكان ذلك يوم الجمعة لثمان خلون
من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وقد ناهز الثمانين ودفن بالبقيع وروى ابن عساكر عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا بقصر من ذهب ودرا
وياقوت فقلت لمن هذا فقالوا للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان وقال
كيف بك يا عثمان اذا لقيتك يوم القيامة واوداجك تشخب دما فاقول من فعل بك فتقول
بين خاذل وامر فبينما نحن كذلك اذ ينادي مناد من تحت العرش ان عثمان قد حكم في اصحابه

وعلي صنو النبي ومن دين فؤادي وداده والولاء

اي وابو القاسم علي بن ابي طالب صنو النبي اي اخيه لانه اخى بينه وبينه وقال انت اخي في الدنيا و
الاخرة رواه الترمذي واخرج احمد في المناقب ان النبي صلى الله عليه وسلم اخى بين الناس
وترك عليا حتى بقي اخرهم لا يرى له اخا فقال يا رسول الله اخيت بين الناس وتركتني
قال ولم تراني تركتك لنفسي انت اخي وانا اخوك واخرج ايضا عن جابر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله علي اخو رسول
الله ولذا يقول اميرنا علي كرم الله وجهه محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن امي وبنت محمد سكني وعرسي
منوط لحمها بدمي ولحمي وسبطا احمد ولداي منها فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت اوان حلمي وصليت الصلاة بغير دا
فمن ذا يدعي يوما كيومي ومن موصولة ودين فؤادي اي اعتقاد قلبي وداده
اي محبته والولاء بفتح الواو اي نصرته ومساعدته ومحبته والولي المحب والصديق والنصير
وقال الشيخ اي مناصرته والذب عنه والرد على من نازعه في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع
عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو بريء منه وفي الحديث من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وروي ان عليا

١٣٦

مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي وورد ان الله تعالى امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم
منهم علي وورد انه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي
صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه
يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبغض وان قاتله لعنه الله تعالى اشقى الآخرين كما
ان عاقر الناقة اشقى الاولين لعنهما الله تعالى "ووزيرا ابن عمه في المعالي

ومن الاهل تسعد الوزراء" اي ناصره وحامل اثقاله والمعالي جمع معلاة
وهي كسب الشرف ولما خلفه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك على المدينة قال يا
رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من
موسى الا انه لا نبي بعدي، وروى احمد والترمذي والنسائي، وابن ماجة علي مني وانا
منه ولا يؤدي عني الا علي وروى الخطيب علي مني بمنزلة راسي من بدني وروى ابن عدي
علي يعسوب المؤمنين وروى البزار علي يقضي ديني وروى النسائي، والحاكم ان كل
نبي اعطي سبعة نجباء، واعطيت انا اربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر
وحمزة وابو بكر وعمر الحديث وروى احمد انت اخي وابو ولدي تقاتل على سنتي الحديث
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه ثلاثمائة آية
وقال الامام احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسماعيل القاضي والنسائي
وابو علي النيسابوري لم يرد في احد من الصحابة بالاسانيد الصحاح والحسان اكثر مما ورد
في علي وذلك لما اخذ الخوارج وبنو امية في تنقيصه اخذ الحفاظ العدول في بث فضائله
نصرة للحق ونصحا للامة وقد جمع احاديث فضائله وآثار شمائله الحافظ ابو
عبد الله الذهبي في مجلد وليست الوزارة خاصة به رضي الله تعالى عنه فقد روى الترمذي
حديث ما من نبي الا له وزيران من اهل السماء، ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من
اهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر الا ان يراد بها وزارة
خاصة وهي قوله انت مني بمنزلة هارون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة
من هذه التي هي كوزارة هارون من موسى اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما و
من ثم اخذ الشيعة انها تعين النص على انه الخليفة بعده وبنوا عليه حمل الوزارة على
على الخاصة انها ان سلم يؤذن على الناس ببراءة في الموسم مع ان الخليفة على الحجيج ابو
بكر لان العرب لا يقبلون مبلغا عن كبيرهم الا من كان من اهل بيته واستخلفه بمكة عند الهجرة
حتى ادى ودائعهم وقضى دينه وابتلي بالله قوته ومن الاهل تسعد الوزراء تذييل

مناصب

مناصب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما اخرجه الترمذي من حديث
المؤاخاة المتقدم وقال في حديث فيه كلام انا مدينة العلم وعلي بابها وصح ان النبي
صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضاء فضرب صدره بيده الشريفة
ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين
اثنين وقيل له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سألته انبأني واذا سكت ابتدأني

"لو زادته كشف الغطاء يقينا" "بل هو الشمس ما عليه غطاء"

اي لو كشف له الغطاء عن المغيبات لم يزده ذلك الا يقينا لما وهبه الله تعالى من عين
اليقين بعلم الغيب وقد اخبر بذلك عن نفسه وقد اخبر بذلك عن نفسه فقال لو كشف
الغطاء ما ازددت يقينا والمعنى انه لو قامت القيامة واحضرت الجنة والنار ما ازداد
يقينا بالايمان بهما وان كان اذا راهما ابصر من التفاصيل والهيئات ما لم يحط به قبل
ذلك ولا تخفى علومه ومعرفته على من طالع اخباره وسيره وتقدم حديث انا مدينة
العلم وعلي بابها وكان عمر رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن وذكر عند
عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة
الى عمر وعلي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم جميعا ولم يكن احد من الصحابة رضي الله
عنهم يقول سلوني الا علي وقال والله تعالى ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت و
اين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن
كتاب الله تعالى فانه ما من آية الا وقد علمت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في جبل وقوله
بل للانتقال وضمير هو عائد على علي رضي الله تعالى عنه اي هو في فضله وتقدمه وعلمه الشمس
اي مثلها في الظهور ما عليه غطاء اي ساتر بل هو ظاهر لكل احد ويحتمل ان يكون الضمير
هو عائد على الغيب المستور اي عند علي الامر الواضح كالشمس واخرج الطبراني عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان لعلي كرم الله تعالى وجهه ثماني عشرة منقبة ما كانت
لاحد من هذه الامة واخرج ابو يعلى عن عمر رضي الله تعالى عنه قال اعطي علي ثلاث خصال
لان تكون لي خصلة منها احب الي من ان اعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد
واعطاؤه الراية يوم خيبر وعن عمر رضي الله تعالى عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لم تؤذوا يدي حتى تدخل معي يوم القيامة حيث ادخل ولما احتضر قال حكيم له حين
دخل الكوفة والله يا امير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك
وهي احوج اليك منك اليها وسمعه بعض اصحابه وقد ارخى الليل ستوره وهو يبكي ويقول

يا دنيا غري غيري لا حاجة لي فيك الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات قد بتتك ثلاثا
لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وخطرك حقير اواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
وكتب علي الى سلمان رضي الله تعالى عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل
سمها فاعرض عنها وعن ما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت
من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى
سرور اشخصه منها الى مكروه دهره وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اربع سنين وتسعة
اشهر وقتل شهيدا بالكوفة ضربه ابن ملجم الخارجي اشقى الاخرين كما في الحديث وكان
ذلك سنة اربعين وهو ابن ثلاث وستين على الصحيح تنبيه وقد تقرر واشتهر ان النبي
صلى الله عليه وسلم سال العافية وحض الناس على سؤالها وامتثلوا فسالوها والانبياء
والخلفاء فاجيبوا وما خيبوا وهذا لا يعارض ما ثبت في الحديث من ان اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الامثل فالامثل وما علق بسبب موت افاضل الصحابة لان العلماء اجمعوا على تعبير
العافية بان لا يكل الله تعالى العبد الى نفسه وان لا يخذله وان لا يحرمه توفيقه وان لا يهمله
وان يتولاه ويحفظه ويرعاه في سائر احواله والى هذا يشير سيدنا ابو الحسن الشاذلي
في قوله ولا نسالك دفع ما تريد ولكن نسالك التاييد بروح من عندك فيما تريد كما
ايدت انبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك انك على كل شيء قدير وكذا قال ابو
العباس المرسي اذا سالت الله العافية فسله العافية من حيث يعلمها لك عافية فاذن
البلاء التي تكفر به السيئات وترفع به الدرجات ويكون معه الرضى عن الله والغبطة للعبد
به الى باب مولاه على حد الفاقة والاضطرار داخل هذه الحقيقة عافية ولهذا قالوا بلاء
يجذبك اليه خير من نعمة تقطعك عن الله هـ وبان اوضحت المظهر الترتيب
بينا تفضيلهم والسوالات اي واقتفى عليك بيان العشرة من اصحابك
المبشرين بالجنة المظهر الترتيب اي المبين الترتيب بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم فيما
ابانا وتفضيلهم فاعل المظهر والترتيب مفعوله وعكسه الشارح قال ابن جي والاول اظهر و
الولاء الموالاة والنصرة الواجبة لنا عليهم بحسب مراتبهم وسئل بعض محققي المتاخرين
عن محبة الخلفاء الاربعة هل يجب ان تكون على حسب فضلهم فاجاب ان كانت من حيث الدين
والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها على ترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة
او احسان فلا يجب ان تكون كذلك هـ طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرق الرفقاء
هو بدا من الصحابة حيث معطوف من جمل وهو ابن عبيد الله التيمي من تيم بن مرة القرشي احد

العشرة

العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة اصحاب الشورى في
امر الخلافة واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر لكونه السبب في اسلامهم ومات النبي صلى
الله عليه وسلم وهو راض عنه وسماه صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة
الجود وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال في ليلة فقال من يضيف رجلا ويكون في الجنة
فبادر طلحة فضيفه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك في اهوال يوم
القيامة حتى انجيك منها وروي انه باع ارضا له بسبع مائة الف فبات عنده على يقين مخافة
من حسابها فاصبح ففرقها وروي انه فرق في ليلته وجاءه رجل يسأله برحم فاعطاه
ثلاثمائة الف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعمائة الف وكان يكفي ضعفاء قومه وقوم ابي
بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى عائشة في كل سنة عشرة الاف درهم ونصره في يوم احد
الف ثم لم يجد ثوابا في هذه الدنيا جعل الله في الجنة وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى
الزبير وقال بالطلحة والزبير لكل نبي حواري وانتما حواري يريد ناصراي وان الخلفاء الاربعة
وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا امام رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال و
خلفه في الصلاة في الصف الاول ولم يزل احد من المهاجرين والانصار يقوم مقامهم وان غاب احدهم خلفه
وقوله المرتضيه رفيقا اي مرافقا وواحدا من الوحدة كما هو في اكثر النسخ يوم فرق الرفقاء
جمع رفيق اي بعثك بارسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفي بعض النسخ احدا بالنصب على
نزع الخافض مع ضم العشرة والخلفاء اي في احد وفي نسخة احد بالرفع على انه فاعل المرتضيه اي الذي
ارتضاه احد فيكون فيه اسناد مجازي وفي ذكر فيه والرفقاء جناس الاشتقاق او شبهه
وكذا بين سعد وسعيد والامانة والامناء وائتلاء وانتلاء ونحك واستضحك وانكون وانكوا و
اغنيا والغوث والغيث الائتلاف قال ابن حجر وفي ذكر احد في اكثر النسخ نظر بل العفو قال الحبير
وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر
سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار رضي الله تعالى عنهم وفي البخاري لم يبق معه الا اثنا
عشر رجلا الا ان يظن كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى
الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم احد وفي
النبي صلى الله عليه وسلم لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده فشلت واستمرت شلاء وكان ابو
بكر رضي الله تعالى عنه اذا ذكر يوم احد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقال له ايضا النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك اليوم اوجب طلحة اي وجبت له الجنة وقالت عائشة قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم
احد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة عليكما يعني صاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاتيناه

فما علمنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فإذا به بضع وسبعون او اقل او
اكثر بين طعنة وضربة ورمية وفي انقطعت اصبعه فما علمنا من شأنه وما انصرف صلى الله
عليه وسلم من احد حتى قال لحسان قل في طلحة فقال ١١ وطلحة يوم الشعب واسى محمدا ١١
على ساعة ضاقت عليه وشقت ١١ يقيه بكفيه الرماح واسلمت ١١
اشاجعه تحت السيوف فشلت ١١ وكان امام الناس الا محمدا ١١
اقام رحى الاسلام حتى استقلت ١١ فاشار بالبيت الاول الى انه لما كسرت ر
باعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه جعل طلحة يحتمله ويرجع القهقرى وكلما ادركه احد
من المشركين قاتل دونه حتى اسنده الى الشعب كما في حديث عائشة واشار بالبيت الثاني الى
ما في حديث انس كان طلحة يوم احد بين يديه صلى الله عليه وسلم يجوب عنه بجحفة والاشاجع
اصول الاصابع المتصلة بالاعصاب الخارجة من ظاهر الكف ووقع صلى الله عليه وسلم في
حفرة من الحفر التي عملها ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ علي بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة حتى استويا قائما وكان عليه صلى الله عليه وسلم در
عان فذهب لينهض على صخرة فلم يستطع فبرك طلحة تحته وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ظهره حتى استوى على الصخرة واليه اشار بقوله اقام رحى الاسلام الخ ومدحه ابو بكر
بقوله ١١ حمى نبي الهدى والخيل تتبعه ١١ حتى اذا ما التقوا حامى على الدين ١١
صبرا على الطعن اذ ولت جماعتهم ١١ والناس ما بين مهزوم ومفتون ١١
يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت ١١ لك الجنان وزوجت من عين ١١
يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة اي لنفسه ومدحه عمر بقوله ١١
حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا ١١ لما تولى جميع الناس وانكشفوا ١١
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت كما في ابن عساكر وفي الحديث لقد رايتني يوم احد وما
في الارض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري وهذا صريح في قول الناظم واحدا وكما
رجع النبي من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرأ من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء فقال هؤلاء منهم واشار الى طلحة وفي الحديث طلحة
والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيهما بحضرة سعد بن ابي وقاص فنهاه فلم ينته فقال
ثم دعا عليه ان كان هذا كاذبا ان يريه الله فيه آية ويجعله عبرة للناس فخرج فاذا جمل هائج يشق
الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب انا رايت الناس ١١
يتبعون سعدا يقولون هنيئا لك ابا اسحاق قد اجيبت دعوتك قتل يوم الجمل بجمادى الاخرى

ووقع

ووقع في بعض الصحو فجاءه سهم في ركبته ودفن بالبصرة رضي الله تعالى عنه وذلك سنة ست وثلاثين
عن اربعة وستين ١١ وحواري الزبير القرم الى الحتف به انتسبا ١١
اي واقسم عليك بناصر الزبير بن العوام القرشي الاسدي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية
رضي الله تعالى عنهم احد العشرة المبشرين بالجنة والستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين
الى الاسلام والشجعان المشهورين لا يلحق شأوه الا علي وحمزة في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان
يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو اول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع اخذ محمد
فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فقال له ما لك فقال اخبرت
بانك اخذت فصلى عليه ودعا له ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح الير
موك وكانت له اليد البيضاء اخترق صفوف الروم من اولهم الى اخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص
ولما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس من ياتيه بخبر القوم يعني بني
قريظة هل نقضوا فقال انا فاعاد فقال انا فقال ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير وجمع له بين
ابويه لما رجع وقيل لعثمان وهو محصور لو استخلفت قال العادلون قالوا الزبير قيل نعم قال اما و
الله انه لخيرهم ما علمت وان كان لأحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية اما والله انكم
لتعلمون انه لخيركم ثلاثا وكان له الف عبد يودون له الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم
وخرج مع عائشة الى العراق في طلب دم عثمان فحضر يوم الجمل وذكره علي قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا زبير اما والله لتقاتلنه اي عليا وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته ثم ذكرته
الان والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك فذكر له القصة فقال له جئت لا للقتال
بل لتصلح بين الناس فابى وفي رواية انه قال له جبنت جبنا فقال له اقسم على الناس انه يقتل خيارا ولكن
ذكرت حديثا فحلفت الا اقاتله وفي رواية انه قال ان سبب رجوعه انه قال للاصحاب على ارئيكم
عمار بن ياسر قال نعم فاقم مصيبه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار تقتلك
الفئة الباغية وللمانع من كون الامر بين فسبيل الى رجوعه ونام في وادي السباع فقتله عمرو بن جرموز
التميمي في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقال فيه حسان
رضي الله تعالى عنه ١١ فكم كربة ذب الزبير بسيفه ١١ عن المصطفى والله يعطي ويجزل ١١
فما مثله فيهم ولا كان قبله ١١ وليس يكون الدهر ما دام يذبل ١١
ثناؤك خير من فعال معاشر ١١ وفعلك يا ابن الهاشمية افضل ١١
تنبيه كان الزبير من اكثر الصحابة مالا وذكر البخاري في باب بركة الغازي انه لم يترك
دينارا ولا درهما الا ارضين منها الغابة واحدى عشرة دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة

وداراً بمصر وترك عليه ديوناً من اجل ان الرجل كان ياتيه بالمال يستودعه اياه فيقول الزبير لا
ولاكنه سلف فاني اخشى عليه الضيعة وقد اجتمع في الزبير انه عليه الف الف ومائتا الف اي و
المعدود الربع الشرعي فهو مائتا قنطار وعشرون قنطاراً بالحساب العربي ثم قال
البخاري فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال لا والله لا اقسم
بينكم حتى انادي بالموسم اربع سنين الا من كان له على الزبير دين فلياتنا فلنقضه قال فجعل
كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى اربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير اربع نسوة ورفع
الثلث فاصاب كل امراة الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا الف والف
البخاري لاكن قوله فاصاب كل امراة الخ يقتضي ان الثمن كان اربعة الاف الف وثمانمائة الف
اي اربع مائة قنطار وثمانون قنطاراً فيضرب في ثمانية فيخرج الثلثان ثمانية وثلاثون الف الف
واربع مائة الف اي ثلاثمائة وثمانون قنطاراً واربعون قنطاراً والثلث تسعة عشر
الف الف ومائتا الف اي تسع عشرة مائة قنطار وعشرون قنطاراً فجملة المقسوم بين اهل
الوصية والميراث سبعة وخمسون الف الف وستمائة الف اي سبع وخمسون مائة قنطار و
ستون قنطاراً يضاف له الدين وهو مائتا قنطار وعشرون قنطاراً فجميع ما خلفه الزبير الذي
يبر على هذا تسعة وخمسون الف الف وثمانمائة الف واين هذا من قول البخاري فجميع ماله الخ
فهو يخالف قوله فاصاب كل امراة الخ واجيب عنه باجوبة احسنها ان قوله فجميع ماله الخ هو
بحسب ما قوم به الصبير عبد الله الارضين والدور بالغابة ومكة والكوفة ثم بعد مضي الاربعة الاعوام
المذكورة نما الاصل المذكور بارتفاع الاسواق ونحوه وبالغلة حتى زاد على ما قوم به اولا فقسم
في الاربعة الاعوام الف الف وستمائة الف اي تسع مائة قنطار وستون قنطاراً فوقع القسم على ما ال اليه
حال العقار والغلة والتقويم الاول من الاعتبار والله اعلم قوله ابي القرم بفتح القاف اي السيد
الكريم عبد الله بن الزبير الذي انجبت به اي ولدته نجيباً والنجيب في غاية النجابة اي الذكاء وا
لفضل وفي القاموس النجيب الكريم الحسيب وقد نجب ككرم نجابة ورجل منجب وامراة منجبة
ومنجاب ولدت النجباء وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم ولدته بعد عشرين
شهراً من الهجرة بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة وانشد به فرح المسلمون لان اليهود
زعموا انهم سحروهم فلا يولد لهم ولما حنكه النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه
وقال غيبه في موضع لا يراك فيه احد فلما رجع قال ما صنعت بالدم قال شربته قال الذي لاشك ان النار
لا تمسك وويل لك من الناس وويل للناس منك قتل عند الكعبة محصوراً في جمادى الاخرة سنة ثلاث
وسبعين حاصره الحجاج حتى قتله وكان ابن الزبير صواماً بطلاً يواصل الخمسة عشر يوماً الطي

لا لحيته له وهو احد العبادلة الاربعة المشتهرين سنا وعلما وذكاء ودينا والثلاثة عبد
الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم عبد الله بن مسعود
لانه اكبر منهم سنا ولم يعش بعدهم **والصبيين نوء من الفضل سعد**
وسعيد ان عزي الاصل انماء الصبيين تثنية صبي وهو الحبيب المقابل اي
واقسم عليك بالصبيين اي الحبيبين الصاحبين نوء من الفضل من ابناء الصحابة ولذا اثنى
عليهما سعد وسعيد قال ابن حجر ايثار الفضل اشتهرا بالكثرة ما قام بهما منه ولو قال نوءا
لكان اوضح ومعناه حينئذ انهما اشتركا في الفضيلة الجليلة حتى كانهما مولودان في جل الفضل
واحد والظاهر ان مراد الناظم ان الفضل نفسه نوءهم سعد وسعيد كان كل واحد منهما
والمع الفضل بمصر واحد اما سعد فهو ابو اسحاق سعد بن ابي وقاص مالك القرشي الز
هري وهو احد السابقين الى الاسلام يروى عنه انه كان ثلث الاسلام واحد العشرة
المشهود لهم بالجنة والستة اصحاب الشورى واحد الشجعان المشهورين واول من رمى بسهم
في سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورمى يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق وكان الامير في فتح مدائن كسرى وغيرها ومن
كراماته انه قطع البحر بجيوشه على ظهر الخيل لم يبلغ الماء السرج مشيا والناس في غاية الدعا
الصحابية كانهم يسيرون في البر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه وو
لاه عثمان ايضا رضي الله تعالى عنه وابنه خليلة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له الفداء ويقول
ارم فداك ابي وامي واقبل النبي جالس مع اصحابه فقال هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله
وقال لم احد اخا في قبل الخال لا الزوج عاله فقال اللهم سدد رميته واجب دعوته وفي روا
ية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تكن له دعوة بعد ذلك وقال له النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مريض بمكة في حجة الوداع لعل الله تعالى يرفعك حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون
واعتزل الفتن بعد عثمان فلم يحضر شيئا من تلك الحروب توفي بالعقيق على عشرة اميال
من المدينة وحمل الى البقيع وصلى عليه مروان وهو والي المدينة وصلت عليه امهات المومنين
في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين من تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن في جبة
صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبؤها لذلك وهو في اخر المهاجرين موتا
وفي سعد ان اية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية نزلت في ستة منهم سعد
وابن مسعود اه واما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة المبشر
ين بالجنة شهد المشاهد كلها الا بدرا والا غنيمة ضرب له النبي صلى الله عليه وسلم باجر من شهد

وسهمه واخرج الشيخان ان امراة ادعت عليه عند مروان انه اخذ لها قطعة من ارض فقال ما كنت لافعل بعد اذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه الله من سبع ارضين فقال مروان لا اسالك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها فذهب بصرها فبينما هي تمشي في ارضها وقعت في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتني دعوة سعيد وفي رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الزيادة عنه ودعا عليها توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالبقيع

واين عوف من عوفته نقمة الدار ما يسد لي ثمرة اثر امراة

اي وافهم عليك بعبد الرحمان بن عوف بن الحارث القرشي الزهري احد الثمانية السابقين الى الاسلام والعشرة المشهود لهم بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم او شريفهم ففتح الله عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له ابا سلمة وصلى النبي معه الركعة الاخيرة من صلاة الصبح ولما اتم النبي صلاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من امته ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف احد سواه وابي بكر وجبريل صلى به الخمس مرتين في يومين بعد الاسراء عند الكعبة وكان كثير الانفاق اعتق في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا وجاء انه اعتق ثلاثين الفا وفي رواية انه امين في السماء وامين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة وقالت ام سلمة خشيت ان يهلكه كثرة ماله فقالت يا بني انفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وفي رواية الف وخمسمائة راحلة واوصى لامهات المومنين بحديقة فبيعت باربع مائة الف واوصى بخمسين الف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي من اهل بدر باربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذها تابعه وهو امير المومنين رضي الله تعالى عنهم وبالف فرس في سبيل الله تعالى وكان اهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة اصواتها فقالت سمعت حبيبي يقول ابن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغه فجاءها فحدثته فقال اشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله تعالى وباع ارضا من عثمان باربعين الف دينار فقسمها في اقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وامهات المومنين وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا حبوا

جاء في الع

فاقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك فقال ما الذي اقرض فقال تتبرا من كل ما لك فهم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدا بمن يعول فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه وبيده ابن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه لا كل

141

يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله امر دنياك واما امر الاخرة فانا لها ضامن وصح ان الحسنين افتقدا بكاوهما من الجوع فقال من يصلنا بشيء فجاء له بجفنة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة وقد يجاب عن المعارضة بان الاحاديث التي فيها انه يدخل الجنة حبوا نعتت وصفت بكثرة صرفته وانفاقه في سبيل الله حسبما يدل عليه ارسال جبريل المتقدم ولعله امتثل ما امر به وظهر ذلك من فعله ضمن له النبي صلى الله عليه وسلم امر الاخرة توفي سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان عن خمس وسبعين سنة وصلى عليه علي او الزبير لانه كان هجر عثمان لما اثر اقاربه فقال الناس لابن عوف هذا عملك قد خلع علينا هاتم وقال له انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال عثمان كان عمر يقطع اقاربه في الله تعالى وانا اصلهم في الله تعالى فنذر ان لا يكلمه ابدا وقوله من هو فيه بمن موصولة نعت اي الذي هو فيه نعت لجسم الزنط اي انه تعالى لم تنقص نعمه ولا رخصه اموالها النفيسة في انفاقها في سبيل الله تعالى بمعنى اي اعطاها كثيرا محترما لكلها رضي الله تعالى في مواضعه ومن يستحقه بمعنى انه يبسطها ويزيدها اثراء اي بكثرة ماله اكثره من التجارة وكان محظوظا فيها بحيث لو امسك التراب صار ذهبا وترك منه ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار قال ابن حجر عند قوله اغنياء نزاهته الخ ونعت الاغنياء انه كان ينفق في سبيل الله اذ ليس المطلوب الانفاق دفعة بل على حسب الاحتياج وتقطعه عن الفقراء في دخول الجنة اما لكونه يقع ليتجمع او ليحصل سوال التكريم على ما انعم به عليه او جبرا لخاطر الفقراء بذلك

واقصد ابا عبيدة اذ يعزى الى الامانة الامينة

هو بحذف النون اسم مفعول من الكنية اي وافهم عليك بالمكنى ابا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري احد العشرة المبشرين بالجنة واحد الخمسة الذين اسلموا في يوم واحد على يد الصديق وهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمان بن عوف وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد واحد الرجلين الذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبي صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما وتلقبهم بالمنزلة الموقعية القاء مقدم الاسنان وولاه ابو بكر على الشام ثم اقره الفاروق عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولي عمر عاده

لاكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي امير الامراء بالشام وروي انه امره النبي صلى
الله عليه وسلم على سرية فيها ابو بكر وعمر وتقدم انه قتل اباه يوم بدر وقد عرض عنه فلازمه فلما
اكثر عليه قتله فنزل قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله و
رسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم الاية ولما قال اهل الطريق يوم السقيفة مد يدك لابايعك
قال له ما كنت لاتقدم على رجل قدمه النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر ان
ادركني اجلي وهو حي استخلفته اذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل امة امين
وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة
ابن الجراح فقالوا الساعة ياتيك فاتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه
رضي الله تعالى عنهما وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه الا سيفه وترسه
ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل اتمنى مثل هذه الدار ذهبا انفقه في
سبيل الله وقال اخر جوهرا انفقه كذلك وقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار مملوءة رجالا
مثل ابي عبيدة وله فتوحات وحروب مع المشركين كبير وعن الحسن ما من احد من الصحابة
الا لو شئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة توفي سنة ثمان عشرة شهيدا
في الطاعون طاعون عمواس في قرية بين الرملة وبيت المقدس من اول ما وقع بها ثم انتشر
بالشام قوله اذ يعزى بفتح الياء مضارع عزى يعزى ويعزو اي ينتسب اليه الامانة ضد
الخيانة الامناء جمع امين ومع الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة وفي لفظ وامينها ايتها الامة ابو عبيدة وقال
لاهل نجران لما طلبوا منه ان لا يبعث معهم الا امينا فقال لابعثن معكم امينا حق امين فبعث ابا
عبيدة ولا يلزم من هذا تفضيله على الخلفاء لان المزية لا تقتضي التفضيل اذ الفضل بوجود
التفضيل لا بوجود الفضيلة لان المفضول وان وجدت فيه مزايا لم تكن في الفاضل مع الفاضل
خلق منها وزيادة اعلم ** وبعمه نيرى فلك المجد وكل اتى منه انارة **
ابن اخوي ابيك لابيه وهما حمزة والعباس ابنا عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما وكل اصغر من
النبي صلى الله عليه وسلم بنحو سنتين فنيري تثنية نير وهو الكوكب المضيء والمراد هنا
الشمس والقمر والفلك هو ما يسير فيه الكوكب وفي القاموس الفلك محركة مدار النجوم
الجمع افلاك والمجد الكرم والحسب فشبههما بالشمس والقمر استعارة بالكناية واثبت
لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاءة تخييلا وذكر المجد ترشيح لانه يلائم المشبه وشبه المجد
بالكوكب الدري استعارة مكنية وخياله بذكر الفلك الذي هو محل سيره ورشح بذكر النيرين

وقوله

وقوله وكل اتاه ان كل منهما جاءه وحصل له منه انارة بكسر الهمزة اي ضياء وفضل وقال
الشارح هو ما يستفاد من النفع والخيرات من غير تعب كثمار النخل وثمار الاشجار اما حمزة و
يكنى ابا عمارة فكان اخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعتهما ثويبة وكان شجاعا
اسلم قبل عمر بثلاثة ايام وهو اول من عقد له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه الى
سيف البحر واستشهد باحد نصف شوال سنة ثلاث بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا ولما
وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى ما فعل به بكى وشهق وقال لن اصاب بمثلك
ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما راينا النبي باكيا
اشد من بكائه على حمزة ووضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه
يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله تعالى واسد رسوله صلى الله عليه وسلم يا حمزة يا فاعل الخير
اف يا حمزة يا كاشف الكربات يا ذاب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جني والمبرد في هذا
نوح ولا تعديد شمائله بل اخبار بفضائله وشمائله وفي حديث انه سيد الشهداء يوم القيامة
وحديث رحمة الله تعالى عليك فقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وفي الحاكم حديث والذي نفسي
بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد
الله تعالى واسد رسوله صلى الله عليه وسلم وحديث ان الملائكة غسلته في الحاكم ولما رءاه
ممثلا به قال عليه الصلاة والسلام لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل قوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار واما
العباس فيكنى ابا الفضل فكان جليلا جوادا ذا راي وعقل معظما عند النبي صلى الله عليه وسلم
وعند الصحابة رضي الله تعالى عنهم روي انه في الجاهلية كانت اليه سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام وكان مع النبي ليلة العقبة وعقد له البيعة مع الانصار وقال لاصحابه يوم بدر
من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه بات يئن من شدة الوثاق فلم ينم
فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس فقام رجل فارخى وثاقه ووثاق البقية
فقيل اسلم يوم بدر وكان يكتم اسلامه ولقي النبي بالابواء وهو خارج لفتح مكة وبه ختمت الهجرة
وكان رد النبي بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون يتقوون به وكان يحب القدوم الى النبي
فكتب له ان بقاءك بمكة خير لك وثبت مع النبي يوم حنين وكان عمر يستسقي به اذا اقحطوا المطر فيقول
اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي با
لمدينة باثني عشر رجب او رمضان سنة اثنين وثلاثين عن نحو ثمانين سنة وقبره مشهور
بالبقيع وفي حديث العباس مني وانا منه لا تسبوا امواتنا فتؤذوا به احياءنا وحديث انه سأل

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

النيران يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من
اذى العباس فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني الله تعالى بذي القربى وامرني
ان ابدا بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطني في الافراد ليكونن في ولد العباس ملوك يلون
امر امتي يعز الله تعالى بهم الدين واخرج ابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل و
تجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له في ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني
واخرج الرافعي الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي في اخر
الزمان به ينشر الله تعالى الهدى وبه يطفئ نيران الضلالة ان الله تعالى فتح بنا هذا الامر وبذ
ريتك يختم وكون المهدي [illegible] واخرج ابو نعيم في الحلية الا ابشرك يا ابا الفضل ان الله تعالى افتتح
بي هذا الامر وبذريتك يختم ويكون المهدي من ولدك يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من
ولد فاطمة من ذرية الحسن وجاء انه من ذرية الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد
الحسين ايضا واخرج الترمذي وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة
وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه في ولده واخرج الخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس
وولد العباس ولمن احبهم واخرج ابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى
وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة واخرج الخطيب وابن عساكر
انت عمي وصنو ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي اذا كانت سنة خمس وثلاثين فهي لك — و زاد
ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي **وبام المسلمين زوج علي**
ونبيه ومن حوته العبا ابا رفع عليك بام الحسن والحسين و
هي فاطمة رضي الله تعالى عنها وعنهم اصغر بناته صلى الله عليه وسلم وعليهن زوج علي كرم الله تعالى
وجهه زوجها له النبي صلى الله عليه وسلم ثاني سني الهجرة بوحي من الله تعالى وبنى بها بعد
تزوجها بسبعة اشهر ونصف وقيل على راس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها
حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل غير ذلك وسن علي اذ ذاك احدى وعشرون
سنة وخمسة اشهر قال ابن عبد البر هي وام كلثوم افضل بناته عليه وعليهن الصلاة والسلام و — واشهرا
كانت فاطمة احب اهله اليه وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه الشريف واذا اراد سفرا يكون
اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وقال انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاها
وينصبني ما انصبها وقال ايضا عليه الصلاة والسلام احب اهلي الي فاطمة وقال عليه الصلاة
والسلام اذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب يا اهل الجمع غضوا ابصاركم
عن فاطمة بنت محمد حتى تمر وقال عليه الصلاة والسلام فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وقال

عليه

عليه الصلاة والسلام الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء
هذه الامة توفيت بعده في رمضان سنة احدى عشرة وبينهما ستة اشهر عن تسع وعشرين
سنة او اقل وقد اخبرها النبي انها اول اهله لحوقا به فسرت بذلك ودفنها علي ليلا بوصية
منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في البقيع ولو [illegible] وكان القطب
ابو العباس المرسي يجزم به قبل [illegible] وروى احمد في المناقب انها اغتسلت و
لبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا مقبوضة الان فلا يغسلني احد ولا يكشفني فماتت فدفنت — جُدُد
على وصيتها وورد ايضا انها امرت فاطمة بنت عميس بغسلها وهذا مقدم لان الاول
عدم الخصوصية وقوله وبنيها جمع ابن اي اولادها الحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيرا
وام كلثوم وزينب ولولاها التي فيها الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها من
جهة الحسن والحسين وعقب امام [illegible] فتزوجها عمر وولدت له ذكرا وانثى ماتا صغيرين ثم تزوجها
بعد عمر عون بن جعفر ثم اخوه محمد بن جعفر ثم اخوه عبد الله ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج
عبد الله المذكور اختها زينب فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلها ولهم
شرف اعلى من شرف اولاد ابيهم من غيرها وادون من شرف اولاد الحسنين وللعباسيين شرف
بالعراق ومن ثم لقب بالشريف كل عباسي ببغداد وكل علوي بمصر قوله ومن حوته العباء
اي اشتملت عليه الكساء وهم فاطمة وعلي وابناهما فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم جلل عليا
وفاطمة وابنيهما بكساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير وفي رواية انه القى عليهم كساء ووضع
يده المباركة عليهم وقال اللهم ان هؤلاء ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد انك حميد
مجيد وفي اخرى ان الاية انزلت في بيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم
قال نحو ما مر وفي رواية انه جاء و واجتمعوا في منزلك فانا [illegible] مرحبا وفي رواية [illegible]
حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فا
سترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت امين
ثلاثا فائدة في كتاب الاوائل لابن خالويه ورواه ابو بكر الخوارزمي في كتاب المناقب عن بلال
ابن حمامة رضي الله تعالى عنه قال طلع علينا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم متبسما
ضاحكا ووجهه مشرق كدارة القمر فقام اليه عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله ما هذا
النور فقال بشارة اتتني من ربي في اخي وابن عمي وابنتي بان الله تعالى زوج عليا من فاطمة وامر
رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعا يعني صكاكا بعدد محبي اهل البيت

وجعفر الطيار [illegible] واسمها [illegible] وتزوج [illegible] بنت الحسين بن زيد [illegible] الحسين بن علي كرم الله وجهه [illegible] ولم [illegible] ام [illegible]

وفي رواية ان ام سلمة قالت الست من اهلك [illegible] وادخلني في الكساء بعد ما قضى دعاءه [illegible] وفي اخرى [illegible] انها قالت يا رسول الله [illegible] من اهل البيت قال بلى ان شاء الله

وانشا تحتها ملائكة من نور ودفع الى كل ملك حكلا واذا استوت القيامة بارجلها نادت الملائكة
في الخلق ولا يبقى محب لاهل البيت الا دفعت اليه حكلا فيه فكاكه من النار فصار اخي وابن عمي
وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من امتي من النار ١ه وفي ازواجك اللواتي تحترمن ١ه
ان صانهن عنك النساء ١ه ١ه الازواج جمع زوج وهي لغة قريش وبها جاء
القرءان وزوجة بالتاء في لغة اي واقسم عليك بازواجك اللواتي جمع التي تحترمن اي تعرض على غيرهن
يعني جنات عنك ايا هن اي حفظ بهن او ضد الهرم والمعوذ الخيطة من النار ومن تزوج غيره صلى
الله عليه وسلم بعده قال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من تحل معه الجنة وهذا
حال من بناه وظاهر كلامه ان من تزوج بها ولم يدخل بها كالجمل لما ظاهره الشرف قال في الغيث
الحكمة وينبغي تحريمه على من حتى منها على غيره قلنا نعم وهو الاصح حصل لها الشرف او
تحل لي بعطلها وهن رضي الله تعالى عنهن احدى عشرة متفق عليهن منهن في بحثيات واربع
عربيات وواحدة اسرائيلية اولهن خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية من بني اسد بن عبد
العزى بن قصي تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولدا يوم تزوجها اربعون
سنة واشتهر وله خمس وعشرون سنة على الاكثر وبقي اولادها من النساء اولادها وهو
هو الصحيح وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او
شراب فاذا اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب
فيه ولا نصب واولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام كلهم منها رضي الله تعالى عنها الا
ابراهيم عليه وعليه الصلاة والسلام فمن سريته مارية القبطية وتوفيت الصديقة خد
يجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين عن خمس وستين سنة ودفنت بالحجون وتقدم بعض الكلام
عليها ثم تزوج بعد موتها سودة بنت زمعة العامرية بمكة بعد ان رجعت من الحبشة
مع زوجها السكران بن عمرو من بني عامر بن لؤي ثم تزوج عائشة بنت ابي بكر التيمي عقد
عليها قبل سودة ودخل بها بعدها بعد الهجرة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وهي
بنت تسع سنين لم يتزوج بكرا غيرها واحبها حبا شديدا ولها مقدمات في بعض اسفاره ١ه
قال وا عروساه اذ وجه احمر وكانت فقيهة حافظة فصيحة وهي وخديجة افضل ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ثم الاصح ان خديجة افضل لما ح ان عائشة قالت له قد رزقك الله تعالى خيرا
منها قال لا والله ما رزقني الله تعالى خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها
حين منعني الناس ولانه عليه السلام اقرا عائشة السلام من جبريل وخديجة من الله تعالى

والاصح

والاصح ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة وممن جزم على ذلك الامام تقي الدين
السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة ولا يخفى ان
ان مريم افضل من خديجة للاختلاف في نبوتها ثم حفصة بنت عمر العدوية سنة ثلاث
من الهجرة ثم ام سلمة هند بنت ابي امية حذيفة بن المغيرة المخزومي ثم ام حبيبة
رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب الاموي ودخل بها سنة سبع وتزوج زينب بنت جحش
من بني اسد بن خزيمة سنة خمس زوجه الله تعالى اياها فدخل عليها بغير عقد وهي
اول ازواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا بعده ح عن عائشة رضي الله تعالى عنها لم تكن
امراة خيرا منها في الدين ولا اتقى لله تعالى واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة
واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى وهو الربع رواه
مسلم وتزوج زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى في الجاهلية
ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة
بنت الحارث الهلالية سنة سبع وبنى بها بسرف وفيه ماتت وقبرها فيه مشهور رضي الله
تعالى عنها وتزوج جويرية بنت الحارث المصطلقية من بني المصطلق من خزاعة بعد غزوة
بني المصطلق وهي بنت عشرين سنة وتزوج صفية بنت حيي النضرية من نسل هارون بن
عمران اخي موسى عليه السلام بعد خيبر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غير خديجة و
زينب ام المساكين وقد نظم الحافظ ابو الحسن العقدي اسماء من مات عنهن في قوله

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

فائدة قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ما معناه الذي تحصل من كلام اهل العلم
في الحكمة في استكثاره صلى الله عليه وسلم من النساء عشرة اوجه احدها ان يكثر من يشاهد
احواله الباطنية فينزول عنه ما يرميه به المشركون من كونه ساحرا او غير ذلك ثانيها لتتشرف به
قبائل العرب والعجم لمصاهرته فيبيع ثالثها الزيادة في تالفهم رابعها الزيادة في التكليف
حيث كلف الا يشغله ما حبب اليه منهن عن المبالغة في التبليغ خامسها لتكثر عشيرته
من جهة نسائه فتزداد اعوانه على من حاربه سادسها نقل الاحكام الشرعية التي لا يطلع
عليها الرجال لان اكثر ما يقع مع الزوجة مما شانه ان يختفي مثله سابعها الاطلاع على
محاسن اخلاقه الباطنة فقد تزوج ام حبيبة وابوها في ذلك الوقت يعاديه وقد

تزوج صفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها ملوم يطلع من باطنه على أنه أكمل الخلق النبي
تفهم منه بل اليم ومع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن ثم إن منها الضعفاء المعجزة
البالغة في خرق العادة في كثرة الجماع مع التقلل من كثرة المأكول والمشروب وكثرة
الصيام والوصال وقد أمر من لا يقدر على مؤونة النكاح بالصوم لأنه يكسر شهوة الجماع وا
نخرقت هذه العادة في حقه صلى الله عليه وسلم ثم إن منها أن العرب كانت تتمدح بكثرة
النكاح لدلالته على كمال الرجولية على أنه عاشرهن بالمعروف والإحسان وقام
بحقوقهن وناد يبيتهن وهو إليهن ولم يشغله شيء مما يتعلق بهن عن عبادة ربه وذلك
خلاف المألوف «الأمان الأمان أي فؤادي من ذنوب أتيتهن هواء»
الأمان الثانية تأكيد أي من عقاب ما اقترفته من الذنوب وفضيحة ما جمعته من العيوب والمعنى
أقسم عليك بمن ذكرت من الأمان وحسبك أن تعطيني الأمان فلا أخاف من العذاب يوم يهلك
العصاة بذنوبهم بأن توجب لي شفاعتك بفضلك ومنك وقوله إن فؤادي أي قلبي العبد تعليل وبيان
لكثرة احتياجه في بيان أن فؤادي من الذنوب التي فعلتها هواء فارغ خال خوفا من عقابها
وخجلا ودهشا من هيبة من خالفت أمره حتى أتيتها وهو الله تعالى العظيم الرقيب فلا ينتفع
به في منع أمر بنفسه ولا دنيوي بما لحقه من الخوف والقلق وفي نعمة هباء أي شيء لا ينتفع به
«فإن تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء»
أي تمسكت واعتصمت من محبتي لك وهو المحبة تستلزم الاتباع إنما هو أغلب كما يدل عليه
حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولما يلحق بهم فقال المرء مع من أحب أو أن المستلزم
لذلك هو كمالها أو أن ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير ما يقع وأفعالا كما هو شأن
الخود [illegible] مكلفا أو في بعض الأحوال والحبل السبب الأقوى وهو العهد الوارد عنه
صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة أن المرء مع من أحب وأن لم يلحق بعمله والشفعاء جمع
شفيع أي من لهم أن يشفعوا وهم الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحون فلم يحصل لهم مرتبة
الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك وإذا لم تشفع محبتي لك فيوما شفاعتك أو تشفع وقوع
شفاعتك ثم يجامع أني أحبك كما يحبونك وإن اختلف مقدار المحبة في الطرفين واعلم
أن المتكلمين في المحبة اختلفت عباراتهم فيها وكثرت وليس ذلك اختلافا في حقيقتها إذ
هي من المعلومات التي لا تحد كما نص عليه المحققون وإنما يجد بها من قامت به وجدانا
لا يمكن التعبير عنه ولذا قيل لا تحد بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وأصلها الميل
القلبي وإنما الكلام في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها و

الحمد لله وحده

١٤٥

وفي الرسالة القشيرية المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته
للعبد ومحبة العبد له بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي الحديث لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال
يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحد
كم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي فقال
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر تم إيمانك يا عمر قيل ثم إيمانك [illegible] عمر أولا نفسه لأن
حب الإنسان لنفسه طبعي ولغيره اختياري بواسطة الأسباب وهذا هو المراد من قوله فأجاب
أولا بالطبع ثم تأمل عمر في الدليل أنه صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب
في نجاتها من هلاك الدنيا والآخرة فأجاب بما اقتضاه الاختيار والمحبة هي التعظيم
إذ قد يحب المرء من لا يجب وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب كوجوب محبته قال الله تعالى
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال الغزي [illegible] وكل من آمن به إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجد
ان شيء من تلك المحبة الراجحة لا أنهم يتفاوتون فيها [illegible] وكثير من العامة
يؤثر زيارته على أهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر في قلوبهم من محبته
غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم
«أبى الله أن يمسني السوء بحال ولي إليك التجاء»
أي امتنع الله الكريم ولم يرد أن يمسني بفتح ياء المتكلم وهي مفعول مقدم والفاعل نون الوقاية
والسوء بالضم فاعل يمس وهو العذاب وبحال أي حال من الأحوال كما عود خلقه بمنه
وكرمه أنه لا يخيب من استجار بحمى عزائمه بعبيده أو توسل به في نيل نواله فيعطيه وقد
قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى «ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى»
«وحاشاك أن ترضى وفينا عذاب» وفي التفسير قال إذن لا أرضى وواحد من أمتي
في النار وسيقول له في ذلك اليوم الأكبر على رؤوس الأشهاد وهو ساجد يا محمد ارفع
رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فقوله ولي إليك التجاء أي لجأ وتعلق بجاه
محبتك وحرمة جنابك قال في القاموس لجأ إليه كمنع وفرح لاذ كالتجأ وأمره إلى الله أسنده
وبلا علقة لأنك لا تخيب من تعلق بك ولا يرجع محروما من التجأ إليك وتعزز بك قال البوصيري
«إنا جنابك [illegible] أو يرجع الجار منه غير محترم»
«قد رجوناك للأمور التي أبرد ما فيه حرها الرمضاء»
أي أملناك [illegible] وخوفنا للأمور التي أبرد ما فيها من البرودة ضد الحرارة في

في مواددنا اي قلوبنا واجرى العقول الضرورة الوزن وكلام حقه ان يقول في اجدتنا وقوله رمضاء اي
تتقيد من خوف المواخذة بما قرفنا واصل الرمضاء الرمل الحار من الشمس وفي القاموس
الرمض محركة شدة وقوع الشمس على الرمل وغيره رمض يومنا كفرح اشتد حره وقدمه ار
احترقت من الرمضاء الارض الشديدة الحرارة وفي الكلام مجاز وحقيقته رجوناك للامور التي
اسعلها التي من شانها ان يبرد القلب من جهة او قد فيه نار رمضاء فجعلنا لك في اصعب
والكل انت الرجاء في الشفاعة فيه «وانت التي انضاء قدعى»
«حملتنا الى الغنا انضاء» اي جئناك وتوجهنا بقلوبنا معتنيين بربك
من كل مكروه وراجينا بك كل محبوب وانضاء جمع نضو بكسر النون وهو المهزول من
الابل وغيرها والفقر قلة المال والمراد هنا مهازيل من قلة العمل الصالح والتقوى حتى
ضعفنا عن حمل ذنوبنا والغنا بالغين ضد الفقر اي حملتنا الى الغنا ركائب مهازيل
بقول الصبر وشدة الاسراع الى حضرتك العالية التي ينال فيها الغنا الاكبر الدنيوي
والاخروي «وانطوت في الضمائر حاجات نفس ما لها عنك ايها الكنز انطواء»
اي استترت في القلوب حاجات نفس جمع حاجة اي اوطار نفس ما هو تحصيلها في حضرتك
المكرمة منها طلب الامداد من فضلك والتوسل والتشفع بك الى الله تعالى لانه لا وسيلة الى
الله منك واعظمها طلب رضاه ثم رضاك وقوله ما لها عن ندابك اي ليس لها عن كرم جود
بابك الكريم ستر اخفاء واستغناء اذ لا تقضى الا على يديك ولا يمن بها غيرك بعد الله تعالى
«فاغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللاواء»
اي اسعفنا بمرادنا منك يا من هو الغوث اي المغيث للمكروبين المنقذ لهم من الشدائد والغيث
اي الممطر للقاحطين المزيل لجوعهم اذا ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على
الهلاك وفي القاموس جهد دابته بلغ جهدها كاجهدها واللاواء الشدة
«والجواد الذي به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء»
اي يا من هو الجواد بفتح الجيم المخفف اي الكريم منه الذي به تكشف الكربة عنا والحوباء بفتح
الحاء المهملة والباء الموحدة بينهما واو اي الاثم وفي القاموس الحوباء النفس والحوبة
الهم والحاجة وفي نسخة تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء والغمة والغماء والكربة بمعنى
«يا رحيما بالمومنين اذا ما ذهلت عن ابنائها الرحماء»
يا حرف نداء استعطاف واستغاثة ورحيما فعيلا من الرحمة وهي رقة القلب وغايتها التفضل
والانعام او ارادته والمومنون جمع مومن وهو المصدق بوجود الله تعالى ووحدانيته وكماله

١٤٦

وبرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال تعالى في حقه بالمومنين رءوف رحيم وقال وكان
بالمومنين رحيما واستحضر حديث ابي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان
اختبئ دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة وفي رواية انس فجعلت دعوتي شفاعة لامتي وراجع
حديث الشفاعة الطويل في البخاري وغيره وفي الضم المكية والايمان التصديق الاجمالي
جالي والتفصيلي في التفصيل بجميع ما علم من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عنه
اذ لا نكفر منكر غير الضروري وهو ما يختص في معرفته الخاص والعام او بالاجماع وان لم يكن
ضروريا لا كفر انكار المجمع عليه غير الضروري كما عند غيرنا اي الشافعية وجماعة منا ولا يكفي
التصريح وحده بل لا بد من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا
مخلدا في النار كما نقله النووي عن اهل السنة لاكن اختار الغزالي الوقف احتياطا جمع مع قوله انه
من اهل الجنة وترك التلفظ معصية فقط لان غايته مطلوب بالتصريح فكيف يخلد والكلام فيمن
لم يمتنع منه بجحود او انكار والا كان كافرا اجماعا وانظر المراصد او تعليل المسألة مفصلا
وان يكن ذا النطق منه ما اتفق فانه عجز فكمن نطق
وان يكن ذلك عن اباء فحكمه الكفر بلا امتراء
وان يكن لغفلة فكالاباء وذا الذي حكى عياض مذهبا
وقيل كالنطق وللجمهور نصب والشيخ ابو منصور
في والاعمال عنونا كالكثير المحور نير من الايمان ليس كماله قال النبي مومنا واسقط تحت الغيب
قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء تنبيه اعلم ان رحيما صيغة مبا
لغة قيل انه ابلغ من رحمان وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لا كذلك في الاستعمال صيغة المبا
لغة في صفة الله تعالى اشكال ومعناه ثم قال بعضهم صفة الله تعالى التي على سبيل المبالغة سر
المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت للشيء اكثر مما له وصفا
ته تعالى متناهية في الكمال وايضا فانما تكون في صفات تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منز
هة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره قال بعضهم والله على كل شيء قدير
لاستلزامه الزيادة على قادر وهو محال والجواب عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب
زيادة الفعل او تعدد المفعولات وتعددها لا يوجب زيادة للفعل لان الفعل الواحد قد يقع على
متعدد وعلى هذا تنزل صفاته تعالى فلا اشكال ولذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة
فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرائع وفي الكشاف المبالغة في التواب اي ونحوه كوهاب
للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من

لم يذنب فلا تسعه كرمه وأجيب عن الثاني بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب
صرفها إلى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف
قلت حاصل ما في ابن حجر حاصل الاشكال ان صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها
مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان تثبت للشيء اكثر مما
له وانما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك فمثال الاشكال في
الرشيد واحد ونحوه كما قاله بعض محققي المحققين غلط نشأ من اشتباه المبالغة عند اهل البيان
وهو ان تثبت للشيء الخ بالمبالغة النحوية وهي الاتيان بصيغة من صيغ المبالغة للدلالة على الكثرة
ثم قال ابن حجر واعلم ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك
بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا وأجيب عن الاول بانه ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء
به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب علام الغيب وبانه نفي
الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة وبانه بمعنى ظالم وبانه بمعنى ذي ظلم ولا كثرة وبان
اقل القليل لو وقع منه تعالى كان كثيرا وبانه اراد ليس بظالم ليس بظالم تأكيد النفي فعبر عن ذلك بليس
بظلام وبانه ورد ردا على من قال الظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته
تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور
ونحوه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشرا وهي مناسبة ربي وهي الآي بعد وانكر الاتقان
للسبكي وقوله اذا ما ذهلت نفوس لرحيلها وما زاهرة وذهلت غفلت والابناء جمع
ابن والرحلاء جمع رحيل كالامعات وذلك يوم القيامة قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وتغيير رحمته في ذلك الوقت ليس للانتفاع بها غيره
بل للشرح اعتناء به بأمته اذ يقول اكابر الرسل نفسي نفسي ويقول هو يا رب امتي امتي صلى
الله عليه وسلم ونحوه في ذلك اليوم الشفاعة ويخصه الله تعالى به من التحكيم والعود
والتقدم على جميع الانبياء والتخصيص بالشفاعة العظمى ما يغبطه به الاولون والآخرون ونحو
بيع كل مخلوق لانه لا اقرب الى الله تعالى منه ولا اعز وفي رحيلها والرحلاء رد العجز على الصدر و
بين الزمام والزمل وطاعات وصحراء واصغار واقتلاء وعزاء وعداء وينفي والانفاء
وذرعاء ودرعاء والعرج والعرجلاء وحب والحباء جناس الاشتقاق او شبهه

يا شفيع الورى اذا ابتغى ما حولي نقمة البرءاء

شفيعا من الشفاعة وهي التوسط في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه واذا
ظرف لتشفيعا واشفعوا ادخر من عقاب عقابه البرءاء جمع بريء اي من الكبائر لان خوفه

٤٧

لان خوفه من الصغائر يزيد على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه ولا يخلو
منها الا المعصومون والمعصومون والخوف يعم حتى من لم يكن له ذنب والانبياء تعالى ربي
في ذلك اليوم اللهم سلم سلم

فجد لعاص وما سواي هو العاصي

ولا فتى نكبري استحياء — اي جد لمذنب تارك للطاعة وبجني نعيمه
ولم يقل لما بأنه ولم يعين ما يجود به عليه فقصد العموم المعقول بان يتكرم عليه في ذلك
اليوم بابطاله بشفاعته له الكل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وما سوى اي
وليس العاصي غيري ما العاصي الا انا ولكن تنكيري نفسي في قوله لعاص اي عاص
فيها يقول انا انا ولا انا استحياء اي حشمة منك بجلالة امرك وان نكارة طابقت عنه
وحمل استحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت هذا تعبير مصدر وكلام الناظم
فيه مصدران قلت المراد التشبيه ان الخبر في كل منها يحتاج الى تأويل لان الحمل
شرطه المساواة وهي غير موجودة في التنابير مدلولها واعلم ان الذي عليه الجمهور
ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره
صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق اي لا رازق سواه وكلام
الكشاف يميل الى ان تعريف الخبر يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب
المقام وكلام الناظم يحتمل مفهومه يحتملهما اي انما هو العاصي او ما العاصي الا انا والتعبير
بتنكير عاص الى ارادة التحقير والانحطاط شأنه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اي شيء
خلقه اي من شيء حقير مهين بينه بقوله من نطفة خلقه انظر ابن حجر فقد طال ثم ختم
بذكر قاعدة يعم نفعها وهي التي نظمها السبكي في قوله

ثم من القواعد المشتهرة اذا اتت نكرة مكررة
تغايرا وان يعرف ثان توافقا كذا المعرفان
شاهدها الذي روينا مسندا لن يغلب اليسرين عسر ابدا
ونقض السبكي ذا بامثلة وقال ذي قاعدة مشكلة

وتداركه بالعناية ما دام له بالذمام منك ذماء

اي تلافه بالاعتصام منك بحاله بان تعد لا بد لتبليغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى
تحصر حالته فيما بقي من عمره وبعدها ويرضى عنه في آخرته ما اعتصر له بالذمام بالذال
المعجمة اي بعهدك وحرمتك وهو متعلق بذماء بعده قال في القاموس الذمام العهد
والحرمة والذمة بالكسر العهد والكفالة منك متعلق بالعناية وذماء بفتح الذال المعجمة

أي تعلق وأصله بقية الروح في المزبوح وتعلقه بك لا ينقطع ومن تعلق بكريم أجاره وأنت نعم الكرماء. وقال ابن عجيبة في الكرم فمن يتعلق بنداركه أي تداركه بجود منك الخ أنعم الله بها علينا ما دام عنك في طاعة أو أخرته الأعمال والعمال أعمل فقدم الصالحون والأغنياء

أي أخرته الأعمال الصالحة التي ارتكبها والمال الذي أمسكه ولم ينفقه في حقه وفي وجوه الخير هذا إن كان مجموعا من حله والأمر الامر عكس والصالحون جمع صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فيشمل الملائكة ولذا قال صلى الله عليه وسلم إذا قال المصلي التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت كل عبد لله تعالى صالح في السماء والأرض وبين أخرته وقدمته التطابق كالحسنات والسيئات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وأمام والصيف والشتاء والحر والبرد وجوهر وليلتي والرجاء والخوف والأقوياء والضعفاء الأنباك والأغنياء جمع غني وهم ذوو الأموال وبعض من الأعمال الصالحات والانتفاع به في وجوه الخيرات وهذا العطف والنشر مرتب فالأول للأعمال والثاني للمال وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه

كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها أثقاله صعداء

نعني وكل ليلة ذنوبه أي معاصيه مرتفعات مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون أعمال العباد إلى الله تعالى وهو تعالى أعلم بها كلها قوله وعليها أي من أجلها أثقاله صعداء جمع صعد بفتح العين صعداء بضم الصاد وفتح العين المد تنفس الصعداء متواترة ممتدة لا مر خوف عقاب تلك الذنوب وفي القاموس الصعداء كالبرحاء تنفس طويل

أي البطنة المنقطة الضمير بدا ربيع النعمان بيطنة

أي ولع بالبطانة وهي بكسر الباء قال الجوهري أي ملء بطنه من الطعام والشراب وفي القاموس البطنة بالكسر الكظة والأشر والمراد بالضمير المعنوي والقلب لأنها تورث الجوارح عن الأعمال الصالحات ولا تسرع بها إلى الطاعات التي يكون بها التقرب إلى الله تعالى لأن البطن إذا امتلأت كسلت الأعضاء وأصبحت العقل في البطنة مذهبة للفطنة وقوله بدار هو الرنبيل وبطانة فيما البطان جمع كبير ككرام وكريم وهو الذي عظم بطنه والعظيم البطن وبطاء جمع بطيء أي غير سريع فهو متأخر ومعناه الذين متخلفون عن السابقين لأن من كثر أكله عظم لحمه وثقل جسمه وكثر نومه فعاقه ذلك عن الاجتهاد والاستفراغ الوسع في الأعمال الصالحة الخ

١٤١

انتهى من تنبيه على آية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق ذميم وقيل من تشوم البطنة الامتلاء قال النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء من أنها تجعل العقل بإذ علاب مبطنة والبدن بإذ عائد نشاطه وقوته ومن بطان وبطاء ومن صاح لا حي وفطرة ذنبه بقسوة قلب نعق الدمع والبكاء فطاء

أي يكون ذنبه مع يبس قلب وفي القاموس قسا قلبه قسوا وقسوة وقساوة وقساء صلب وغلظ ونعق الدمع أي تلك القسوة نعقت الدمع عن أن يبرز منه شيء مما شأنه أن يقشا عنه قيادة القلب البكاء وهو الماء الجاري منفصلا من حرارة أو سرور فيحصل بسببه للقلب من الصبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري الدموع ويبعث الرجوع لأن تلك القسوة نعقت الدمع عن أن يبرز منه شيء والبكاء إذا اتى بصوت مع الدمع مكان بالتخفيف أي كالبكاء وهو الصغير مع أن كل صوت جري على اللسان أن يتأثر به القلب فيكون إذ ذاك صوري لا حقيقي وبين البكاء والبكاء الجناس المطارع وعن التقية الفضاء ولا عزاء

اللعام فيما تصون القضاء ما أي جارة الله العاصي بعد ما وقع منه من المعاصي والبكاء التي لا نفع معه لقسوة قلبه يعتب القضاء أي يجير على الغدر السابق وفي القاموس العتب الموجدة والملامة كالعتاب والمعتبة والأعز لعلهواء يحتج به حتى يقطع ذلك ويندفع مواخرته فيما تصون القضاء أي بإرادته وبقع منه بسببه وكل واقع إنما هو بفضل الله تعالى وقدره وكل ما قدره تعالى فلا بد من وقوعه وأعلم أن الله تعالى أجرى عادته الإلهية على الأسباب ومسببات تناط بتلك الأسباب وتتسبب وقوعها فيما نظر للصورة الوجودية وأن كان الكل في الحقيقة إنما هو بقضائه وقدره فلا بد من عاقبة المعاصي هذا هو المذهب العدل الصوفي والطريق الواضح الجلي انظر ابن حجر ثم قال فإن قلت قوله ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء ينافيه احتجاج آدم في قصته مع موسى عليهما الصلاة لما قال له موسى أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك أي بالشهوة لعقابك والأصل لا تصنعن خطيئة حقيقة لأنه نسي كما في الآية فقال له آدم أتلومني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أي غلبه في الحجة قلت لا ينافيه لأن الاحتجاج بالقدر إن كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وإن كان بعد الوقوع فيه وظهر أن يستوفي منه ما وجب به ليمنع بذلك مؤاخذته به لم يجز أيضا وإن كان لا ليمنع ذلك بل ليمنع تعييره به فتنازع فهو ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى عليه وعليهما الصلاة والسلام وقول عمر رضي الله تعالى عنه لما ذهب إلى الشام وأخبره الصحابي أنه وقع به الطاعون وأراد الرجوع

وقال له ابو عبيدة رضي الله عنه افرارا من قدر الله تعالى فقال نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله جل وعلا اشارة الى ان كل ما يفعل واقع بقضاء الله تعالى مع ان الشرع نهى عن القدوم عليه لانه سبب للهلاك كسائر الاسباب العادية فنهى عنه خشية مفاسد فيتم فيفتتن واما الفرار فيه حال تشبه فهو بمنزلة الفرار وحكمة امتناع الفرار لمن كان هنا لك مصلحة المرضى وقد قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة انتهى ملخصا قال الامام الغزالي فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا مرد له فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان

«او تغشته من الذنوب ديون ۞ شددت في اقتضائها الغرماء»

اي غشيته وثقلته ديون جمع دين فاعل اوتغشته ومن الذنوب حال منه مقدمة عليه اي ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتعلقها بحقوق الله وحقوق عباده وفي القاموس الوثاق بالكسر ما يشد به واو تغشه فيه شدة يعني منعته عن الخلاص من تباعتها وقد شددت في اقتضائها اي طلبها منه الغرماء جمع غريم وهو طالب الحق والحقوق في الاخرة مبنية على المضايقة لا سيما حقوق الادميين الا ان يعفو الله تعالى

«ما له حيلة سوى حيلة الموثق ۞ اما توسلا او دعاء»

اي ما له قدرة على الخلاص من تلك الديون وفي القاموس الحيلة والاحتيال والتحيل الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف والموثق المشدود بالوثاق الذي لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك منحصرة في شيئين اما توسل الى الله تعالى في تخلصه بما سبق له من عمل صالح او شفاعة شافع او دعاء اي رغبة الى الله تعالى في ارضاء غريمه عنه واسبال ذيل عفوه وحلمه ورضاه عنه واخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا اكرم واعظم عفوا من ان استر على عبد في الدنيا ثم افضحه بعد ان استرته ولا ازال اغفر لعبدي ما استغفرني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة ... ثم ارجعها فالت الملائكة

الصغا

الا قليلا البعض لذلك بل فعل قال الله تعالى لا كفى اهل التقوى واهل المغفرة «راجيا ان تعود

«اعماله السوء بغفران الله وهي هباء»

راجيا حال من عاص او من ملازمه تصير اعماله السوء بفتح السين السيئة بغفران الله تعالى اي بعفوه وفي القاموس وغفر الله تعالى له ذنبه يغفره غفرا وغفرة وغفرة حسنة بالكسر ومغفرة وغفورا وغفرانا بضمهما وغفيرا وغفيرة غطا عليه وعفا عنه وهي اي تلك الاعمال في جنب الغفران هباء اي كالغبار الذي يرى في الهواء كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخلة من الكوة فلا يؤاخذ بها فلا يبقى لتلك المغفرة عليه وصمة ذنب ولا تترك له غضوة قلب «او ترى سيئاته حسنات

«فيقال استحالت الصهباء»

او بمعنى الواو وهو راجيا ان تنقلب سيئاته من حسنات اي بدلت بها فيدخل في قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ويقال اي ابدلت سيئاته حسنات استحالت الصهباء اي انقلبت الخمر الحرام خلا طاهرا حلالا وفي هذا استعارة استعارة مصرحة اذ شبه السيئات بالخمر والحسنات بالخل واثبات الاستحالة تخييل واخرج الحنبلي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت كذا يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما اراها ههنا قال ابو ذر فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه «قل امر تعني به نقلب الاعيان فيه ونعجب النظراء»

قوله تعني اي تعتنم وتعتني به يا حبيب الله والاعيان جمع عين اي الجسم اي تصير الاعيان وتتحول من صفة الى اخرى كما روي انه اعطى صلى الله عليه وسلم يوم بدر لعكاشة رضي الله تعالى عنه عرجونا فانقلب في يده سيفا صارما يقاتل به وتعجب اي تتعجب البصراء جمع بصير بها تشاهد من خرق العادة على يدك التي لم يولد انظر الشعراء والمواهب «اي عين تقلب في ما بقا

«الملح فاضحى وهو العذب الرواء»

قال الجوهري ... هنا للتكثير وعين اي عين ماء وتقلب بفتح اللام اي يصفه في ما يصفا الملح الذي لا يشرب فيحيى ابن جابر وهو العذب اي العذب جدا الصادق الحلاوة اوكالنهر المسمى بالعذب الذي هو احد الانهار الثلاثة من الجنة ... به الحديث والرواء بفتح الراء الكثير المروي وقال في القاموس وماء روى وروي ورواء كغني والى وسماء كثير مرو قال والرواء كسماء بين زمزم وككساء حبل يشد به المتاع على البعير وجعل الشارح الجملة من قوله وهو العذب الرواء خبر اضحى وهو جار في ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لاكن الجمهور انكروا ذلك وتناولوا الجملة على الحال والفعل على التمام ثم قال ابن حجر تنبيه لم ار لخصوص التقلب في ماء غير ملح فانقلب عذبا اطلاعا

عليه ... فيقتنص

لا خلافة ان يجري ... عند ... [illegible]

ولا تجزع ... نجر ...

ولا تنفر

قوله تغنيه ... من شيء

وقوله ... [illegible]

قوله ... فاليعلم ... الرواء ...

ومن ... الجملة ... خبر ... العذب ... [illegible]

كثرته التي قال الشارح ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم والقاضي في الشفاء انه صلى
الله عليه وسلم بصق في بير دار انس رضي الله تعالى عنه فلم يكن في المدينة بير اعذب منها وفي
حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ثم جعلها الله تعالى وليس بها ماء
يستعذب غير بير رومة فجد علي اثار الابار هنالك كانت فيه ملوحة ولعله بصق في بير
دار انس صار اعذب بعدها عذبا من الذي عنه الملوحة ويؤيده ما رواه البغوي ان المهاجرين
لما قدموا المدينة استنكروا الماء وذكر المقري بشيء في شرح المقامات انه صلى الله عليه
وسلم تفل في بير ريس فصار ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وقال الحافظ في السبوك في الخلاصة
بصق فيه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح وفي الشفاء انه مر على ماء فسال عنه فقيل
اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فصار اي جد دفوته فجار الكلو
بصق به واتى عليه الصلاة بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من ريح المسك وفي المو
اهب واتي بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البير او قال مج في البير ففاح منها مثل
رائحة المسك رواه احمد وابن ماجة قلت ويحتمل كلام الناظم وجها اخر وهو ان يكون
شبه الشخص الذي كان على شفا جرف بمر ماء ملح اجاج بجامع النفور منه وعدم الانتفاع
به استعارة تصريحية مرشحة بذكر الملح وشبه انقاذ النبي صلى الله عليه وسلم بمن علم به وهدايته
وصون عنان العناية اليه بمزج الماء الملح بما يطيبه عذبا بجامع الاصلاح والانتفاع
والخفاء ان ذهب حينئذ بتعبير للتكثير واراد هذا التكثير لاجله

فكن يقطع اه من عظيم ذنب وهادا

اه كلمة توجع وفي القاموس
كلمة تقال عند الشكاية او التوجع ومما جنيت اي جنت من الذنوب العظام ان كان
يعني اي بعيد ويجوز تشبيه الع من عظيم ذنب من اضافة الصفة الى الموصوف وها اي
مشقتها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة وفي الحديث الندم توبة اي معظم اركانها
كالحج عرفة فالشرك في كلامه ليس على بابه بل هو بمعنى اذ كما قيل في قوله تعالى
وخافون ان كنتم مومنين ويحتمل بقاؤه على معناه لان كلمة اه وان كانت تفيد التوبة
لاكن قد يراد بها التمني او انها راجعة الى بعض نفسه وان توبته يمح ذنوبه فلا ينفعه بدليل
البيت بعده

ارجي توبة نصوحا في القلب نقاوة وفي الاحسان زيادة

اي ارجو بفضل ربي وهو موصل الخير مطلوب من العبد شرعا ففي الحديث القدسي انا عند
ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بالله تعالى والتوبة الرجوع وفي الشرع هو الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم
عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف ماله فيه فلا يعتد به والاقلاع عن المعصية
بترك

١٥٠

بترك ما تلبس به منها من حيث الندم عليها لا لغرض اخر ايضا والعزم على ان لا يعود اليها
ما عاش وكذلك لا للنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بتركه اداء
فورا او بدل ما عصى باخذه كظلم الناس مالهم او وكيله او وارثه بعد ان قدر والعزم عن ما عجز
انه متى قدر على الخروج منه خرج منه بلا تاخير وهي واجبة من كل ذنب ولو صغيرا وتصح من ذنب
دون ذنب ومن الذنب وان تكررت منه والنصوح بفتح النون هي التي لا يعود من حصلت منه الى الذنب
ابدا لوقوعها خالصة من كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض اخر ولو
كان اخرويا كالتوبة لدخول الجنة ولا لاجل ان لا يوثر الذنب في صحته بل في كمالها لانها مشوبة
بغرض نفسي بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله
وفي القلب تعلق اي من حيث العمل باعتبار انه قد يضمر خلاف ما يظهر اي يفعل خلاف ما يقول لا من
حيث الاعتقاد لانه انما يقصد رضى من بلسانه فقط وفي الاحسان زيادة اي نظر للخلق باعتبار
ان ما يصدر منه قد يكون فيه شوب تطلع الى طلب رضى او ثناء من مخلوق وذلك لا يوجب زكاء التو
بة والاستغفار رجاء القبول فالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار وفي الصحيح عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره
وقد اضله في ارض فلاة واخرج مسلم عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس
من مغربها

ومتى يستقيم قلبي ويعتدل اعوجاج من كبرة والشماء

متى استفهام تعجب ويستقيم اي يعتدل حتى لا يميل عن الله تعالى الى غيره من اهل ومال وجاه
او غير ذلك والكبرة بفتح الكاف اي كبر السن من كبير بالكسر اي اسن والشماء اي الفاني وهو علة
المراد او الاخص على الاعم لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والشماء يختص بالقامة وهو تقوس
الظهر وذلك وقت غلبة القلب وعدم قبوله للخروج عما الفه من اللهو والغفلة فيتعسر استقامته
بخلاف ايام الشباب فان العود رطب يوثر فيه ادنى وعظ ويزجره اقل زاجر وربما كان الاعوجاج
الخارج عنوان القلب والريب شباب كما قيل لان الكبير تضعف معه الاعمال وتثقل اليه

كنت في نومة الشباب قبل السنة وختم الاولين تمطاء

نومة الشباب غفلته والشباب ... والمعاصي والعوائق اي فما انتبهت من ذلك واستحكمت
من نفسي حتى تاخرت توبتي وبعدت استقامة قلبي وصرت كالنائم المستغرق الذي لا ينتبه الا بعد
فوت فما استيقظت من تلك النومة الا وقد خالط السواد بالبياض وفي القاموس
اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الاذن اي ما انتبهت حتى زاد ركن الشيب والمرتكب للمعاصي
الى ان ادركه الشيب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان قلبه قسى وصلب فلا يتقوم اعوجاجه

الابعد الباعد ويؤيد ذلك التعريف ان قيل لك إن جبلا تحول من مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق بروى ان رجلا نظر الى مراة فرأى الشيب فى لحيته فيما اه ذالك وقال الهى اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك فهل تقبلني فسمع صوتا يقول احببتنا واحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك

وتمادت في اقتفاء اثر القوم فطالت مسافة واقتفاء

اى اخذت من تمادى على الشىء اذا استمر عليه واثر بفتح الهمزة والمثلثة اى اتبع بقية الشىء الصالح وفى القاموس الاثر محركة بقية الشىء والجمع آثار وطالت مسافة بفتح الميم قال فى القاموس والمسافة والمسافة والمسافة بالكسر البعد لان الدليل اذا كان فى فلاة شم ترابها ليعلم اعلى قصد هو ام لا وكثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة وهى فى عرف الناس القطعة من الارض محدودة وغير محدودة قوله واقتفاء اى وطال اتباع لاثرهم لطول ما بينى وبينهم من ذالك فلم ازل ابعد بالوصول لمرادى وانخلو بحيث بقيت اناء معالم الحسرة ومعاوز الندامة

فورى الخطايا بين وقوامهم سبل وعزة وارض عراء

اعلم ورى الخطايا فصره ضرورة والخطايا جمع خطايا اى صرفت خلفهم ووقع فى ابن حجر بورا الخطايا بعد وراء والخطايا جمع خطار وهو العلقة تبلى من البعير وهو سبيل البلا فلان وعن البعير الخ هو القياس لبعير النجيب البلبع بالعبادات والمتازوا فيه بلذة المناجات قوله وهو امامى اى ذالك الوراء امامى فهو جملة معترضة بين المبتدا وهو سبل والخبر وهو فوراء الخطايا بين للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعهم لما حال بينه وبينهم موانع ايضا وتعرض سبل جمع سبيل اى طرق وعرة اى صعبة يشق سلوكها لان اولائك القوم خلفوا فيما صدع من الاعمال والتخلق بمكارم الاخلاق ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اولائك وارض عراء بفتح العين المهملة اى فضاء واسعة

حسرالمرحل عن سراهم ... وكفى من تخلف الابطاء

يعنى الخطايا بين التي منعتنى وغيرها هم عاقبتهم اى حرموا عاقبة ذالك من الفوز برضى الله تعالى والاطلاع على معرفة حقيقة والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى والمراد بالحمد هنا الرضى لان الحمد بمعنى الثناء الحسن لا يتعلق الا بالفعل الاختيارى وكفى من تخلف عنهم الابطاء اى التاخر المفوت لادراك منازلهم

رحلة لم يزل بعيدة القيظ ... اذا اما تونيشها والشتاء

يعنى تماديه فى اقتفاء اثر القوم لعله يلحق بهم حتى رحلة لم يزل بعيدة اى يجد بين الصيف اذا ما تونيتهما اى قصدتهما وعزمت

عليهما

عليهما والشتاء يعنى بعيدة كذلك والصيف والشتاء زمانان معروفان يعنى اذا جاء الشتاء نوى الى الصيف لان الشتاء تكثر فيه الامطار ويشتد فيه البرد فيعسر السير واذا جاء الصيف قال اصبر الى الشتاء لان الصيف يشتد فيه الحر وتعتري فيه الاعضاء ويقوى فيه العطش واما الشتاء فتنبسط فيه الاعمال الكثيرة وجاء فى الحديث الشتاء ربيع المومن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى مسنده مقال وورد مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل للقائم واما نهاره فقصير للصائم وورد هم يتنزل عذاب قط من السماء بعلو قوم الا عند انسلاخ الشتاء

يتنقى حرو جنبى الحر والبرد ... وقد عزنى الضى الانتقاء

اى يبعد رحى وجنبى بضم الجيم اى ما تخشى منه الحر بفتح الحاء والبرد هما اثنان معروفان اى حر الصيف وبرد الشتاء فيجد فى الرحيل يكفا ببعضهم منهما وهما من اسباب تاخره حتى فنيت زمانه وقد عزنى اى امتنع من الضى اى جسم الاتقاء اى ما يكون الوجه منهما فى الاخرة لان من عمل اعمالا وعافاه الله تعالى بها لا يمكنه التحفظ منهما قال تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقال يوم تقلب وجوههم فى النار

صحف ذرعا مما جنيت فيومى ... فلطير وليلتى ذرعاء

ذرعا بفتح الذال المعجمة اى ضاق ذرعى اى طوقى عن حمل الحقى مما جنيت ولم يتفتح لم يتسب عطية وتناخرى فيكون تمييزا محولا عن الفاعل وفى القاموس وضاق [illegible] بالامر ذرعه وذراعه وضاق به ذرعا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا وما موصولة او مصدرية جنيت اى اكتسبت من الاثم وقمطرير شديد وذرعاء بفتح الذال المهملة مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها وفى القاموس وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح وكليال درع بالضم وكسر لثلاث تلى البيض لاسوداد اوايلها وابيضاض [illegible] سائرها

وتذكرت رحمة الله ... فالبشر الوجيهى لانى انتمى طلقاء

اى تذكرت سعة رحمة الله تعالى التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شىء وانها سبقت غضبه كما فى الحديث الصحيح ان الله تعالى كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى اى ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب والعقوبة عند بث الشوق والمكانة مع على بذكرها طاجره البشر لوجهى اى الفرح والسرور والطلاقة بسبب ذالك انى انتمى اى حيث تو جه طلقاء بكسر المثناة الفوقية اى مقابل خير البشر ولو جعل متعلق به قال الابعد حجى وهذا اولى من جعل الشارح له خبرا وطلقاء خبر ابتدا وفى القاموس لقيه كرضيه لقاء ولقاءة ولقيانا ولقيا ورآه كتلقاه والتقاه والاسم التلقاء بالكسر ولا نظير له غير التبيان

فالرجاء والخوف بالقلب ... والخوف والرجا اخلاء

الخ ابقام ولم يبرح والرجاء ضد اليأس والخوف ضد الامن اى العزم فيما فيه على حد سواء كما هو المطلوب من الانسان ما دام صحيحا ولا يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء الامن من المكر ولا

الخوف لئلا يغلب عليه داء اليأس وان احس بما يل الموت فليغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اي يظن انه يغفر له ويرحمه قوله وللخوف والرجاء
فصل ضرورة اصلا اي الحاح على الغلب اذا صلاحيه فان في الغامو من اصلا السؤال ردة
وزيد التعليه ويترجح به في الالحاح ه واما احدهما على الغلب في طلب مقتضاها يودي الرمنا
زعنها اذ مقتضى الخوف ان علاج للتعب وقلق شديد لما نتوقعه من المكروه أما قطعا ومن
لازم ذلك الكف عن كل محرم ومشتبه ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه
استشعار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعلى ويتجاوز عنها بفضل
كرمه تنبيه افتضى من كلام الناظم كغيره انه لابد من الجمع بين الخوف والرجاء في حق
كل مومن فيهما كان وعلى اي حالة كان وقد وعد تعلى واوعد وبذلك جاءت انبياؤه
ورسله عليهم السلام والصرحت سنته في خلقه فان تعلى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الاية وقال نبئ عبادي الاية وقال وان ربك لذو مغفرة للناس والاعمال وان كانت علامات سوا
بشقاوة اعملوا فكل ميسر لما خلق له الخ لا كل العلامات قد تتخلف بدليل قوله في صدر الحديث
ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها الا شبر او ذراع فيعمل بعمل اهل
النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها الا شبر او ذراع
فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة قالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل
قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث متفق على صحته والقسم الثالث هو الغالب لقوله
غلبت رحمتي غضبي ثم من الناس من غلب عليه النظر الى الاعمال فتختلف عليه الاحوال تارة
يغلب خوفه على رجائه وتارة بالعكس ومنهم من غلب عليه النظر الى الفضل والعدل فما
يستوي خوفه ورجاؤه لان اوصافه تعلى صفات الجلال البحر بالولي من انطوى صفات الجمال
وبالعكس ومن هذا قيل لو وزن رجاء المومن وخوفه لاعتدلا وان المومن بين الخوف
والرجاء كالطائر بين جناحيه وروي ان عليا رضي الله تعلى عنه قال لبعض اولاده
يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله
تعلى رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وقال عمر رضي الله عنه
لو نادى مناد كلكم في الجنة الا واحدا لخفت ان اكون ذلك الواحد ولو نادى مناد كلكم في النار
الا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الواحد ١١ صاح لا تأس ان ضعفت عن الطاعات ١١
١١ واستاثرت بها الاقوياء ان لله رحمة واحق ١١
١١ الناس منه بالرحمة الضعفاء ١١ صاح اصله يا صاحب وهو نوع تزيد اذ الاصل
يا نعيمي لا تأس من رحمة الله ان ضعفت عن الطاعات لضعف همتك وغلبة بطالتك

والبشارة

والبشارة الراحة وغفلتك عن اهوال يوم القيامة واستاثرت اي انفردت واختصت بها
الاقوياء بالعبادة والنشاط وقهر النفس وتجرع المكروه ولاف حتى تدربت عليها وصارت
عندهم من الحلاوة والبهجة واعظم مستعبدا تنعما قوله ان لله رحمة هذا هو التعليل للنهي
السابق وتنكير رحمة للتعظيم اذ لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده مع القوي والضعيف و
الوضيع والشريف والضعفاء احق الناس بتلك الرحمة والمراد بهم الذين لا يعولون على اعمالهم
ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بها لابد منه واخلاصهم لله تعلى في عبادتهم فهم اقوى نية
في العبادة وابعد عن الرياء مما حصلت لهم بذلك نجحت سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي
انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم ان لا عمل لهم وفي الحديث
ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب اي لا الى الاعمال وجوارح العبد يجمعها ما
في القلب من اخلاص وافتقار اوضدهما ١١ فما بقي في الغرج عن منقلب الذود ١١
١١ مع العود تسبق العرجاء ١١ هذا كالاستدلال على ان الضعيف قد يحصل له ما لا
يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود والعرج جمع اعرج والمنقلب الرجوع والذود الجماعة من الابل
اي بسبب الاحقية المذكورة للضعفاء اي في الضعفاء المشبهين بالعرج عن منقلب الذود
مع العود تسبق العرجاء الى ربها فتفوز منه بما مولها فلا تفرها او جب لها السبق وكذلك
تاخرك عن كثير من الطاعات ربما اوجب لك سبق الكثير منها لانه قد يحصل من الذل والافتقار
والاخلاص ما يبلغ تاخرك بخلاف الكثير فقد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تاخره ولذا قال
تاج العارفين ابن عطاء الله رحمه الله رب معصية اورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثت عزا
واستكبارا انظر شروحه ١١ لا تقل حاسد الغبيرة هذا انتزحت نخلة وتخلى عفاء ١١
اي واذا تاخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حالة كونك حاسدا الغيرك
الذي اكثر منها اي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوي بسبب قوته اثمرت نخلة اي كثرت
اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وفي اثر التشبيه بالنخل العفصلها
وخلقها من فضل طينة ءادم ولذا قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل والآدمي بها
شبه حسي ومعنوي وقوله وتخلى عفاء بالعين اي اعمالي كالتراب لا ثمرة لها ولا اعتداد بها بسبب
ضعفي لانك حينئذ تعترض على الحكيم في فعله ولذا كان الحسد حراما وياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب واحترز بقوله حاسدا مما اذا قال ذلك غبطة وهي ان تتمنى مثل ما لغيرك مع بقاء
ما له وهو محمود كما تقدم ١١ وارتقاب الاستطاع من عالم الغيب ١١ قبيحا بمقتضى الحكمة والاشياء ١١
هذا كالتحذير من ان نتكل على رجائك فقط من غير عمل بل لابد من العمل مع الرجاء امتثالا
لقوله تعلى فاتقوا الله ما استطعتم وهي مبينة لقوله تعلى اتقوا الله حق تقاته وقيل

سابقة لها وقد قصرها صلى الله عليه وسلم بأن يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر
فقالوا إنا بكينا ذلك فنزلت الآية الأولى فبينة أو نا سمعة مخففة قال معروف الكرخي رضي
الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء
رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقوله فقد يسقط الثمار الآناء أي قد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير
بواسطة مزيد إخلاص وانكسار كما أنه قد يسقط الثمار الكثيرة التي يقصد الآناء أي النخل الصغار
إذا خلصت أرضه وزاد ريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد يعوز بسبب ضعفك
بالمعنى الصائب ما لم يعزه القوي الناظر لكونه وتحسبه ولا يخفى ما في كلامه من التمثيل
والترتيب وتفسير الآناء بالنخيل الصغار وقع في كلام الشارح والذي في القاموس الآناء بالـ
لعوقية ككتاب ما يخرج من الشجر والثمار والآناء كاناء بالمثلثة الحجارة وهذا يعكس
حل كلام الناظم عليه أي أن النخلة إذا طالت وصعب عليك رقيها فقد يمكنك أن تنقف بعض
ثمرها بحربة فجنى **ومن يحب النبي فاتح رضا الله في خفية الرضى والحبا**
اعلم أن أفضل الأعمال وأسرعها إنتاجا وأعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا ومولانا محمد
عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فإنها سبب لكل خير دنيوي وأخروي وحينئذ فعليك أن تكون
ممن امتلأ قلبه بحب هذا النبي الكريم امتثالا لقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله وولده والـ
لناس أجمعين وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم نرى مؤمنا يخشع ومؤمنا لا يخشع فقال من
وجد لإيمانه حلاوة خشع ومن لم يجدها لم يخشع فقيل بما توجد أو بما تنال أو تكتسب قال
بصدق الحب في الله فقيل وبم يوجد حب الله أو يكتسب فقال بحب رسوله فالتمسوا
رضا الله ورضا رسوله في حبهما وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك
فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا
أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم
رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهو قوله تعالى ورضوان من الله أكبر والحبا بكسر
بكسر الحاء العطاء ولله در القائل **ألا يا محب المصطفى زد صبابة**
وضمخ لسان الذكر دابا بطيبه **ولا تعبأن بالمبطلين فإنما**
علامة حب الله حب حبيبه **أيا سيدي الظهري استغاثة ملهوف**
أضر به الخطوب آه هذا رجوع منه إلى الضراعة والتضرع وما به
من التقصير والتخفيف والاستغاثة طلب الغيث المستغيث به والظهري يطلق على الرئالة
على الله

الآناء هو صغار النخل الواحدة آناءة

شربل

اضرت

على الله وهو علام ومنه وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ويطلق على الإبطال البيع وهو خاص
بالعوضين ومنه قوله إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله إغاثة إما بالجر
مع خبر مبتدأ محذوف أي مسؤولي الإغاثة بأن يخلص من شدة أو يخففها وأما بالنصب مفعول
مطلق أي أستغيث بك استغاثة ملهوف مكروب متحير محتاج إلى من ينقذه من المهالك
من صعبته إنه أضر بحالي الحوباء أي مسكنة ذنوبه **أبيت في الغيب وهو بالمزن الشوق**
ومن لي أن تصرف الرغباء أي من يزعم أنه يحب الله ورسوله والحالة أنه
يجد منه ما يكذب دعواه لأنه يأمر نفسه أو غيره بالسوء أي الإثم فعلا وتركا والمخالفة
تنبئ عن عدم المحبة وتعطي مدعيها فإن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وكذا قيل
تعصي الإله وأنت تظهر حبه **هذا لعمري في القياس بديع**
لو كان حبك صادقا لأطعته **إن المحب لمن يحب مطيع**
ولهذا أشار الناظم إلى تحقيقه أن يصدق في دعواه المحبة فقال ومن لي أن تصرف الرغباء فمن استفهامية
أي من الذي يتكفل لي وعيني التعلق والرغباء الرغبة المصممة في الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة
والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص من كماله فلا ينبغي أصلا
أن يحب بعج مني وللعزم في الكرى **أو أصل وطيفك زاره**
يعني أنه لا أجل ما عنده من الغفلة من محبوبه في أي حب بعج والحال أنه يطرقه وأصل الكرى أي
النوم في صنايـ أو ظاهر المعتاد له وليس هذا من شأن المحب وطيفك أي خيالك أيها المحبوب
زاره أي يحتجب عني كما احتجب الراء عن واصل بن عطاء كان يجتنب الراء في كلامه لمكان اللثغة
في لسانه فيحكى أنه أوتي بما كورة فيعبر من ذكر وستر ما هذا فقال النبين في أربعة القيرو
وذي به الشعراء في أشعارهم ومن ذلك قوله **ولقد أتيت الشيب ذات بقارض**
فيقنت أن الوصل لي حتف واصل وصار بهجر الشيء المعتمر مشتملا عن عدم بيع وأصل
المراء وفي بيت الناظم التورية لأن واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللمراء اسم علم وفيه تلميح بالقصة
المشار إليها والاستفهام استنكار أي كيف تصدق محبتي وأنا مواصل للكسل والنوم ومن
هو بهذه الحالة فإن محبوبه يقاطعه بالهجر وعدم المواصلة **ألست تشعر إذ ذاك**
من عظم ذنب أم خطوة التنعيم خطاء أي ليتني علمت إذ ذاك أي عند
حضور خيالك محبوبي بقلبي هو من أجل ذنب عظيم وقع مني ومن أعظم الذنب الحجب
عن الحب أم خطوة جمع خطاء أي أنصبا التنعيمين أي المحبين خطاء جمع خطوة بالكسر والضم
أي الرفعة والمكانة أي انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فقطع بحظي لقرب من غير
كثير عمل وبعضهم بالعكس وبين خطوة وخطاء الجناس المطلق والاحتمال الأول

استغاثة

الضعف وبذلك رجع اليه فقال ۞ انا نحن عظيم زلتي تجتث ثواك ۞ وقد عمّ داء قلبي الدواء ۞
يعني انه كان الذي اوجب حجب رؤياك ايها المحبوب هو عظيم ذنبي فقد عدم الدواء الذي يكون
لمرض قلبي فلا يوجد له شفاء اصلا اذ لا طبيب لمريض الا من جنابه صلى الله عليه وسلم وذلك من
انه واخذه انما انا بعظيم ذنب لم يمكن احد غيرك ان ينقذه منه ۞ وانت باب الله اي امرء
اتاه من غيرك لا يدخل ۞ كيف يهتدي بلا نور قلب محب ۞ ولذكرك الجميل جلاء ۞
لما ذكر احتمال ان يكون عظيم ذنبه اوجب سوء حجبه لمزيد الخوف من المؤاخذة التي لا دواء
لدائها اخبر انه مع ذلك مقيم على العهد في الجناب الافخم وكيف يهتدي اي يسود بسبب ذلك
الذنب الذي ارتكبه قلب محبك وقوله ولذكرك الخ له يتعلق بجلاء وضميره عائد على قلب
محب وذكرك مبتدأ من اضافة المصدر للمفعول اي ذكره لك والجميل نعته وجلاء خبره جعل
لذلك الصدأ والمراد بالذكر الصلاة والتصليم وسؤال الوسيلة ويحتمل ان يكون من الاضافة
للفاعل اي ذكرك له حيث احبك وذكرك وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امر ضروري
عند كل مومن ومن اراد تفاصيل بعض محاسنها وفضله بمطالعة الكتب المدونة فيها ولنا
نظم في البنية ۞ وتزود التقوى فإن لم تستطع ۞ فمن الصلاة على النبي محمد ۞
۞ صلى عليه الله ان صلاة من ۞ صلى عليه دخيرة لم تنفد ۞
۞ اذا صلى عليك وانت طبيب ۞ لم يخف عليك في القلب داء ۞
اي هذه الاوطار المذكورة التي صيرت صورة محبوب عني مستورة علتي التي انغلقت حجبي
وادهشت قلبي وليس لا غيرها والحال انك انت طبيب العالم بها الماهر اذ التقدير انه
ليس يخفى عليك في القلب داء وانت لا احد من الخلق اكرم منك ولا احلم ۞ فجعل الي
ولذا الك المحل للشفاء من وصمة جميعها هنالك فان شفاعتك لا ترد والتوسل بك لا
يخيب فالخير كله بيدك وانت اكرم الكرماء ۞ يا اجود الاجواد يا من له ۞
۞ تبر النسيم انغام الاغنى ۞ اجود بحبيب انت مليكهم ۞
۞ فعلا نعم في الكل منك اشتغى ۞ تجد بما زجوه يا بغيتي ۞
غيرك ۞ فان كل الخير منك ۞ جل شهي ۞ اليك رسول الله اشكو انوابيا ۞
۞ من الدهر لم يغفو لها متجهل ۞ واني لا ارجوا انقلابك تنجلي ۞
غيرك ۞ لانك لي جاه وحصن ومعقل ۞ ما النوازل والخطوب تشعبوا ۞
۞ الا الشفيع ومن بقول انا لها ۞ اليوم العناق ببابه مستشفعا ۞
غيرك ۞ وانت الذي يعوزه نجمي من انوابها ۞ يا اكرم الخلق على ربه ۞
۞ يا خير من فيه يحمد به يتوسل ۞ فقد مسني الكرب وكم مرة ۞ فرجت كربا بعضه يذهل ۞
فيا ذا

۞ فيا الذي خصك بين الورى ۞ برتبة عنها العلا تنزل ۞ عج ابا ذهاب الذي اشتكي ۞
۞ وان توقفت فمن اسال ۞ ومن الفوز اشكو شكوى مثل شكوى ابك وفي افتقار ۞
اي انما رفعت اليك قصتي وشكوت اليك فلة حيلتي مما جنيت على نفسي لان من
العوز اي الضعف والنجاة لمثلي بجميع المطلوب الذي لا عوز اعظم منه ان اشكو مرتبة واتب
اي نشر والضعف وهو بعد نسبته مبتدأ ومن العوز خبر مقدم والشكوى الاخبار بما
يجرك وهي هنا شكوى اليك لا الى غيرك وهو اقتضاء اي طلب من كرمك الواسع وفضلك
الهامع ان اتخلص من تلك الورطات وانجو من بوائقها بما يزيل الورطات وان يحصل الشفاء
من جميع الادواء قبل جنابك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسئول ومرغوب لاسيما
لاسيما لمن صرف عنان العناية لمدحك مجيد بأن يعوز بحبك ۞
شبعتنك
۞ اذكر حاجتي ام قد كفاني ۞ حباؤك ان نفيتك الحياء ۞
۞ اذا اثنى عليك المرء يوما ۞ كفاه من تعرضه الثناء ۞
۞ ضمنتها مدائح مستطاب ۞ فيك منها التبريح والاصغاء ۞
ضمنتها اي البناء للمفعول ومدائح نائب الفاعل وضمير الشكوى مفعول ضمنت واصله ضمنت
المدائح الشكوى اي جعلت المدائح متضمنة ومشتملة على شكواي والمدائح جمع
مدحة اي الكلام المتضمن للثناء الجميل ومستطاب اي مع صفة مدائح وضمير منها
يعود على الشكوى والمجرور ان متعلقان بما قبلها او بعدها ومن تبعيضية والتبريح
نائب فاعل مستطاب والاصغاء الميل الى سماع تلك المدائح وكيف لا وقد اوطتها الكربة
زينتها مطارف بهاء في غاية الكمال التي تشنف الاسماع وبها عبيرة ارجاء القلوب والبقاع
۞ فقلما نحوك مرتجى الا ساعد تلقاه قسمى وداء ۞
فإن جعل ما خولها مفردة تنسبك مع ما بعدها بمصدر هو الفاعل وعبر بالفلة عن العدم
اي فلتنشر محاولة شكواي او فريقتي مدحك في حال من الاحوال الا في حال ساعد تبعا
فيه قسيم الخ اي لم تتوجه الا وتهيأت لها الاسباب فيشتركه كون التعريج بعد النفي
موجود خلافا للابرجي لما صرح به النحاة من انه لا فرق في النفي بين ان يكون في اللفظ
او في المعنى وقالوا في قوله تعلمو ويا بى الله الا ان يتم نوره معناه لا يريد لانها بمعنى
على ان ابن الحاجب لا يجعل الاشتراك المذكور كما هو مقرر في محله ولما خفي هذا على ابن
مجر عيرات تكون ما نافية وما فاعل فلل محذوف والتقدير فان يستصعب على ما اردته من
مدحك لانه ما حاولته في حال من الاحوال الا ساعدته الحروف المذكورة اي ما تيسر لي فيها
توقفت على معنى او نوع من المعاني الرائقة والانواع الفائقة الا وجدت الافعال

الدالة على مدحك تبادر في التنادية بغاية الاطلاق وتساعد في علية بنهاية الاصعاد
منبات في بحيث منه بما هو ابلغ وابدع وما ذاك الا لانها علقت جناب من يمدح
بثنا فيه عن ان تستعمل هنالك ،، حتى لي فيك اذ اعاجل قوما ،، صدقت منشي
،، لولا الولاء ،، اي ثبت واستغرق في مدحك ان اعاجل اي اعاخي قوما هم القدح
له العارفون بانواع المدح وحيث اطلعوا على ما لدي انصعوا فصلت الولاء جمع
دلو حال كونها منه لدي تو واستعمل الدلو العظيمة المملوءة ومنه قولهم الحرب سجال
سجال اي مرة عنها على هولاء مرة واخرى على هولاء والمعاجلة التنازع على البير
بدلاء مختلفة تشبيه بعض العاد فيه تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل طالب في كخبر
مجاز في غيره استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو
ترشيح ،، ادلى غيرة و نذر احضني ،، في معاني مدحك الشعراء ،،
،، وقلبي فيك الغلو وانى الملس في مدحك الغلواء ،،
الغيرة بالفتح الحمية توجب لي ان لا احب غيري يصف في مدحك والحال انه قد احتفى
في معاني العلاء مدحك الشعراء وارادوا ان يسبقوني فيه والحال انه استحكم لقلبي في محبتك
الغلواء اي الافراط ومجاوزة الحد وانى يكون للسان في مدحك الغلواء اي الاسراع والتقدم
عليهم لولا امدادك ونظرك الي بما يميزني عليهم وانى استبعادية بمعنى كيف نحو انى
يحيي هذه الله بعد موتها وبمعنى من اين نحو انى لك هذا او بمعنى كم بكسر العين والياء
اشعار في رحم الله الامام سيدي بن العارض اذ يقول ،، وما تجلت للقلوب حتى احسب
على حسنها للعاشقين مكامع ،، واعلم ان كل ما يحبه الانسان فانه يريد
الاستبداد به ويحب الانفراد فيه ومن هنا نشأ في طبع المحب الغيرة على المحبوب
فان قلت كيف تستقيم الغيرة من المحب للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة الاستبداد
وارادة الانفراد قلنا المحب في وقت تعطشه وشدة اشتياقه وتلهفه يلزمه
عدم القناعة من المحبوب فيستغرق حقه ارادة الاستبداد ويعتد في قصد الاستقلال
ولا ينظر الى لازم ذلك لغيبته عنه في محبوبه فاذا نبه عن غيبته وقيل له اتريد ان يكون
فضل محبوبك وكرمه على الناس ويقتصر قدره وعزه فيما يتبعه قال نعم وقد يغار المحب
على المحبوب من نفسه لشدة نفاستة وعظمة عزته وفخامة جماله وجلاله فيريد ان
يصان حتى عنه وعن الشبلي رحمه الله ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وقد اكثر
اهل العشق سيدي عمر بن الفارض في شعره من هذا المعنى فمن ذلك قوله
،، تغار علي من تغار عليك من نفسي ،، وتجتمع بالمعنى اذ انت فيه لطافتي ،،

قالتى

١٥٥

،، فان تشا خاطر ابلوذه من حجة ،، عن ابانه الاسلاك ،،
اي فبسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقرانى مع ارادتي التقدم على انبساط الى في بيته
له على هذا المدح البديع بان تصبر هنا بانتعوني به جميع مزاحميها ومطالبيها فانك اكرم من جازى
محبيه واكرم واجود من جاد على حبيبه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم مدحة كيف وقلبي يلذ
له مدحك لذة تحمله على ان يبدل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع ما يسبق اليه
ولا هام احد قبله عليه لا جل علمه بان مدحك الان اي العروج التام او من قولهم تلالا البرق اذا
لمع اي علما بان مدحك ببقى فلوب العباد حين لا يسمها من اتى في ذلك بالمعاني البديعة والالفاظ
لبيب العجيبة الرفيعة ،، حاكم من صنعة القريض برودا لك لم ترتجى وشيها صنعاء ،،
حاك اي نسج ذالك الخاطر في نظم مديحك والقريض الشعر والبرود جمع برد وهو نوع من انواع
الثياب اليمانية يشتري بنقش والوشي النقش بالالوان المختلفة وصنعاء مدينة باليمن مشهو
رة بجودة النسيج والوشي شبه ما اشتمل عليه نظمه من المعاني البديعة في ادعا شعراء القلوب
عند سماعها بالبرود الموشية المزهقة للابصار عند رؤيتها بجامع الادهاش لان المعاني تدهش البصا
ئر والابصار والبرود تدهش الابصار والانظار ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية
واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الحوك والوشي ترشيحا واثبت للمشبه ما هو ملائم له و
هو القريض تجريدا ،، اعجز الدر نظمه فاستعفت فيه الى اك الصنعاء والخرقاء ،،
اي فلان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها الدر المقيص
المنظوم الذي يدهش بضوئه وصفائه قبلا ذلك استعفت في العجز عنه البداة ابدالغ بحيلان الصنائع
بعين الصاد المهملة والنون المحققة والعين المهملة اي الحاذقة الماهرة والخرقاء ضدها او
بدلان او عطفا بيان من قوله البدان ،، فارضة المدح امير بنطق الضاد ،، فعادت
تغار منه الظباء ،، اي اقبل بهذا النظم بالمدح امرئ نطق بالضاد اي بالفصح
العرب وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد الحديث اي لان
غير العرب لا يتيسر اخراجها من مخرجها والعرب احسنوه وافصحهم على الاطلاق هو النبي
صلى الله عليه وسلم فكانه يقول يا افصح الفصحاء اقبل ما جئت به واتاني بنتم ادنى راحة من رواتح
فصاحتك ولا يبرو ولا يوحى بما يليق بمقدارك عشر معشار كمالك فبسبب اختصاص الضاد
بتعذر او تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر ربما يتم على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب
الظاء من مخرجها ولم تنطق بها نطقت به الضاد فاصغت الظاء الموصوفة في حال كونها تغار
منها اي من الضاد لتمييزها عليها بتلك المرتبة العلية اي ارادت الظاء فضلا عن غيرها
ان يحصل لها مرتبة نظاهي تلك المرتبة ،، ابذكر الايات اوفيك مدحا ،،

أين مني وأين منها الوفاء ۞ العراد بالآيات الخصائص والمعجزات التي
كونها في معزا النظم الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم لا يصل اليه مخلوق والاستفهام للانكار وفي كونه
يتعلق بأوفيك أي لا يمكن بشرا أن يوفيك حقك في المدح بل العجز لك إلا الله تعالى وأين
منه الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين وأين مني تلك الآيات الوفاء بذلك
وهي محصورة وحالاتك غير محصورة فهو صلى الله عليه وسلم لم يحط ولا يحيط بمدحه
مخلوق على الاطلاق ومعرفته على ما هو عليه مما انفرد به الواحد وفي البغدادية

أخلاق من يحيى مدح محمد ۞ ومدحه كتب من الله تنزل
أيمدح من أثنى الإله بنفسه ۞ عليه وكيف الحق من بعد ينتقل

وفي ابن الخطيب بحرمونه فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقوله

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ۞ والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما ۞ أثنى على أخلاقك الخلاق

لا حصر للأنبياء التي الجناب الأعظم والركن الأفخم حملهم على بذل مجهودهم وكيف لا وقد
قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدحني ولو ببيت واحد كنت شفيعا له يوم
القيامة أي لأن ذكر المدحة ينبئ عن المحبة والظاهر أن لا فرق بين منثور ومدرس ومنظوم

أم أماري بهن قوم نبي ۞ ساء ما ظنه بي الأغبياء
ولك الأمة التي غبطتها ۞ بك لما أتيتها الأنبياء

أم متصلة وأماري أجادل بعض الذي بتلك الآيات حيث ذكرتها بتقطيع قوم نبي وهم الذين متصلة
حسدوا لنبينا صلى الله عليه وسلم أي لم أذكر تلك الآيات بقصد أن أرده بها حقه صلى الله
عليه وسلم ولا بقصد أن أجادل بها أمته ومن ظهرت واحد منها فهو عقيم لا ينبع ولا
يعقل شيئا ولن أقال وساء ما ظنه بي الأغبياء لانهم لعلة فضيحتهم بنيل أسرو على
الناس بعاهم يرون منه وكيف يتصور مني أن أماري أمتك ولك الأمة ويحفظ الأمم
سيئا أو محفوظ على محذوف أي لك الآيات التي لا تحصى ولك الأمة وهي الأمة
الوسطى أي العظمى لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي خيارا عدولا لتكونوا شهداء
على الناس وقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم وصف الأمة بقوله التي غبطتها
أي تمنت أن تكون الأنبياء مثلها بسببك لما أي حين أتيتها أي أرسلت إليها فبشرتها
بك ومنك وقد روى أبو نعيم أن الله تعالى لما ذكر لموسى صفات هذه الأمة قال يا رب
اجعلني نبي تلك الأمة قال نبيها منها قال اجعلني من أمة ذلك النبي قال استقدمت
واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال ثم اعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

كلهم

كلهم من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام بنشأتهم قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما
آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال علي وابن عباس ما بعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا
أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه قال السبكي في الآية أنه على تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم
في زمانهم يكون مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق
من آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله بعثت إلى الناس
كافة عاما لمن تقدم ومن تأخر ويتبين قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال
وقد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فالإشارة بالحديث إلى روحه الشريفة
وحقيقته الغيبية والحقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعرفها خالقها ومن
أيده الله بنور إلهي فقد علم أن النبي صلى الله عليه وسلم في عالم الأرواح وآمنوا به واتبعوه
ثم عالم بعد ذلك في عالم الأشباح ونشر الشرع التي كانوا مكلفين بها هي شريعة
النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الأوقات بالنسبة إليهم ولأولئك الأمم فقوله تعالى ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به معناه والله أعلم لتصدقن الإيمان به والتقييد بالمجيء
في عالم الأجساد والأشباح والإيجاد تقدم منهم الإيمان به في عالم الأرواح والكلام على الآية
المذكورة طويل أوجب التصنيف

لم تخف بعدك الضلال وفينا ۞ وارثو نور هديك العلماء

الضلال الزيغ والانحراف عن الشريعة الواضحة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك والهدى
ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمراد بالعلماء أهل السنة والجماعة الذين أخبر
عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كما في الأحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من
أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وصح أيضا
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال العلماء ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا
درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر زاد في رواية يستغفر لهم أهل السموات
ويستغفر لهم الحيتان في البحر وفي أخرى إنما العالم من عمل بعلمه وذكر المفسرون في قوله
تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أن الدرجات أعلاء الجنة
وأما في الدنيا بالمرتبة والشرف وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال
يا أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام عبادة العالم
يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة
الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة

قال ابن عباس درجات العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة خمسمائة عام قاله القسطلاني

بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خُيّر سليمان صلى
الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي العلم والمال والملك معه وقال عليه الصلاة
أوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري
اي شيء أدرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وقد قال الامام ابو حنيفة
والشافعي وغيرهما ان لم يكن العلماء اولياء الله فليس لله من ولي وصرح ابو اسحاق
الشاطبي بافضلية درجة العلم على درجة الولاية وهو مأخوذ من احاديث كثيرة والله
اعلم وفي كلام الناظم اشارة الى الخصوصية والمزايا التي انعم ذو الفضل بها هذه الامة على
سائر الامم ببركة الانتساب الى الجناب الاعظم فمنها ما تقدم ومنها ان من همّ
منها بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة بل تكتب له حسنة ان تركها امتثالا وان عملها
كتبت له سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له
عشر الى سبع مائة ضعف فاكثر ومنها انه رفع عنها المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما
وقع فيه اكراه وحديث النفس ومنها انها اول من تنشق عنهم الارض من الامم ومنها انه
يقضى لهم قبل الخلائق ومنها انها تدخل الجنة قبل سائر الامم ومنها انهم يدخلون قبورهم
بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المومنين لهم ومنها
ان لهم ما سعوا وما سعي لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى ومنها انهم عجل عذابهم
في الدنيا وفي البرزخ ليأتوا يوم القيامة ممحصين ومنها انهم يأتون يوم القيامة
غرا محجلين من آثار الوضوء اي بيض الوجوه والايدي والارجل من نور الوضوء ومنها
انهم تغفر لهم الذنوب بالاستغفار والندم لهم توبة ومنها ان امته لا تهلك بجوع
ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدو من غيرهم يستبيح
بيضتهم ولا يجتمعون على ضلالة وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم
عذابا ومنها ان الطاعون رحمة لهم وكان عذابا لمن قبلهم ومنها ان فيهم اقطابا
واوتادا ونجباء وابدالا ومنها انه يوم القيامة يدفع الى كل رجل منهم رجل من اهل الكفر
فيقال هذا فداؤك من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان ربي وعدني ان يدخل
الجنة من امتي سبعين الفا بلا حساب فسألته الزيادة فزادني مع كل واحد من السبعين
سبعين الفا (وانقضت الآي عن الانبياء وآياتك في الناس ما تنقضي انقضاء)
اي يعني ان في الملة وارثي هؤلاء المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم
من الامم انقضت الآي عن الانبياء اي معجزاتهم لانقضاء اعصارهم بموتهم وآياتك اي
معجزاتك

تمحص

رحمة

معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعد وجودك فآياتك ما تنقضي انقضاء امثالها اولا فقد
مر منها جملة منها ما في كتب الله المنزلة على الانبياء من ذكره ونعته وما ظهر في ايام
مولده ومبعثه من الامور العجيبة كقصة الفيل وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان
كسرى وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته الى غير ذلك مما ورد به الاخبار الى ان بعثه
الله فما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته واعظم من ذلك كله القرآن الذي نزل عليه واستمر
في امته وفي البردة دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم
واما الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات فبسببه
ما به اعلى تعظيم قدره العظيم ما لا يخفى كما قال (والكرامات منهم معجزات
حازها من نوالك الاولياء) اي الكرامات الواقعة منهم اي من الناس
كالمعجزات اذ كل منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها في الحقيقة
معجزات لك حازها من نوالك اي عطائك وكرمك الاولياء وكان القياس حازها لانه الظاهر
ليبين ان المراد بالناس العائد عليهم الضمير منهم خواصهم وهم الاولياء جمع ولي فعيل
بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول
لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولي انه الملازم
المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قاله
الولي وينبغي ان هذا ضابط للولي الكامل وان اصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفة
العدالة الباطنة بالشروط المعتبرة ثم المعجزة هي فعل الله تعالى خارق للعادة
مقارن لدعوى الرسالة متحدى به قبل وقوعه والكرامة ظهور امر خارق للعادة غير مقارن
لدعوى النبوة على يد من عرف بالاتباع والنصح ولا ينسب اتباع نبيه في جميع ما جاء
به والاعتقاد الصحيح ولذا قال ابن حجر العسقلاني في الفتح ان الذي استقر عند العامة ان
خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك يكون من اولياء الله وهو غلط فان الخارق قد يظهر على
يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فلا بد من النظر الى المتصف بالاوامر الشرعية وتجنب
النواهي الشرعية فهو علامة على الولاية والعكس بالعكس والصحيح ان كل ما جاز ان يكون
معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي تنبيه قال الحاتمي رضي الله عنه في الفتوحات
ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب
فهو ممد لجميع الناس اولا واخرا فهو ممد لكل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في
الغيب وممد ايضا لكل نبي وولي لاحق فهو مع ذلك المرتبة كماله في حال كونه موجودا
في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة فان انوار

رسالته صلى الله عليه وسلم غير منفكة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ثم قال فكل نبي تقدم على زمان ظهوره فيكونا نايب عنه في بعثته بتلك الشريعة هـ وقال الشيخ ابو عثمان المغربي انه لم يكن داع حقيقي من الابتداء الى الانتهاء الا نبينا الحقيقة الاحمدية التي هي اصل جميع الانبياء وهم كالاجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن كلية من كل البعض اجزائه وكانت دعوته دعوة الكل لجميع اجزائه والاشارة الى ذلك قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا والانبياء والرسل وجميع اممهم وجميع المتقدمين والمتاخرين داخلون في كافة الناس وكان هو داعيا بالاصالة وجميع الانبياء والاولياء يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وكانوا خلفاء ونوابه في الدعوة هـ ولذا قال الناظم في البردة وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشفا من الديم

وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم

ومنها ضخامة مجدة النبوة من حيث استمداد الانبياء منه استمداد الاولياء منه يكن من الاجوبة ولا عن الحكم وحكم الولي شيء منه كما قال ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه فينبغي لمن زار وليا من اولياء الله تعالى ان يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم التنبيه الثالث اعلم ان الاولياء اعاد الله علينا من بركاتهم رضي الله تعالى عنهم على قسمين قسم مريد سالك واصل الى رتبة السالك وقسم غايب مجذوب في حضرة علام الغيوب فاجتذبهم التجلي الالهي فذهب بعقولهم اذ عقولهم مغيبة عند الله تعالى متمتعة في شهودها عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم اصحاب عقول بلا عقول ولما تكلم ابو زيد بن خلدون في اوايل تاريخه على العبادات الكونية قال ومن هؤلاء قوم يعالجون معتوهين اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك وياتون منه بالعجائب الى ان قال ولا يتوقف اصطفاء الله تعالى عباده للمعرفة على شيء من التكاليف واذا صح ذلك فاعلم انه يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة وذلك في تمييز علامات منها ان هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها اصلا من ذكر وعبادة لاكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم يخلقون على البله من اول نشاتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة

ومنها

٢٠٦

١٥٨

ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على ارادة لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم هـ التنبيه الثالث تقدم الفرق بين المعجزة والكرامة وذكر في لطايف المنن ان الكرامة تارة تظهر للولي في نفسه فيكون المراد منها تعريفه بقدرة الله تعالى وانها لا تتوقف على الاسباب وتكون بشارة له بالاستقامة مع الله تعالى وتارة تظهر في الولي لغيره فيكون معرفة لم يليه طريق هذا الولي التي ظهرت عليه فيتبعه بما وهو من اثار محبة الله تعالى لعباده قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وليست ظهورها في الولي ولا دالة على انه افضل من غيره ممن لم تظهر على يديه كرامة لان الافضلية انما هي بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله فكل من كان اقوى يقينا واكمل معرفة كان افضل ولهذا ربما وجد هذا اهل البداية في بدايتهم ويفقدها اهل النهايات في نهايتهم لما تحقق عليه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ولهذا لم تكثر الكرامات في الصحابة ككثرتها فيمن بعدهم لانهم ببركة مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لنزول الوحي تنورت بواطنهم وعاينوا الاخرة وزهدوا في الدنيا وزكت نفوسهم فاستغنوا عن الكرامة الحسية لما عاينوا من العلوم الغيبية والمعارف الاشهادية ولا يحتاج الجبال الى رسالة بتحقيق هذا الجواب الامام احمد (ما سبحانه) هذا وقد قال علي كرم الله وجهه ورضي عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وتقدم لم يزده كشف الغطاء يقينا بل هو الشهود كما عليه عقلاء وقال بعض من عباد الكرامة الكاملة انما هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ولهذا قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة انما الشان من تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال ابو الحسن انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل بالاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطاء في العلم والعمل بالصواب وقال ابو يزيد البسطامي لو نظرتم الى رجل اعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداب الشريعة هـ وقال ابو القاسم الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش افضل منهم يقينا هـ

الا انما معجزات الغير عن وصفها اذ لا يجاري الامداد صاحبها

كيف يشتوعب الكلام سجاياه وهل تنزح البحار الركاه

هذا معنى التوكيد لقوله واياتك الناس ما لحصر انقضاء اي من جملة معجزاته الباهرة عجز

كل الناس عن الاحاطة بكل فرد فرد من اوصافك التي اختصك الله بها لاجل انه لا يحد ولا يحصر
احد اوصافه احصاء ولا عد عادٍ والعموم ماخوذ من اضافة المفرد المنكر الى المعرف
منه وكيف يمكن ان يستوعب الكلام الصادر من كل من مدحك جميع مالك اي اخلاقك الكريمة
وفضائلك الجميلة واوصافك العظيمة وما هي في كثرتها وعدم احصائها وقيام الوجود
المعنوي بها لانه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله في امداده كما يقوم
اذ به يقوم الوجود الحسي وما الابيات التي يعبر بها عن الاوصاف الماخوذة من اوصافك الا
كالركاء جمع ركوة فهو خبر بها من البحر ما يراد وهو لا ينقضى له فقوله وهل تنزح البحار
الركاء فيه تشبيه الاوصاف بالبحار بالجامع المذكور ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه
استعارة تصريحية وفيه تشبيه الابيات بالركاء بجامع التوصل الى المطلوب واطلق
اسم المشبه به على المشبه ايضا استعارة تصريحية ورشحها بذكر النزح

ليس من غاية لوصفك ابغيها وللقول غاية وانتهاء

فمعلوم ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى اخره لا تنفد ولا تحصى وما
يوجد كتابا وايضا احال بذلك ما اخبر به الناظم عن نفسه وهو انه ليس من غاية يطلبها
لوصفه لعدم الغاية لها ولقوله هو غاية وانتهاء فليس للتعبير من غاية استعمال
بمن لافادة الاستغراق والجملة من قوله ابغيها خبر ولوصفك يتعلق بما بعده او بما
قبله وعطف الانتهاء على الغاية للتاكيد وما احسن قول الناظم في البردة

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم
وكل آي اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها يظهرن انوارها للناس في الظلم

وقول سيدي محمد البكري في الجيشية ابيات خير المرسلين محمد نور الهدى بحر العلوم سنا بها
من حيث مبعثه الوجود لو فتشا هذا بعيد دونها فيما احتكاها
من ذا يروم لمجده اخذ منتهى وبحمده كل الكمال تناهى

وقد قال سيدنا ابو بكر الغزالي رضي الله تعالى عنه لاصحاب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما رايتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الظل قالوا ولا ابن ابي قحافة قال ولا ابن ابي
قحافة ولقد ذكر هذا الكلام عن العارف الاكبر سيدنا ابو الحسن الشاذلي رضي

الله

الله عنه قال صدق ابو بكر رضي الله عنه والى هذا يشير البغدادي بقوله

صرفت لغيرك الحبيب مناقبا تتقاصر عن احصائها كل مسقع
حاشاه ثم تحصى ما خصه به الالاه اكبر ان تبلغه من تحصى

وهذا هو الذي اوضح عنه القطب الاشهر مولانا عبد السلام بن مشيش حيث قال ولم تنلها لنا
العقول فلم يدركه منا سابق ولا لاحق انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

فيما تعدد للانام آيات اي انما فضايلك كلها ماء في الكثرة والامتداد
وعدم حصرها بالاعداد وما ابرزت له من خفايا فضلك التي هي جزئية بالنسبة للفضايل كالاناء
اي اللحظات والساعات التي اشتمل عليها الزمان في العجز عن الاحاطة بكل منها فلك
ويحتمل ان يكون المعنى انما فضايلك وجود الزمان بما اشتمل عليه وما ابرزت باعتبار تعلقها
الاناء اي الاوقات بما يقع فيها فيشير المعنى انه صلى الله عليه وسلم اصل هذا الوجود باسره وان
جميع ما يبرز فيه هو من فيض سره والى ذلك يشير في البردة بقوله وكيف تدعو الى

الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم وتسبقه الى هذا المعنى ايضا
العارف وقال لولاك يا احمد المحمود ما خلقت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم
والاحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى لادم لولاه ما خلقتك
وقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء والى ذلك يشير العارف ايضا
بقوله مترجما عنه عليه السلام واني وان كنت ابن ادم صورة فلي فيه معنى شاهد بالابوة
وراجع شرح قوله انت مصباح كل فضل الخ لم تطاول عراه من حجب نطفي

ومراد بذلك استقصاء عنبرا مضا ووجد وما
فليليس الورود ابن سواء يعني ان ما وقع منه من اطالة نظم الكلام في
المدح وتعداد الابيات لم يكن مراده به الاستقصاء والحصر وانما مراده بذلك برد الغليل وشفاء
العليل لانه ظمان وجد اي شديد العطش من جهة الشوق لسماع تلك الاوصاف وما يريد الا
ان يرتوي من سماعها وليس يحصل له من الماء القليل الذي اشرب ارتواء فما له من العطش وشبه
شغفه بتعداد الابيات وذكر افضل الصفات بظما شديد لا يرويه الا الماء الكثير واطلق
اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ورشحها بذكر الورود والارتواء

فسلام عليك تترى من الله وتبقى به لك البأواء
اي فالذي ينبغي ويناسب الختم به لاجل ما تقدم من الانعام هو قولنا لك سلام عليك من الله
اي سلامة عظيمة من كل افة وتكره وتحيي بفيه عليك من الله متكررة الى العلام وتتبع

بحقه بحضاد ابها ابرا وتبغى بسببه على ممر الازمنة الى ما لا منتهى لا ذخيرة لك البلوا به
الجزى واى مجد فسال من الله تعالى ان يسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم لان سلامنا عليه ليس فيه
مكافاة له على احسانه الينا وانعامه علينا ولذا شرع لنا ان نطلب من الله تعالى ان يصلي
عليه صلى الله عليه وسلم لانا عاجزون عن مكافاته فانه احسن الينا احسانا لم يحسن الينا احد
مثله ولا مقاربه ولا تستطيع النفس الى انعسنا مثله وتامل قوله جل وعلا لقد جاءكم رسول
من انفسكم الاية فلما عجزنا عن مكافاته طلبنا من الله ان يكافيه ويجازيه اذ لا يقدر على مكافاته
نه سواه تعالى واخرج الكبراء وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس من قال جزى الله عنا سيدنا
محمدا ما هو اهله اتعب سبعين كاتبا الف صباح وفي رواية الفي صباح في التشفيه فيكون اعلم
اولا بالاله ثم اعلم بزيادة الله [illegible] فاعلم به «وسلام عليك منك فما غيرك»
«منه لك السلام في كل شيء» بعد ان ذكر سلام الله عليه لا شرفيته ثنى
بسلامه على نفسه لا قربيته منه فما غيرك من المخلوقين السلام الصادر منه عليك كما لك
اي مكافي لحضرتك لما تعلم من تقرير العجز والقصور وكما معنا مصدر كلام بكافي
فما نافية وغير مبتدا او والسلام مبتدا ثان وكما خبر عن الثاني والجملة خبر عن الاول
والرابط ضمير منه العائد على غير وهو متعلق بالسلام وكذا ان جعلناه متعلقا بالسلام
كانت اللام بمعنى على وهو معمول كما محذوف وان جعلناه متعلقا بكما فلا حاجة
الى تقديره «وسلام من كل ما خلق الله» «لتحيى بذكرك الاملاء»
هذا كالاستدراك على ما قبله لانا وان كنا عاجزين عن السلام المكافي فلا بد من الاتيان
بالمستطاع والقصر منه التعرض للحصلة وطلب المكافاة منكم عليه وان لم يحصل ما
عليكم لان اليسير عندكم كثير والحقير لديكم خطير وفاعلكم بان وجه التخييب وفي
الحديث فالخير لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت
عليه عشرا وقد ذكر اهل العلم ان من خواص السلام معرفة التسليم من المثنى
ومن العجب ان من قال كل يوم مائة مرة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته لا
لا يزول مرارة الموت وقد ابتقطع جابر عبد الله في النوم مجرته بهذا عن النبي صلى الله
عليه وسلم ولازمه بقطع جماعة وهو ما جد في صلاة الصبح واعلم ان المحب يسلم على
المحبوب في حالتي غيبته وحضوره اي في حالتي الشهود وعدمه اما سلامه في الغيبة
فمتملق وتعلق واجلال واعظام ورجاء لان يكون ذلك ذريعة الى اللقاء وهو وسيلة الى
الوصال وتعلو ولا يا لخضع بالاقبال فيأتيه بما في صوفه عسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده

مما ليس في طوقه الا كثير بتسير الله في صوت القلب ومن كثر لهجه بالاحباب فلا بد ان يذكروه
ومن دام تسليمه عليهم فلا بد ان يزوروه واما سلامه في وقت الشهود والحضور فتكرار
على الانعام وحمد به مقابلة الكمال وزيادة خضوع عند شهود الجلال وتضاعف شغف عند
شهود الجمال فعند ذلك يسلم بعوالمه الظاهرة من راس وعين وجبين ووجه ولسان وشعر
وبشر وكل ذرة من ذراته موجودة من جواهره وبعوالمه الباطنة من روح وعقل وقلب وسر
وحياة وسائر القوى الباطنة «وصلاة كالمسك تحمله مني شمال النبي او نكباء»
المعهود والشائع هو تقديم الصلاة على السلام اقتداء بالاية الشهيرة والاحاديث الكثيرة
لان الصلاة خاصة بالانبياء استقلالا بخلاف السلام والاختصاص يؤذن بالافضلية ولما افضلية
يستدعي التقديم وايضا السلام من الله تعالى زيادة تكريمة وانعام على التكريمة والانعام الحا
صلة من الصلاة فيستدعي السلام التاخير لان الزيادة على الشيء فرع ذلك الشيء والفرع يتبع
اصله لاكن لما كان المقام مقام ختام وحصل فيه الاشراف على التمام حسن فيه القلب الذي نعتهم
تقديم السلام فصار المقام له وختمت الصلاة اشارة الى احاديث المكررة تشفيعا لما هو اهم بالمقام
بالتقديم والتكرير او يقال انه لما اكثر من ذكر المحبوب على غاية الشغف يشير المحبوب يحتمل
انه جاد عليه بحظي اللقاء فاتى بالسلام الذي هو من شعار التحية ولا ان يتم له ما استشعره وفي لفظ
السلام اشارة الى انه ترقى الى مطلوبه لاشتراك السلام مع الصلح في المادة فقوله وصلاة اي عليك
من الله ومني لك ومن كل مخلوق كالمسك في الطيب والنفع البالغ تحملها الي المسك شمال النبي
تهب من جهة القطب الي الغرب منه الي حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيى الارواح بعميمه
وعبيره وفي ذلك اشارة الى الخيرات روي عن بعض الصحابة انه قال ما من مسلم يصلي فيه على محمد
صلى الله عليه وسلم الا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذا
مجلس صلي فيه على محمد والنكباء ممر الصبا واي رياح اربعة باعتبار جهات الكعبة فان هبت
من تجاه الكعبة فالصبا وهي حارة يابسة او من خلفها فالدبور وهي باردة رطبة ومن
يمينها فالجنوب وهي حارة رطبة او من شمالها فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح
الجنة التي تهب عليهم زواله مصلحه ولنقل فرمها المائم «تنبيه» انه ينبغي ان نبه على هذا التنبيه
على بعض ما تضمنه قول مولانا جل وعلا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فلا نطوا كيف امر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على صار الاعمال
بان جعلها هو وملائكته اولا ثم امر عباده بفعلها ولم يشاركها في ذلك غيرهما ولا نعلم او اعلمنا او لا
امرا صفتيا بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي فبدا بنفسه ومعه الملائكة في تعظيم

هذا الاحتمال هو الانسب بكلامي والله اعلم والاحتمال الاول بعيد
اذ لا طامع ان يكشف له النبي صلى الله عليه وسلم ويراه
يقظة كيف وقع ذلك للاكابر ومنهم شيخ المؤلف
ابو العباس المرسي فلما جاد عليه باللقاء
قدم السلام الذي هو من شعار اذ هو
الاولى وثنى بالصلاة كما صرح به صاحب هذا
الشرح عند قول الشيخ [illegible] العطار
خلق الله [illegible] ولعل الثاني معهم انه قد راه
كان ينتاجى معهم [illegible] ببركة
[illegible] والله اعلم

من عظمه هو وما يكنه لان الكبير اذا اجل شيئا بادر كل محبيه الى فعله ثم بعد ذلك امر الامر
صريحا ليتفق التكليف ونقوم بالمامور به على وجه التعظيم والمحبة من غير مشقة ولا
تعمل لان ذلك خدمة لمن احبه الله وعظمه وعبر بالمضارع اشارة الى استمرار صلاة الله
وصلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم واقتصروا على ذكر الصلاة ولم يقل يصلون ويسلمون
لان تسليم الله والملائكة عليه صلى الله عليه وسلم كان معروفا عندهم مشهورا فيما بينهم
وقال على النبي دون الرسول لانه جعل من النبوة وهي رفعة القدر والمنزلة فيه تعليق
الحكم على الوصف المناسب وقد اطالوا في تفسير الصلاة واقسامها وكل ذلك يرجع الى
معنى الوصلة والاظهار الشرف فهي لازمة للكمال ذكره تفسيرها وكذا فسر البيضاوي من
يصلون بقوله يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه وسلموا بقوله قولوا السلام عليك وانقادوا
لاوامره فلما تلا اخبار هذا المعنى وكان هو المراد اكد لفظ التسليم تحصيلا لتمام المقصود
بدلالته على الانقياد فهو موكد لصلوا المعناه وتسليما بلفظه لانه اهم في هذا المقام لما
فيه من المسالمة والاذعان والقبول وبه يحصل نجابة المامول وحذف متعلق السلام لدلالة
متعلق الصلاة عليه او ليصلح ان يكون عليه اوله على معنى الاذعان والانقياد هذا واخرج
ابو داود باسناد جيد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة
علي فانها نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من عسرت
عليه حاجة فليكثر من الصلاة علي فانها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الا
رزاق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل ان يقوم اللهم
صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة
وصرح ابو طالب المكي في قوت القلوب والغزالي في الاحياء بان ذلك لا يتقيد بلفظ صلاة
مخصوصة وروى الامام احمد والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وصحح عن كعب بن عجرة قلت
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال
ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت
اجعل لك صلاتي كلها قال اذن تكفى همك ويغفر ذنبك وفي رواية اذن يكفيك الله هم
دنياك واخرتك قال الحافظ المنذري معنى قوله كم اجعل لك من صلاتي كم اجعل لك من
دعائي صلاة عليك اه وهو جيد من قوله اذا اكثر الصلاة عليك وقال الشيخ ابو المواهب
الشاذلي رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة كم
اجعل لك من صلاتي قال ان تصلي علي وتهدي ثواب ذلك الي لا الى نفسك اه وغفر ان
الذنوب

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

الذنوب بعد بالنسبة الى الصغائر ظاهر واما بالنسبة الى الكبائر فلانها تكون سببا للتو
بة منها لانها تشرق في القلب نورا يحمل على اجتناب قبائح الذنوب لانها حاجبة عن
المحبوب واخرج مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى
علي واحدة صلى الله عليه عشرا واخرج النسائي وابن حبان والدارمي واحمد والحاكم اتاني
الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك
الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا اه والمراد تضعيف
الحسنة بعشر على قاعدة تضعيف الاعمال الصالحة ولكن اخبر الله تعالى بان التضعيف
هنا ليس بامثال عمل العبد كما في غير هذا العمل بل بعمل الرب جل وعلا وهذا هو وجه الخصو
صية بان توصل العبد الى صلاة الله عليه هذا اشار اليه القاضي عياض في الاكمال وتبعه
الشيخ السنوسي وغيره انظر شرح الشيخ ابن زكري لهمزيته ووصلاة على ضريحك
تخص منه بتربة وعشاء الضريح القبر المكرم الموضع الجسم الاعظم
لا كصبا بعد انتزاحكم اغنمهم وكوبي اقتفيتموا منه وملتقم متخصص تنقل ور
ومعنى وضميريه يعود على السلام وضمير منه يعود على القبر والتربة التراب والعشاء المبتهم
ذات الرمل تشبيه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ في النفع تشبيها مضمرا في
النفس فهو استعارة بالكناية وقوله تخص تخييل ووجه الشبه بين السلام والماء
كلاهما اذا وصل امتزج بكل الامتزاج وثناء قرمت تبر يدي نجوى
اذا لم يكن لدي ثراء اي قدمت بين يدي سؤالي منك بلوغ المامول
ثناء عظيما على قدر وسعي وطاقتي لاجل انه لم يكن عندي ثراء اي مال اتصدق به امتثالا
لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اذ الامر كان للوجوب ثم نسخ
بما بعدها وهو قوله ءاشفقتم الاية فيقي الترب حسن عن زيارة قبره الشريف والقا
ئل حيث لم يكن له مال يتصدق به هذا المندوب جعل حسن الثناء عوضا عنه والامر بتقديم
الصدقة امام النجوى قيل بقي عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وقال
علي رضي الله عنه هذه الاية في كتاب الله ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر مسائل فاجابني عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة
ان لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام
والقران والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي

في طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدخل الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت
وماذا الصدق قال الطاعة قلت وما أصنع بنفسي تعبدا قال كل حلالا وقد صدقوا
قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما وعيت هذا الكلام
نصحني به **ما أقام الصلاة من عبد الله وقامت في هذه الأشياء**
ما ظرفية مصدرية والصلاة مفعول مقدم وهو يعم اللغوية والشرعية ومن موصولة
فاعل أقام وعبد فعل ماض فاعله ضمير من والله مفعوله والجملة صلة الموصول وفي
عبر بذلك لعدم انقطاعه لأن الصلاة لا تزال تقام في الدنيا على سبيل التكليف وفي الآخرة
على سبيل التلذذ والتنعم كما يدل عليه حديث اقرأ وارق واقتصر في الدنيا معناه
الى قرب قيام الساعة لحديث لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله وعليه
يحمل الحديث الآخر لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن
تقوم الساعة أي الى أن يقرب وقت قيامها لما ورد أن الله يرسل بقرب قيامها ريحا
لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة إلا أماتته وقوله وقامت في هذه الأشياء هو معطوف
على أقام مدخول لما الظرفية المصدرية ومعنى قامت بقيت على وجه نظام واتقان أحكام
بإيجاد ... والمراد بالأشياء الموجودات الدنيوية والأخروية وفيه حسن
الختام إذ هو ... من الأشياء التي تقوم بها والرب المصلح إذ هو في الأصل مصدر بمعنى
التربية أي الإصلاح وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم
والعدل وفي الختام به تعرض لنعمائه وروى البغوي عن علي كرم الله وجهه من أحب أن
يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ منه
بحمد الله وحسن توفيقه ليلة الجمعة لتسع عشرة خلون من ربيع الأول الأنور الأفضل من
عام ... والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
تم بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين وهو
حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان الفراغ من نسخه في يوم
الأحد بعد صلاة العصر من شهر الله جمادى الأولى يعني في تاسع عشر
منه من سنة ... وخمسين ومائتين وألف على يد ...
... من خلقه أفقر الورى وأحوج الخلق الى مولاه ...
... اللهم اغفر له ولوالديه ولأقاربه ولأحبابه ...
... وجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما والحمد لله رب العالمين
آمين

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات